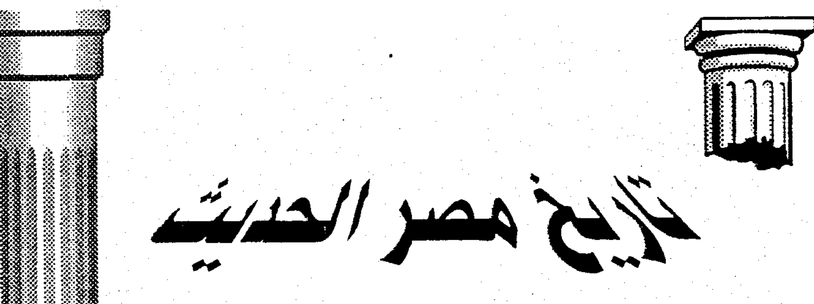
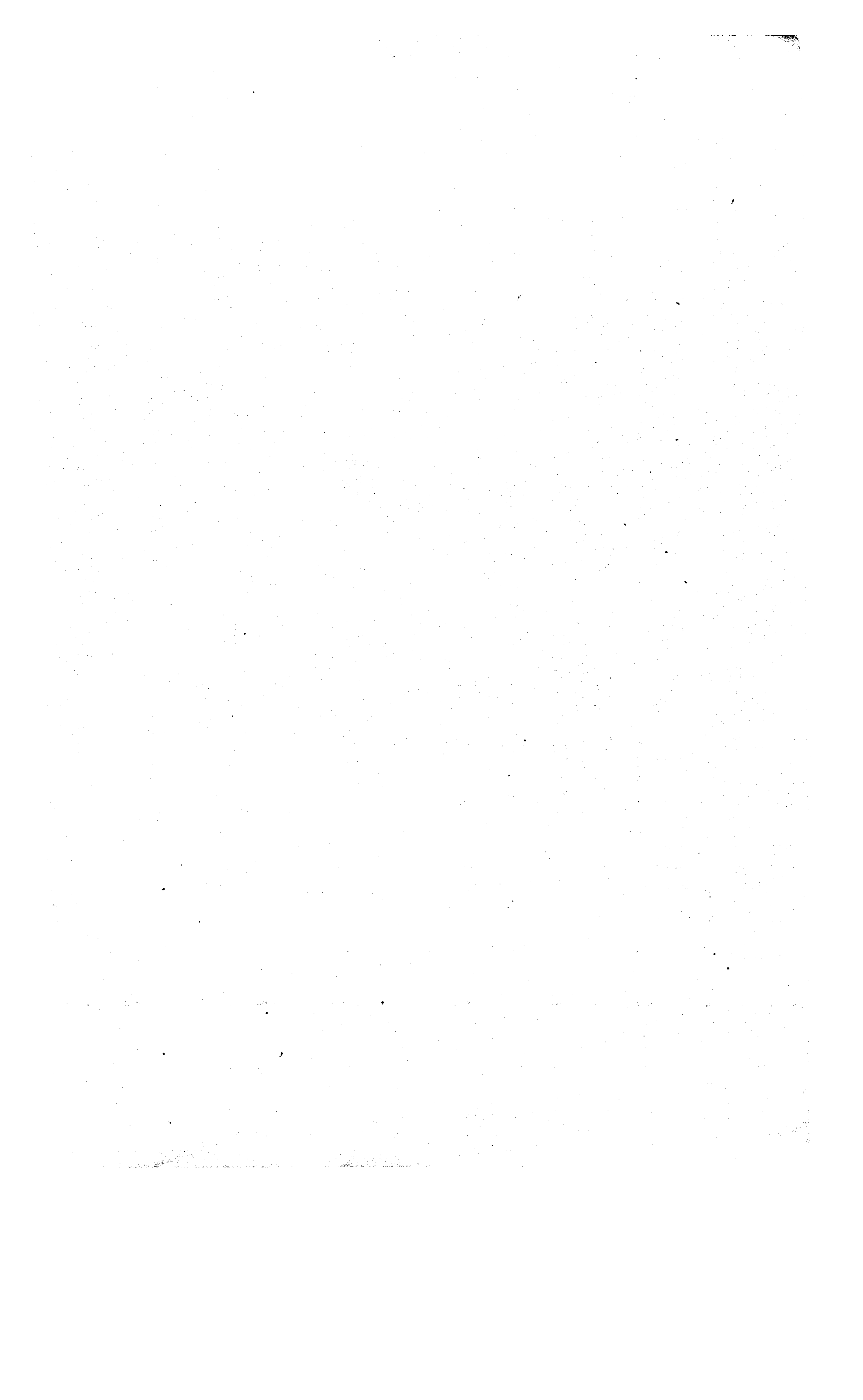
جامعة أسيوط
كلية الآداب
قسم التاريخ

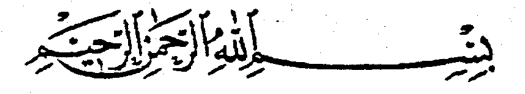
دراسات فى



الجزء الثانى

أسيوط فى العصر العثمانى







بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأفضل المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد عالج **الدكتور / محمد عبد الحميد الحناوى** موضوع **أسيوط فى العصر العثمانى ١٥١٧-١٧٩٨م** " معالجة أمينة ، وتطرق فى حديثه عن هذا الموضوع إلى اقدم العصور منذ فجر التاريخ وما طرأ على اسمها من تغيرات وتطورات من حيث البلاد والمواقع التابعة لها وطبيعتها الجغرافية والفورمولوجية وتركيبها السكانى؛ فأبرز العلماء وكبار الساسة الذين استوطنوا هذا الإقليم وما كان لهم من آثار اجتماعية وسياسية، كما تحدث عن أهم المؤسسات العمرانية والدينية التى اشتهرت بها من مساجد، وحمامات، وأديرة، ومواقع أثرية، مع اهتمام الحكام فى بدء هذه الفترة الزمنية بهذا الإقليم ثم ما اعتراه من نسيان من جانب الحكم العثمانى .

كما أبرز الباحث أشهر الحكام الذين علا صيتهم وكان لهم أثر حاسم فى هذا الإقليم مثل الشيخ همام بن يوسف - زعيم الهوارة، وزود بحثه بخرائط ومصورات جغرافية توضح أهم معالم المدينة الرئيسية وأحيائها، كما تطرق بشئ من التفصيل إلى مظاهر الحياة الإقتصادية والإدارية فى هذا الإقليم الهام خلال فترة البحث.

ومهما يكن من أمر فإن معالجة الباحث لهذا الموضوع قد جاءت دراسة علمية تتمشى مع أسلوب البحث التاريخى القويم، وتعتبر بحق إضافة علمية قيمة، وإثراءًا للمكتبة التاريخية .

وبالله التوفيق ...،

دكتور / محمود حلمى مصطفى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المتفرغ

والعميد الأسبق لكلية الآداب بسوهاج

أسيوط فى ١٩ مارس ١٩٩٦م

مقـــــــدمة

من البدهى أن اقليم أسيوط فى حاجة ماسة إلى جهد الكثير من الباحثين المتخصصين لإماطة اللثام عن تاريخ هذا الإقليم العريق ، ذى التاريخ المجيد ،لما له من أهمية عظيمة عبر العصور التاريخية المتعاقبة ، وحتى وقتنا المعاصر خاصة وأن الكثير من شبابنا اليوم يعيش ظروفاً عصيبة من غياب الوعى ، والشعور بالغربة فى أعماقه ، مما أدى الى تداعى الرابطة القومية ، ووهن بل ضياع الشعور بالانتماء لهذا الوطن العزيز – مصر ، فالتاريخ يهدف إلى تقوية رابطة الانتماء ، والشعور بالآم الوطن ، والعمل على رفعته والارتقاء به وهو ما نحن فى أشد الحاجة إليه الآن .

وربما كان من الحتمى أن الكتابة التاريخية عن أسيوط ضرورة ملحة نظرا لأن الكثيرين من أبناء الوطن لايعرفون إلا القليل عنها ، بل لانتجاوز الحقيقة إذا قلنا أنهم يجهلونها تماماً ، ويعتبرونها إقليما نائياً ، منفصلا عن الوطن الأم ، ومن الطبيعى أن يكون أحد أسباب ذلك عدم اهتمام الباحثين فى مجال التاريخ بصعيد مصر على وجه العموم وإلقاء الضوء عليه ، وبأسيوط كواحدة من أهم أقاليم الجنوب على وجه الخصوص. وقد تطرق العديد منهم للكتابة المنهجية عن كثير من المدن المصرية أغلبها فى شمال البلاد ، وعلى رأسها القاهرة والاسكندرية، ولم تنل أسيوط من اهتمامهم شيئا يذكر .

وفى مجال التاريخ الحديث والمعاصر نجد ندرة ملحوظة فى الكتابة عن إقليم أسيوط ، باستثناء رسالة واحدة كتبت مؤخرًا عن أسيوط فى النصف الأول من القرن التاسع عشر للدكتور / فرغلى تسن ، وما كتبه الاستاذ الدكتور / عبد الرحيم عبد الرحمن عنها فى ثنايا رسالته للدكتوراه عن الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، والتى نشرت فى أوائل السبعينيات ، وما كتبته الأستاذة الدكتوره / ليلى عبد اللطيف أحمد - عن الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ثم الصعيد فى عهد شيخ العرب همام – الذى أفدت منه أيما إفادة فى تناول موضوع بحثى عن أسيوط ، لما كان للهوارة ولشيخ العرب همام من نفوذ والتزامات فى أراضى أسيوط خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الى جانب ما كتبه الاخ الدكتور / صلاح أحمد هريدى ، فى رسالته للدكتوراه والمنشورة تحت عنوان

دور الصعيد فى مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨ م ، والذى أفدت منه فى تناولى لموضوع أسيوط .

ومن الجدير بالملاحظة أن كتابات وأبحاث علماء الحملة الفرنسية المضمومة فى موسوعة " وصف مصر Déscription de L' Egypte "تحتوى على مادة علمية غزيرة عن صعيد مصر وأسيوط فيما يتعلق بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى العصر العثمانى الذى هو نطاق دراستنا .

ولعل من أهم الأسباب والدوافع لندرة الكتابة عن اسيوط تاريخيا هو عدم وجود المتخصصين الأكاديميين فى هذا المجال بفروعه المختلفه ، سواء كان قديمة ، أو وسيطه أو حديثه ، حتى خمس سنوات مضت ، عندما أنشئت شعبتين للتاريخ والجغرافيا بكلية التربية بجامعة اسيوط ، تنفيذاً لتوصية مجلس الجامعة فى عام ١٩٧٢ ، وهكذا نجد أننا فى أشد الحاجة لاستكمال هيئة هاتين الشعبتين ، وتوجيه أبنائنا من طلابها بعد تخريج أول دفعة منهما خلال العام الجامعى ١٩٩٣/١٩٩٤م للدراسات العليا وخدمة البيئة المحلية من خلال أبحاثهم للماجستير والدكتوراه عن مدن وأقاليم الصعيد ، وعلى قمتها بالطبع أسيوط. وقد نهجت فرنسا هذا النهج منذ فترة طويله ؛ إذ ظهرت بها المدارس التاريخية التى تتبنى الدراسات الاقليمية والتى فى مجموعها تشكل تاريخ ووجدان الأمة وفى مضمونها تعمق الانتماء ، للإقليم وللوطن الأكبر على حد سواء.

ونأمل أن تكون مثل هذه الأبحاث المتخصصة باكورة إنتاج علمى وافر عن اقليم أسيوط - قلب الصعيد النابض بالحياة والذى يشهد تاريخه منذ آلاف السنين على عظمته وجلاله ، والهدف الأول والأخير هو مصرنا العزيزة.

دكتور

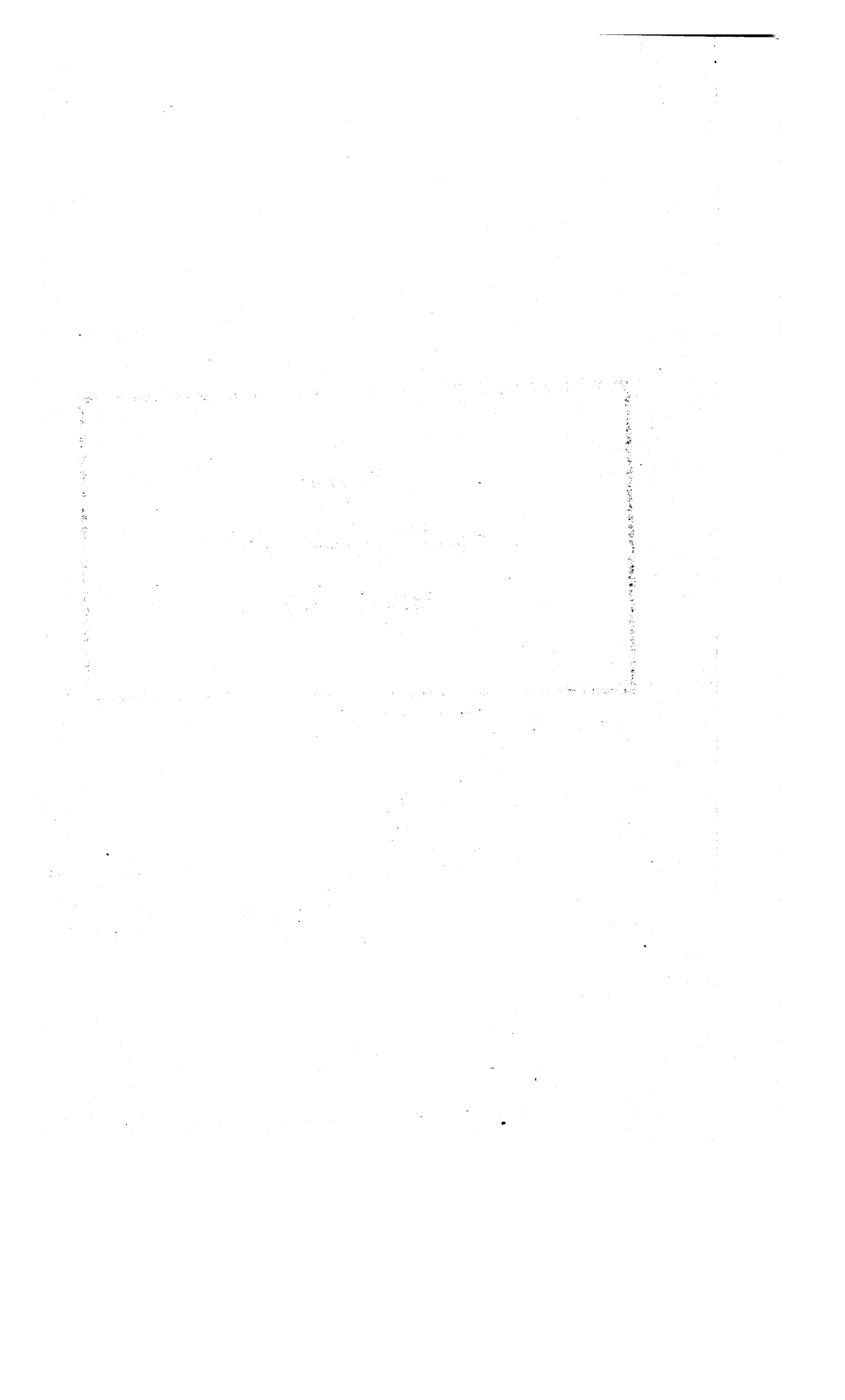
محمد عبد الحميد الحناوى

أسيوط فى يناير ١٩٩٤

الباب الأول

التطور العمرانى لأسيوط

وأهم منشآتها



الفصل الأول

إقليم أسيوط عبر التاريخ

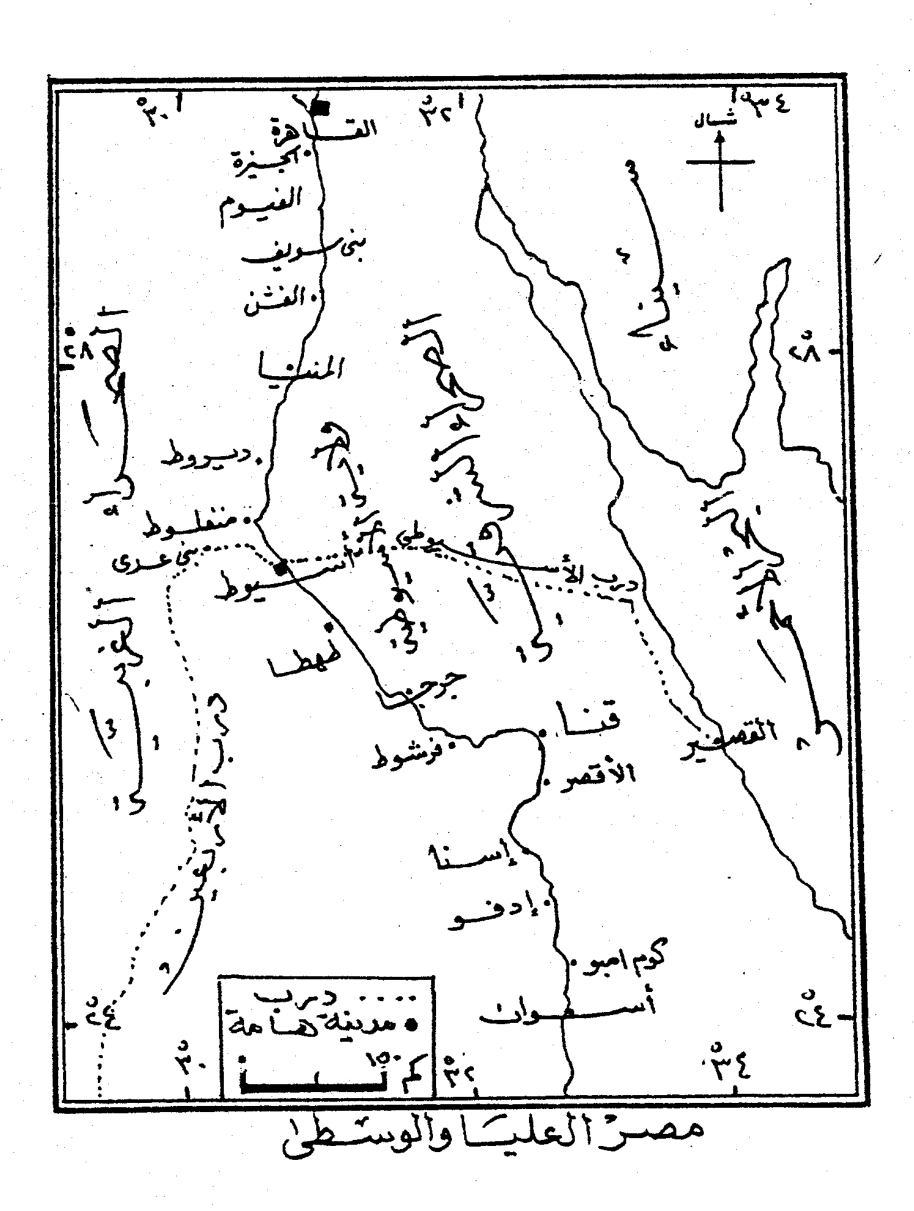
أسيوط ؛ ذلك الإسم المتألق عبر التاريخ منذ القدم فى وسط الوادى ؛ فحينما كان العالم كله يعيش فى ظلمات الجهل والتخلف ، كان أبناء هذا الاقليم العتيق يعيشون حياة التمدين والتحضر فى دير تاسا والبدارى حيث عرفوا الزراعة والصناعة فى عصور ما قبل التاريخ Pre - History ؛ إذ كان أقليم أسيوط يشمل عدة مقاطعات فى العصر الفرعونى تبدأ من المقاطعة التاسعة حتى المقاطعة الرابعة عشرة. أما مدينة أسيوط ذاتها – عاصمة هذا الاقليم فكانت تشمل المقاطعة الثالثة عشرة والتى كانت تسمى (سا أوت Siout) وكان معبودها على هيئة الذئب ويدعى الحارس ، ثم عرفت باسمها الحالى سيوط أو أسيوط منذ الفتح العربى.

وقد لعبت أسيوط دورًا هامًا فى التاريخ المصرى القديم وخاصة فى عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة التى انتقل فيها الحكم من العاصمة منف إلى إهناسيا ، كما لعبت دورًا وطنيًا واضحًا فى النضال ضد الهكسوس عندما انضمت إلى طيبه عاصمة مصر فى الجنوب لطرد هؤلاء الغزاة من البلاد فى عهد الأسرة السابعة عشر.

وظل هذا الأقليم معروفاً باسم ساوت حتى غزا الأغريق مصر عام ٣٣٢ ق.م عندما أطلقوا على عاصمته اسم ليكوبوليس Lycopolis ومعناها لدى الاغريق مدينة الذئب لأن معبود المدينة أبوات له رأس ابن آوى[1] ، وظل الأمر كذلك طوال العصرين البطلمى والرومانى حتى دخول المسيحية مصر حيث شهدت بلاد هذا الإقليم انتشار الدين الجديد بين أبنائه نظرًا للعداء المستحكم بين المصريين والرومان واضطهادهم لأنصاره وخاصة فى عهد دقلديانوس مما أدى إلى فرار الهاربين بدينهم إلى هذه البلاد فى جنوب مصر واختفائهم فى الجبال والأماكن الواقعة على حافة الوادى وخاصة على حافة الجبل الغربى.

وبعد الفتح دخل الكثيرون من أبنائه فى دين الله أفواجاً وأبقى العرب على إسم المدينة كما كان ينطق بالهيروغليفية ثم القبطية سيوط أو أسيوط لم يدخل عليه أى تحريف أو تحوير، وعلماً علىالمدنية ذاتها ، وعلى الإقليم الواقع شمال وجنوب هذه المدينة مع اختلاف المساحة من فترة لأخرى.

وقد احتفظت أسيوط بإسمها القديم منذ العصر الفرعونى وحتى الآن دون تغيير باستثناء فترة الحكم البطلمى والرومانى عندما تبدل إسمها إلى ليكوبوليس ، وذلك على عكس أغلب المدن المصرية التى تغيرت أسماؤها القديمة. وبذلك احتفظت أسيوط بإسمها على مر الزمن ، وهو شىء غير مألوف ؛ فهى بذلك من أقدم المدن لا فى مصر وحدها ؛ بل فى العالم تظل حاملة لإسمها القديم.[٢]



مصر العليا والوسطى

نشأة مدينة أسيوط وطبوغرافيتها

ظهرت مدينة أسيوط (سا أوت) إلى الوجود منذ العصر الحجرى الحديث أى منذ حوالى ٥٠٠٠ سنة ق.م تقريبا وظلت عاصمة للإقليم المحيط بها شمالاً وجنوباً ، ومنذ ذلك الحين وأسيوط تتسع وتنمو يوماً بعد يوم ويزداد عدد سكانها ، ويقال أنها فى العهد القبطى خلال القرون من الثالث حتى منتصف السابع الميلادى – كانت مدينة كبيرة عامرة صناعاتها كثيرة وتجارتها واسعة ، كما بنيت فيها وفيما حولها كنائس كثيرة وقاسى أهلها كغيرهم من أهل مصر الشىء الكثيرمن اضطهادالرومان وقسوتهم فى معاملتهم[٣] .

وإقليم أسيوط غنى بآثاره القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ التى تشهد على عظمته ومدى أهميته واهتمام الملوك والأمراء به ؛ حيث سلسلة المقابر المنحوته فى الصخر لأمراء الإقطاع ، والمقابر الواقعة فى الجزء العلوى من سفح جبل أسيوط الغربى ومقابر اسطبل عنتر حيث مقبرة حاكم أسيوط وأمير الحبشه فى عهد سنوسرت الأول ، وجبانه شطب ، وآثار فاو بأبوتيج ،ودير الجبراوى بأبنوب ، والهمامية بالبدارى ، ومقابر مير شمالى القوصية ، والأديرة المنتشرة فى أنحاء الأقليم شمالاً وجنوباً التى وجدت خلال العصر القبطى ، على عكس ذلك نجد أن مدينة أسيوط ذاتها فقيرة فى آثارها مما يرهق الباحث فى تاريخها القديم والحديث على السواء ، لكن الثابت أن هذه المدينة أقيمت على تل مرتفع من الرمال بعيدًا عن غائلة الفيضان الذى كان يهدد جميع البلاد والمدن المصرية كل عام ولذلك آثر المصريون القدماء والمحدثون منهم دفن موتاهم فى أحضان الجبل.

أما عن امتداد نطاق مدينة أسيوط خلال العصر العثمانى[٤] فلم يكن يشغل سوى جزءًا يسيرًا من المدينة الحالية يقع فى الجزء الشمالى الغربى من مساحتها الحالية وفوق أعلى مكان على هذه الربوة التى تحتضنها الهضبة الغربية لوادى النيل من جهة الغرب.

والمدينة تقع فى أضيق مكان بين الهضبة الشرقية والغربية لوادى النيل فى مصر وهذه المنطقة لا يزيد عرضها على ٤ – ٥ كيلومترات ؛ حيث يبلغ ارتفاع هذا الموقع ما

يقرب من مائة متر فوق سطح السهل الفيضى(٥) ، وبذلك يصبح هذا الموقع أكثر حصانة وأمناً حيث يتعرج النيل فى هذه المنطقة فيحميها النهر من الشرق ، والهضبة من الغرب ، وساعد على نموها وازدهارها وقوعها بين سهل خصب من الأراضى الزراعية شمالاً وجنوباً ، وتقع تجاهها ثلاث جزر نيلية هى من الشمال إلى الجنوب:جزيرة الطوابية قرب منقباد ، ثم جزيرة بنى مر أمام الوليدية ، ثم جزيرة الواسطى فى الجنوب فى مواجهة الميناء النهرى للمدينة وهو الحمراء الذى أصبح أحد أحيائها فى العصر الحديث٠

وقد ساعد على ازدهار أسيوط تجارياً وقوعها فى موقع متوسط فيما بين الشمال والجنوب فهى تقع على خط عرض ٢٧ شمالا وخط طول ٣١ شرقا حيث تقترب حافة الهضبة الغربية من النيل عند أسيوط اقتراباً شديداً فلا تترك إلا ممرًا ضيقاً على حافة الهضبة من الشرق بجوار أسيوط يسمح بالمرور فيه للمسافر شمالاً وجنوباً وخاصة عندما يغمر الفيضان كل المناطق السهلية المنخفضة حول المدينة(٦) ٠

وازدادت المدينة أهمية لكونها محطة رجال القوافل القادمة عبر الصحراء الغربية من بلاد السودان فى دارفور، وكردفان ، والتكرور فيما عرف بطريق درب الأربعين فأكسبت أسيوط ثروة ضخمة من جراء تجارتها مع هذه البلاد ووقوعها فى طريق القوافل المتجهة نحو القاهرة فى الشمال٠

والمدينة خلال العصر العثمانى كانت تقترب من سطح الهضبة الغربية كثيرًا لدرجة أن المرء يكاد يرى هذه الهضبة بوضوح شديد وكأنها تلازمه، ويرتفع سطح المدينة عن البحر بنحو خمسة وخمسين مترا٠ وقد أطلق الأهالى على الأجزاء المرتفعة منها إسم الأكوام لأنها كانت عبارة عن أكوام من المخلفات وكسرات الفخار وبقايا المنازل القديمة المهدمة خلال العصور البائدة ، وأهم هذه الأكوام: كوم عباس(٧) وكوم بهيج ، والعلوة ، والمجاهدين(٨)، وقد عثر منذ فترة بعيدة بالقرب من الجزء الشمالى الغربى للمدينة الحالية وهو الذى كان يشغل المدينة ذاتها فى عصورها القديمة على معبد قديم حدد موقعه الدكتور سامى جبره ، كما عثر على بعض الأدوات من الظران ونماذج حجرية(٩) مما يدل

على أن هذه المدينة لا تقل قدما فى حضارتها عن حضارات سكانها المجاورين فى البدارى ودير تاسا.

ويتدرج سطح المدينة نحو الانخفاض كلما اتجهنا شرقا نحو النيل، على أن كل أحياء اسيوط خلال العصر العثمانى لم تكن تتعدى المرتفعات التى أقيمت عليها المدينة القديمة والمناطق المحيطة بها من كل جانب؛ فلم تكن مساحتها الكلية تزيد على أربعة كيلومترات مربعة .

وقد اضمحلت أحوال مدينة أسيوط فى العصر العثمانى كباقى المدن المصرية الأخرى نتيجة عدم اهتمام العثمانيين بأحوال البلاد وانشغالهم بفرض الالتزامات وجمع الضرائب لصالح السلطة العثمانية فى الأستانه كل عام ، وظهر ذلك بوضوح نتيجة لجعل جرجا عاصمة للصعيد ولإقليم يمتد من جنوب المنيا شمالاً حتى شمال أسوان جنوباً خلال النصف الأول من العصر العثمانى ، وبذلك لم تعد أسيوط عاصمة لذلك الإقليم الذى حمل إسمها من قبل.

على أن أحوال أسيوط كانت أفضل كثيراً من غيرها من مدن صعيد مصر نتيجة لضعف السلطة العثمانية بها وانتقال الحكم الفعلى للأمراء المماليك الفارين إلى الجنوب نتيجة الصراعات العسكرية المستمرة فيما بينهم فى العاصمه وخاصة خلال النصف الثانى من هذا العصر ، ولعل أحداث الصراع بين على بك الكبير وجيوشه وبين شيخ العرب همام وأنصاره فى الصعيد لخير شاهد على مدى ما وصلت إليه أقاليم جنوب مصر من استقلال شبه فعلى عن السلطة المركزية فى القاهرة . وقد قام عبد الرحمن كاشف وذو الفقار كاشف بتحصين المدينة لصالح على بك أثناء هذا الصراع ، فأقاموا المتاريس والمدافع وقاموا ببناء البوابات على عجل حتى لايدخلها الهوارة .

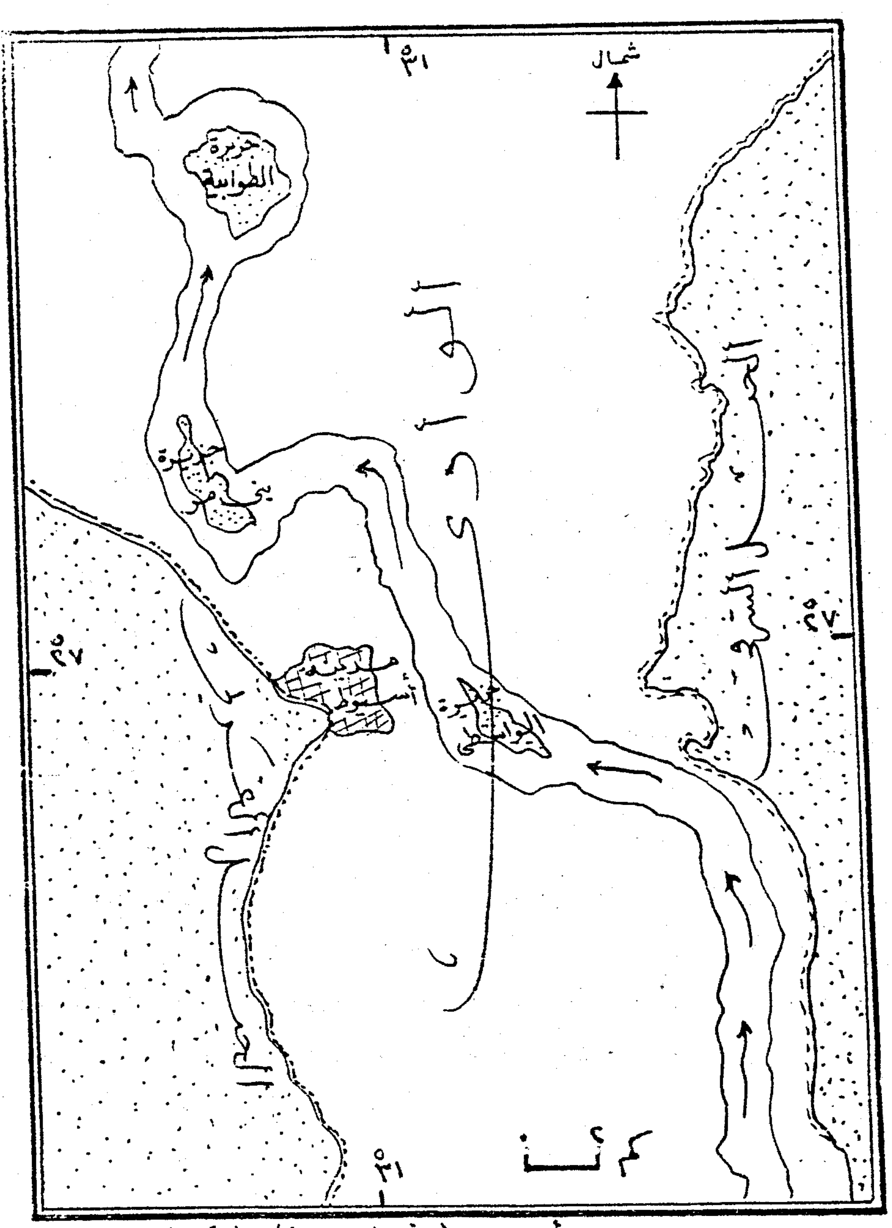
مورفولوجية المدينة وأحيائها

عرفت مدينة أسيوط منذ ما قبل العصر العثمانى على أنها أشهر مدن الصعيد ، وهى تقع على بعد نحو مائتى وألف متر غربى نهر النيل وتمتد فى مبانيها حتى بداية أحضان الجبل الغربى ٠ وتنقسم المدينة إلى عدة أخطاط أو أحياء هى:-

١ - **جنوب البلد:** وتمتاز بشوارعها ومبانيها العتيقة فى الجهة القبلية للمدينة ويوجد فيها الأسواق ، والقيسارية (القيساريوم) ، ويكثر بها الصناع والتجار والمحلات المتعددة ، والطواحين التى تدار بواسطة الثيران ، والجوامع الصغيرة المتناثرة ، ويسكن بهذه المنطقة الأسر القديمة من أبناء أسيوط من ذوى الأصل العريق٠

كما يوجد بهذا الحى أشهر أسواق أسيوط على الإطلاق ألا وهو القيسارية الذى يشبه إلى حد كبير أسواق القاهرة القديمة حيث الشوارع الضيقة الطويلة المغطاة فى كثير من مسافاتها لحماية المترددين على الأسواق من عوامل الطبيعة القاسية كالحر الشديد ، وتوجد بالقيسارية المحلات الكبيرة المتلاصقة والمزدحمة بالبضائع ، وفيها الوكالات المعروفة فى أسواق العالم الاسلامى ، والحواصل ، كما تتميز بالتخصص إذ تحتوى على قيسارية الخياطين ، وقيسارية اللحم ، وسوق الحمام ، ومثلها العقادين ، والمنجدين ، والسروجية ، والقماشين ، والنحاسين ، والزياتين ، والعطارين ، والخضرية ، والسماكين٠ وتمتد القيسارية من الشمال حيث العتبة الزرقاء إلى الجنوب يقطعها فى المنتصف أحد الشوارع الرئيسية الذى يأخذ اتجاه شرقى غربى ، فيبدأ من قناطر المجذوب شرقاً حتى قلب المدينة غربا قريباً من مسجد المجاهدين وفى وسط شارع القيسارية الرئيسى يقع مسجد سيدى جلال الدين السيوطى ومقامه كما يعتقد عامة الناس٠

وفى هذا الجزء من المدينة توجد مرتفعات (علوات) كثيرة هى نتاج مخلفات رملية قديمة أشبه بتلال رملية متناثرة تسمى الكيمان وربما كانت أماكن لإلقاء أهل المدينة لمخلفاتهم فى فترات سابقة وأهمها علوة قبة الهواء (رحبة المجذوب) ، ثم كوم بهيج ،



موقع مدينة أسيوط فى العصر العثمانى

وكوم بصل، كوم الركاب . وتميز أهالى هذه المنطقة بالنشاط الجم والمهارة لأنهم أهل حرف وصناعات وأغلبهم من التجار[١٣].

٢ - شمال البلد: وهى الجهة البحرية من المدينة ، يحدها من الشرق شارع رئيسى يمثل أهم شوارع المدينة حتى أطرافها الشمالية ، وقرية البيسارية (البيسرى) ثم المقابر (القرافة) فى أحضان الجبل من الغرب، وأهم معالمها العتبة الزرقاء بحرى هذا الحى ؛ وميدان المجاهدين الواقع أمام المسجد المعروف بهذا الإسم ، ويكثر بهذا الحى الشوارع المتعرجة والضيقة ، ومن أهم أجزائه: السويقة ، والعلوة وهو أعلى جزء فى المدينة القديمة ، ولعله شهد أول قاطنيها منذ العصور القديمة[١٤] حيث وجدت بعض بقايا استعمال الإنسان فى العصور الفرعونية المبكرة.

كما يتميز هذا الحى بوجود عدد من الكنائس القديمة التى بقيت على حالها منذ الفتح العربى يؤدى فيها نصارى أسيوط طقوسهم الدينية ، كما عاش فيه كثير من النصارى مما يدل على أنه من أقدم أحياء مدينة أسيوط حيث توجد مساكنهم القديمة المتجاورة فى غالب الأحيان ، ويوجد به مقابر خمسة من شهداء المسيحية الأوائل فى عصر الاضطهاد الرومانى تزار قبورهم فى أحد المنازل بحارة العطارين بالشارع الرئيسى الذى يقع فيه مسجد المجاهدين . كما يتميز هذا الحى بوجود عدد من الأضرحة للمجاهدين المسلمين الذين استشهدوا فى أثناء الفتح العربى[١٥] ، ولعل إسم مسجد المجاهدين المعروف مأخوذ من هذا الحدث.

٣ - شرق البلد: وهو الجزء الشرقى من المدينة يحده من الجنوب بداية شارع مسجد المجاهدين ، وينتهى بأطراف المدينة من الشمال حيث المزارع وبعض الجناين ، وقد ابتنى بعض الأمراء فى أطراف هذا الحى من الشرق بعض منازلهم فى الخلاء[١٦] . ويقع فى شرقى المدينة بعض الأكوام أهمهاكوم الغزاة[١٧] حيث يقع الجامع العمرى أو الجامع الأموى وهو أكبر جوامع أسيوط وأشهرها، وهذا الحى أقل أحياء المدينة اتساعاً ولكنه يشتمل على أجمل وأرقى مبانيها.

٤ - غرب البلد: ظلت المنطقة التى يشغلها هذا الحى على ما هى عليه منذ القدم دون تغيير كبير طرأ على مساحتها أو امتدادها العمرانى نظرًا لأنها تنتهى بحدود الجبل الغربى الشرقية ، وهى أكبر أحياء المدينة وتنتهى قبل بداية سفح الجبل ببعض الجناين والبساتين التى يمتلكها بعض أثرياء أسيوط ، وبها أهم شوارع المدينة مثل شارع المجاهدين الذى يمتد من الجنوب الشرقى إلى الشمالى الغربى ويتصل فى نهايته الجنوبية بشارع كوم عباس ، وشارع البركاوى ، والخرياطى ، وبه ضريح الشريف البدرى ، ويتصل هذا الحى فى نهايته الغربية بالقرافة الواقعة فى أحضان سفح الجبل الغربى[١٨].

وفى غرب المدينة عدة تلال رملية عالية هى بقايا لمبان قديمة ، بنى فوقها المماليك وعلية القوم بيوتهم العالية التى تشرف على أنحاء المدينة المختلفة ، وحينما قدم الفرنسيون إلى المدينة عند مطاردتهم للمماليك فى صعيد مصر استولوا على هذه البيوت المملوكية وأقاموا بها خلال وجودهم فى المدينة .وكانت بعض هذه البيوت تحتوى على مزاغل للبنادق والمدافع فيما يشبه القلاع.[١٩]

وكان أغلب مبانى المدينة من الطوب اللبن ، وقليل منها من الآجر، بعضها من دورين أو ثلاث أدوار على أقصى تقدير[٢٠]. كما كانت المدينة محاطة بأسوار تهدمت نتيجة الصراعات والحروب التى شهدتها بين أمراء المماليك وبعضهم البعض ، وبين جيوش على بك الكبير وقوات الهوارة ، وبقيت كثير من أجزائها ولها أربع أبواب من الجهات الرئيسية تغلق على سكانها أثناء الليل هى : باب المجذوب فى أقصى الشرق تجاه النيل ، والباب الغربى فى أقصى غرب المدينة ويسمى باب الجبل والذى يقع قرب القرافة وهذين البابين يربط بينهما شارع من أهم شوارع المدينة يتجه من الشرق إلى الغرب ويقسمها تقريبا إلى قسمين. أما شارع القيسارية فإنه يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب وفى ذلك الشارع باب كبير يسمى العتبة الزرقاء فى طرفه الشمالى وباب آخر فى نهايته من ناحية الجنوب . وفى الجهة الغربية من المدينة يوجد سوق آخر كبير يقال له قيسارية المجاهدين قريبًا من مسجد المجاهدين ، وتشتمل تلك القيسارية فضلاً عن الحوانيت والمقاهى على نحو عشرين وكالة[٢١].

واشتملت المدينة على عدة طواحين ، وميادين عامة يتسابق فيها الفرسان من المماليك والهوارة فى المناسبات الهامة ، ونحو أربعين ضريحاً لأولياء الله الصالحين بعضهم أقيم عليه المساجد ، وخاصة فى غرب البلد الذى يتصل بعزبة اليسرى الواقعة إلى شرق أحد الترع المتفرعة من النيل بسوهاج وتنتهى شمال مدينة أسيوط قرب قرية بى عدى ، ويعتقد أنها فرع قديم من فروع النيل [٢٢].

هوامش الفصل الاول

(١) انظر: د. نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ١.

(٢) د. عبد المنعم شوقى : دليل مدينة أسيوط ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٤ ، ص ٢٠ ·

(٣) عثمان فيض الله : أسيوط ، مطبعة الجهاد ، ١٩٤٠ ، ص ص ٤٤ - ٥٤.

(٤) أطلقت المصادر المعاصرة على مدينة أسيوط عاصمة ولاية الأسيوطية فى العصر العثمانى اسم "محروسة الأسيوطية" أسوة بمحروسة مصر " القاهرة "

أنظر: وثائق محكمة أسيوط الشرعية ، على سبيل المثال ، وثيقة رقم ٥٢٧ ، ١٠ غرة ربيع الأخر ١١٠٨ هـ·المثال ، وثيقة رقم ٥٢٧ ، ١٠ غرة ربيع الأخر ١١٠٨ هـ·

(٥) د. عبد المنعم شوقى: دليل مدينة أسيوط ، مرجع سابق ، ص ٧ ·

(٦) نفس المرجع ، والصفحة·

(٧) يروى عثمان فيض الله فى كتابه عن أسيوط (ص ١٠٠) نقلا عن أحد المصادر المعاصرة من أهالى المدينة أن كوم عباس أو كوم أبى عباس أخذ إسمه من عباس حلمى الاول - والى مصر ، لكن الصحيح أن هذا الحى من أحياء أسيوط القديمة كان معروفا بهذا الأسم فى العصر العثمانى.

أنظر :محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٣٢٧ ، غاية جمادى الآخرة ١١٠٧هـ.

(٨) محمد سعيد النعناعى وأخرون : أسيوط بين الماضى والحاضر ، المطبعة الحديثة بأسيوط ، ص ص ٤١ - ٤٢ ·

(٩) هذه الأدوات الحجرية محفوظة لدى آل خشبة بأسيوط : المرجع نفسه ، ص ص ٧ - ٨ ·

(١٠) محمد سعيد النعناعى ، أسيوط ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤ - ٢٦ ·

(١١) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٩٢٧ ، ١٣ ذى القعدة ١١١٠هـ·

(١٢) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٤٣٥ ، عاشر جمادى الآخر ١١٥٤ هـ ، رقم ١٢٠٣ ، رابع صفر ١٢٠٨هـ

(١٣) عثمان فيض الله : أسيوط، مرجع سابق ، ص ص ٩١ - ٩٢ ·

(١٤) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١١٩ ، ٦ ربيع الأخر ١١٠٧هـ·

(١٥) عثمان فيض الله : المرجع نفسه ، ص ٩٣ ·

(١٦) عرفت هذه المنطقة فيما بعد بـ "منشية الأمراء".

(١٧) كوم الغزاة نسبة إلى الغزاة الذين رافقوا عمرو بن العاص زمن الفتح حيث بنى مسجد عمرو أو العمرى فى هذه البقعة. : المرجع نفسه ، والصفحة.

(١٨) عثمان فيض الله : المرجع نفسه ، ص ٩١ .

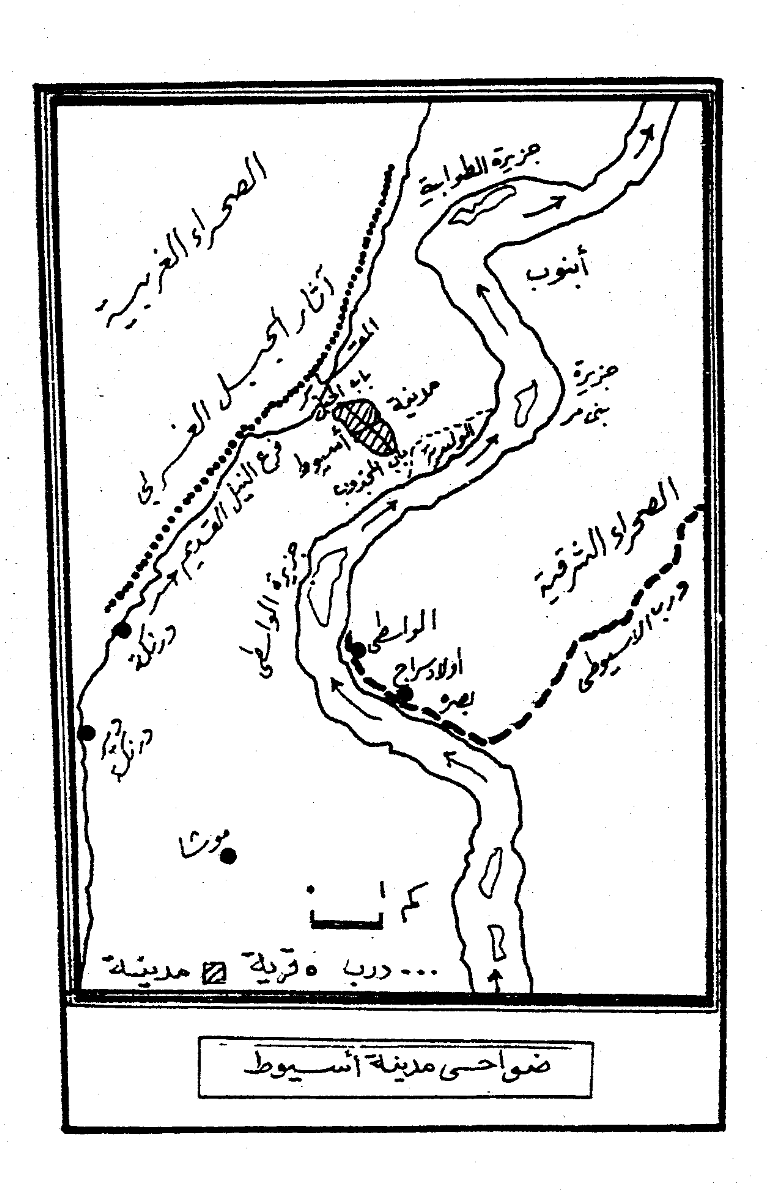
(١٩) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(٢٠) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤٢٧ ، ١٥ ربيع الأول ١٢٠٢ هـ.

(٢١) عثمان فيض الله ، المرجع نفسه ، ص ص ٨٨، ٨٩ .

د.عبد الرؤوف على حسن : الحفاظ على المبانى التاريخية بمدينة أسيوط ، (مؤتمر أسيوط الماضى والحاضر والمستقبل) ص ٢ .

(٢٢) عرفت بترعة السوهاجية فيما بعد: انظر: عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ١١٥ .



ضواحي مدينة أسيوط

الفصل الثانى

آثار إقليم أسيوط

أولا: المقابر الأثرية بالجبل الغربى:

لكى يبلغ المرء هذه المقابر الأثرية الواقعة على سفح الجبل الغربى لأسيوط يجب عليه أن يسلك عدة طرق أهما طريقين رئيسيين من شرق المدينة إلى غربها دون توقف ، هذين الطريقين هو الشارع السلطانى الذى يعتبر بمثابة أهم شوارع المدينة فى العصر العثمانى حيث يصعد فى منتصفه إلى أعلى نقطة فى وسط المدينة القديمة الإسلامية ، والجبل الغربى ينحنى بصورة واضحة نحو الشرق ويكاد يحتضن المدينة ببروز به مئات من الفتحات التى هى فى الواقع مقابر منحوته فى الصخر الجيرى للجبل الذى كان يمثل مدينة ليكوبوليس Lycopolis القديمة.

وترجع أهمية هذه المقابر الأثرية رغم أنها لا تحتوى على كثير من النقوش البديعة ، إلى كونها تمثل مصدرًا تاريخيًا هامًا يجلو لنا كثيرًا من الحوادث التاريخية إبان عصر الاقطاع، وقد كانت معدة لدفن أمراء أسيوط ، كما أن بعضها كان مخصصا لدفن حيوان بن آوى (أبوات) معبود أسيوط المقدس. والمقابر جميعها على هيئة عدة طبقات محفورة فى الجبل تعلو بعضها بعضًا ، أهمها ثلاث فى الطبقة العليا للجبل :

١ – **مقبرة (حب جيفا) :** وهى لحاكم أسيوط وأمير الحبشة فى عهد سنوسرت الأول (الأسرة ١٢) ، وقد أمر ببنائها ليدفن فيها بعد موته ، ويطلق عليها العامة من أهل أسيوط " اسطبل عنتر"[١] ، وهى أهم مقبرة فى هذه المجموعة الأثرية بالجبل الغربى.

كما تعتبر هذه المقبرة من أكبر المقابر الأثرية المنحوتة فى الصخر منذ العصر الفرعونى يدخل إليها الزائر من ممر سقفه مقوس منحوت فى الحجر ، وعلى الحائط الأيمن منه نقوش تمثل حب جيفا ممسكا بعصاه ، وعليه ألقابه الكثيرة منها : أمير أسيوط وخادم الإله أبوت، رئيس كهنته ، والمشرف الأعلى على شئون مصر العليا وبلاد النوبة

والمولود الشرعى للأم المقدسة idio ، ونائب الملك ، ومحافظ أثيوبيا ، وعظيم العظماء ، أما الغرفة الأولى للمقبرة فقد سجل على جدارها الأيمن كتابات طويلة فى (٤٤) صفاً هى عشرة عقود Coniracles كوثيقة أبرمها حب جيفا صاحب المقبرة مع عدد من كهنة المدينة أوقف بمقتضاها عليهم بعض أملاكه لينفقوا من ريعها على القرابين التى تقدم خلال الطقوس والاحتفالات الدينية ، وهذه التسجيلات تعرف باسم " عقود أسيوط" ٠

أما الجدار الأيسر فأهم ما سجل عليه نداء للزائرين أن يترحموا على صاحب المقبرة ويطلبوا له الغفران . إلى غير ذلك من الرسوم والكتابات على باقى الجدران والسقف ، والغرف الأخرى للمقبرة٠

ومن الملفت للنظر أن حب جيفا لم يدفن فيها بل مات فى بلاد النوبة ودفن قرب بلدة كرمة Kerma بجوار الجندل الثالث ودفنت معه زوجته وأمه idio ، وكثيرا من قواده وحرسه[٢]٠

وفى الطريق الصاعد إلى أعلى الجبل الغربى بعد مغادرة مقبرة " حب جيفا" ترى معالم مدينة أسيوط الاسلامية بوضوح شديد ، وتوجد فى هذا الطريق مقابر عديدة قديمة خالية من النقوش ، بعضها يحوى عظاما لأجسام محنطة ، والغالب أن معظمها ينتمى إلى العصر الرومانى ، وفى منتصف سفح الجبل بناء متهدم من الطوب اللبن ذى القوالب الضخمة فى وسطه حفرة مستديرة من الطوب الآجر الأحمر مما يدل على أنه بناء رومانى قديم ، وبعض المقابر التى تنتمى على الأرجح لفترة الاضطهاد الرومانى للمسيحيين٠

٢ – مقبرة خيتى:

وهى من أهم المقابر الواقعة على منتصف سفح الجبل الغربى تقريبا ويطلق عليه العامة " كهف العساكر" لوجود رسوم بداخلها لكتائب من الجنود بدروعهم وهى متوجهة للحرب ولقد بناها الأمير "خيتى" ، وهى أقل اتساعا من مقبرة "حب جيفا" ، وتنتهى بغرفة واحدة٠

صغيرة ، كان بها تمثال صاحب المقبرة ومعه زوجه تقريبا، وبها بعض النقوش التى تدل على إسم ولقب صاحبها وألقابه ومنها أنه أمير وراثى وأنه أمير خزانة الملك ، والرفيق الأوحد ، وعظيم ولايته ، كما يرد فيها اسم الملك " مريكارع" أحد ملوك الأسرة التاسعة (٢١٦٠ - ٢١٣٠ ق.م)[٣].

٣ - **مقبرة تف اب:**

وهى تتصل بمقبرة " خيتى" ، وتنتمى للأمير "تف اب" أمير مقاطعة أسيوط حيث يرى رسمه على الحائط الأيمن ، والمعروف عنه أنه ورث الإمارة ، وكان أمينا لخزائن الملك ، ورفيقاً أوحد ، ورئيس كهنة ابوت حامى مدينة أسيوط وإلهها وينتمى هذا الأمير إلى الأسرة التاسعة[٤] ويقال أن هؤلاء الأمراء الثلاثة انحازوا إلى صف ملوك اهناسيا فى الشمال فى صراعهم مع أمراء طيبة فى الجنوب الذين حاولوا إعادة توحيد البلاد[٥].

٤ - **مقابر شطب وريفا:**

وشطب بلدة تقع جنوبى مدينة أسيوط بنحو سبعة كيلومترات وينتسب إليها من أبناء الأقليم من يحمل لقب " الشطبى" ، وإسمها مشتق من التسمية المصرية القديمة "شس حبت" حيث كانت عاصمة المقاطعة الحادية عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، وكان معبودها الكبش " خنوم" وذكرت فى نص " خيتى" أمير أسيوط ، وتقع جبانة أمراء شطب عند سفح الجبل الغربى عند قرية ريفا ، ويرجع تاريخها إلى عصر الدولتين الوسطى والحديثه.

٥ - **دير الجبراوى:**

وهو موقع أثرى بالجبل الشرقى للوادى عند قرية عرب مطير[٦] ، ويحوى مقابر منقوشة أهمها مقبرة " زاو".

٦ - مقابر الهمامية:

وهى مقابر من عصر ما قبل الأسرات Pre-dynastic period وتنتمى إلى حضارة العصر الحجرى التى ازدهرت فى البدارى ، كما يوجد بها مقابر من عهد الأسرة السادسة ، وتقع هذه المنطقة الأثرية بالجبل الشرقى[٧].

٧ - مقابر مير:

وهى تقع فى زمام بلدة القوصية شمالى أسيوط بنحو خمسين كيلو مترا حيث كانت عاصمة المقاطعة الرابعة عشرة ، وقد أطلق عليها الاغريق اسم "كوساى" وكان معبودها الإلهة " حتحور" على شكل البقرة . وقرية "مير" التى تقع إلى الغرب من القوصية على حافة الصحراء الغربية بها مقابر أمراء هذا الاقليم فى الجزء الأوسط من سفح جبل " مير" مكما توجد مقابر لأمراء مقاطعة " كوساى" على سفح الجبل شرق النيل .ومقابر " مير" تنتمى إلى أمراء الأسرة السادسة ، وبعضها لأمراء من الدولة الوسطى ، والأخرى من عهد الدولة الحديثة[٨].

ثانيا: القناطر

١ - قنطرة الجبل:

وهى قنطرة قديمة بناها حاكم أسيوط سليم أغا كاشف الاقليم (ت ١٢١٥ هـ) ، من الطوب الأحمر على الترع الواصل من سوهاج[٩] إلى غرب أسيوط ما بين المدينة القديمة والجبل الغربى ، لحجز المياه غربى المدينه لرى كل أرض الحياض الواقعه غربى النيل والممتده من سوهاج جنوبًا حتى بنى عدى شمالاً، وكانت تمتلىء بالمياه زمن الفيضان وتفيض على جانبيها فيتعذر تمييزها من الأحواض المحيطه بها فلا يتضح مجراها ويستبين تماما إلا بعد انحسار مياه الفيضان فى أراضى الحياض،وتمكث بها المياه من أواخر يونيو حتى منتصف ديسمبر تقريبا ، ثم يجف المجرى بعد ذلك ويصبح جزءًا من

أراضى الحوض المنزرع ، ومن المعتقد أن هذا المجرى المائى هو أحد فروع النيل القديمه.(١٠)

كما قام سليم كاشف ببناء قناطر أخرى على أطراف الجبل الغربى ما بين نزلة أولاد عبد اللاه ونزلة أولاد ابراهيم جنوب غربى أسيوط ، كما أنشأ إلى جوار قنطرة الجبل سبيل حمل اسمه حتى بعد وفاته(١١). والأسبلة كانت إحدى البنايات العمرانية التى وجدت بأسيوط ، وهو عبارة عن بناء جميل يحمل زخارف عربية وإسلامية ، ويضم فى غالب الأحيان ثلاث طوابق : الطابق الأول عبارة عن حوض كبير يفرغ فيه السقاءون الماء ليروى كل ظمآن منه عطشه ، والطابق العلوى يشتمل على مدرسة أو كتاب يتعلم فيه الصبية القراءة والكتابة والحساب، ثم تطور الفن المعمارى للسبيل فأصبح بناءاً مستقلاً فى القرن الثامن عشر، واستدارت واجهته واشتملت على تقويضات بأعلى الشبابيك ، وأصبحت له قاعدة تلفه بواسطة درجات من المرمر النفيس.(١٢)

٢ - **قناطر المجذوب:**

وهى قناطر أقيمت فى أقصى جنوب شرق المدينة فى عهد المماليك - على الأرجح لحجز المياه الواصلة من النيل أمام بركة يطلق عليها "بركة المجذوب"وقد شوهدت هذه القناطر فى رسوم الحملة الفرنسية عن أسيوط ، فى مواجهة مسجد المجذوب(١٣) . وكانت هذه القنطرة تقع خارج نطاق المجمع السكنى للمدينة من الجنوب الشرقى ، حيث كانت كل المناطق المحيطة بالمدينة القديمة تغمرها المياه عند الفيضان وتصبح فى الغالب مجموعة من البرك والمستنقعات.

هوامش الفصل الثانى

(١) لعل منشأ هذه التسمية جاء بعد أن عسكرت فى هذه المقبرة المتسعة والمرتفعة فصيلة من فرسان الجيش الفرنسى بخيولها أثناء وجودهم بأسيوط : عثمان فيض الله: مرجع سابق ، ص ٦٣ ٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٤ ٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٥ ٠

د. محمد عبد اللطيف : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٩٣ ٠

(٤) د. محمد عبد اللطيف نفس المرجع ، ص٦٦ ٠

(٥) محمد سعيد النعناعى وآخران ، مرجع سابق ، ص ٨ ٠

د. محمد عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص ص ٩٣ - ٩٤ ٠

(٦) عرب مطير إحدى القرى التابعة لمركز الفتح الآن بعد فصل الفتح عن أبنوب٠

(٧) محمد سعيد النعناعى وآخران : مرجع سابق ، ص ١١ ٠

(٨) المرجع نفسه ، ص ص ١١ - ١٢ ٠

(٩) كان يطلق عليها ترعة السوهاجيه٠

(١٠) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ص ٦٨ ، ١١٥ ٠

محكمة أسيوط الشرعيه ، وثيقة رقم ٣٨٩ ، ٢٠ ربيع الثانى ١١٢٣ هـ٠

(١١) المرجع نفسه ، ص ٦٨ ٠

(12) Déscription de l' Egypte, T. XV111, 2 em. pa.p. 123

(١٣) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ٧٠ ٠

الفصل الثالث

المنشآت الدينية

والمبانى ذات المنافع العامة

أولا: المساجد:

١ – مسجد سيدى جلال:

فى أسيوط مسجد يعرف بجامع سيدى جلال الدين السيوطى ، وبه ضريح تزعم العامه أنه ضريحه ، ومن عادتهم إقامة مولد له كل سنة ليلة ٢٧ شعبان. أما الخاصة فى أسيوط فيعرفون هذا المسجد باسم مسجد الحمصى، ومن المعروف أن جلال الدين أنجب ولداً مات من بعده ، ولكن أقاربه من الجلالية المنتسبين إليه هم من أقاربه لوالده.

وقد أنشأ مسجد جلال الدين بأسيوط فى القرن الثامن الهجرى القاضى زين الدين محمد بن أبى بكر بن على بن محمود الجعفرى الأسيوطى ، وكان يعرف باسم المدرسة الزينبية ، وفى القرن التاسع الهجرى تولى إمامة هذا المسجد القاضى سراج الدين الحمصى ، ولذلك عرف المسجد بمسجد الحمصى. ويقال إن الضريح القائم بالمسجد مقام على مقبرة لا يعرف من هو صاحبها على وجه التحديد ويرجح أنها لأحد آباء جلال الدين السيوطى[1] .

٢ – جامع سيدى محمد البقلى:

أحد المساجد الكبرى بأسيوط ويقع فى أطراف المدينة شمالى عزبة البيسرى ، وهو مبنى من الآجر والحجر ، ويرجح أن كثيرًا من أحجاره منقولة من مبان أثرية قديمة بعضها من الأحجار الجرانيتية عليها رسوم ونقوش هيروغليفية ، أما الأعمدة المختلفة الألوان بصحن المسجد فى الداخل فكلها تقريباً من الطراز البيزنطى، ويرجع عهد بناؤه إلى زمن الفتح العربى، ثم عمره المماليك وجعلوا معسكراتهم إلى جهته القبليه ، وأصبح هذا المسجد ضمن أوقاف أشراف أسيوط.[2]

٣ - مسجد سليم كاشف:

وقد أقامه الأمير سليم كاشف حاكم أسيوط (ت ١٢١٥ هـ) بين مسجدى سيدى جلال الدين السيوطى جنوباً والعتبة الزرقاء شمالاً، وله وقف ، ومعه أحد الكتاتيب بلغ مائتى فدان بكتاب وقف صادر سنة ١٢٠٦ هـ[٣].

٤ - ومن المساجد الهامة بالمدينة مسجد المجاهدين ، الذى شيده خلال العصر العثمانى الأمير محمد كاشف سنة ١١٢٠ هـ، وجامع البدرى[٤] والجامع العمرى، الجامع الأموى.

ثانيا: الأديرة:

١ - الدير المحرق:

نشأت الأديرة فى مصر فى فجر القرن الرابع الميلادى ، وفيها ظهر نظام الرهبنة الذى انتقل من مصر إلى شمال افريقية ومنها إلى ايطاليا وبقية أنحاء اوروبا ، وقد أسس المتنيح(الأنبا باخوميوس) كثير من الأديرة فى الصعيد مع بداية عصر الرهبنة فى مصر حتى بلغ عددها نحو (٣٦٠) ديرًا فى أنحاء أسيوط المختلفة ، كما أسس تلاميذه ذلك الدير، الذى استقر فى موضعه - كما يقال - السيد المسيح عند حضوره إلى مصر مع أمه السيدة مريم هربًا من اضطهاد الرومان ، وعرف بدير السيدة العذراء أو الدير المحرق.

ويقع هذا الدير (المحرق) فى أسفل الجبل الغربى المسمى جبل قسقام تجاه بلدة القوصية وعلى بعد أربعة عشر كيلومترا منها ، ويقوم الدير على مساحة كبيرة من الأرض تبلغ نحو ثمانية عشر فداناً يحيط به سور ارتفاعه نحو خمسة عشر قدماً ، وهو أشبه بأسوار قلاع وحصون العصور الوسطى للدفاع عنه ، وهو ما كان عالقاً فى أذهان المسيحيين الأوائل من آثار الاضطهاد الرومانى ، وزيادة فى الحيطة والحذر فقد بنى حصن عال ينهض على قاعدة مربعة الشكل بداخل الدير شيد منذ تسعمائة عام تقريباً ، فى الجهة الغربية منه ، وعلى بعد أربعة أمتار تقريبًا يقوم بناء محدد بأربعة جدران يبلغ ارتفاعه نحو ستة أمتار ، وفى الجهة الشرقية منه باب صغير يرتفع خلفه سلم يصل إلى أعلى البناء ، ويتصل سطح هذا البناء بالحصن بواسطة طريق خشبى متحرك يرفع بعد الدخول إلى الدير ، وبذلك يقفل الدير وينقطع الاتصال بينه وبين المبانى الأخرى ،

وبأعلى هذا الحصن فتحات ضيقة قليلة العدد لتوصيل النور والهواء إلى سكان الدير ، ويبرز على الجدار القبلى للحصن دائرة مقسمة إلى أقسام فإذا ما وقع الظل على قسم منها عرف الرهبان ساعات النهار ، وكانوا يسيرون عليها فى تحديد أوقات صلواتهم ، كما يوجد بداخل الحصن مساكن ومخازن للأكل ، وللإحتماء فيه فى أوقات الخطر من الخارج ، ويوجد بالدير منطقة الكنائس وبها الكنيسة الأثرية الخالدة، وهى من أقدم كنائس الدير وقد شيدت منذ نحو ألف وستمائة سنة.[٥]

وفى داخل الدير يعيش عدد كبير من الرهبان من مختلف الأعمار ، وبه مدرسة لتعليم الرهبان اللغة القبطية والدين ، وهناك مدافن للرهبان ، والمقابر القديمة للآباء والرؤساء الذين تناوبوا على رئاسته ، ولا يحتاج الرهبان للخروج لقضاء احتياجاتهم لوجود كل مستلزماتهم بالداخل من مخابز ومطاحن ، ومخازن للحبوب وحظائر الماشية ، ويتولون زراعة الحبوب والخضروات ، وغزل ملابسهم ، وللدير آلاف الأطيان أوقفها نصارى أسيوط وغيرهم للصرف عليه. ويعتبر الدير المحرق أكبر وأهم أديرة مصر والشرق من حيث اتساعه وهندسة بنائه وقدمه لأهميته التاريخية فى تاريخ نصارى الشرق.[٦]

٢ - دير درنكة وكنيسة العذراء:

وهو من أقدم الأديرة فى مصر كلها ، ويقع جنوبى قرية درنكة على سطح الجبل الغربى ، ويعتقد النصارى أن السيدة العذراء مريم وابنها السيد المسيح قد احتميا فى هذا الموقع الآمن المحفور فى الجبل منذ عصر الفراعنة من ملاحقة الرومان لهم فى رحلتهم المقدسة لمصر ، ويقام مولد سنوى فى هذا المكان يأتى إليه الناس من كل مكان ، يعتبر سوقاً رائجاً من الأسواق السنوية الدينية التى تشهدها أسيوط والصعيد بوجه عام.

ومن الأديرة الأثرية في إقليم أسيوط : دير أبو فانا ، ودير أبوحنس على الضفة الشرقية للنيل ؛ والذي شيد خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي.

المبانى ذات المنافع العامة

١ - الوكالات:

كانت الوكالة فى العصرين المملوكى والعثمانى عبارة عن بناء ضخم يأوى إليه المسافرون والقوافل، وبها مخازن واسعة ، تودع بها البضائع ، وتحتوى عادة على مداخل مشيدة من الأبراج والعقود الشاهقة ، وللوكالة فناء واسع تربط فيه دواب المسافرين حيث يقدم لها العليق بواسطة الكلافين الذين كانوا أحد الطوائف المهنية بأسيوط.

وفى الدور الأرضى للوكالة توجد غرف مفتوحة على الفناء أو الصحن تودع فيها البضائع الخاصة بالتجار(٧) وأخرى تطل على الشارع الخارجى تسمى الحواصل وتؤجر على هيئة حوانيت للتجار تعلوها غرف لسكنى التجار والمسافرين الذين كان أغلبهم من المغاربة وأبناء بلاد السودان المختلفة الوافدين عبر درب الأربعين ، وبهذه الغرف كل مايلزم هؤلاء لإقامتهم وإعاشتهم.

وكان السوق الكبير بمدينة أسيوط أو شارع القيسارية يشتمل على مجموعة من القيساريات الصغيرة أهمها: قيسارية محمد كاشف بزداده، حيث كانت القيسارية تشتمل على حوالى ٢٠ وكالة إلى جانب بعض المبانى الدينية الملحقة بها كالجوامع والكتاتيب ، وغيرها من المنافع العامة كالحمامات ، والأفران ، والمقاهى ، كما استخدمت الوكالة فى بيع وشراء العبيد السود المجلوبين من بلاد السودان(٨).

ومن أهم الوكالات التى لعبت دورًا كبيرًا فى الحياة التجارية بأسيوط فى القرن الثانى عشر الهجرى وكالة حسين الانكشارى القريبة من الشارع السلطانى الكبير(٩).

وكانت هناك وكالة معروفة بمدينة منفلوط(١٠)، التى كانت كاشفية قائمة بذاتها تعرف بـ " ولاية المنفلوطية " فى أواخر العصر العثمانى.(١١)

٢ - المقاهى:

ليس لدينا حصرًا شاملاً لعدد المقاهى التى كانت قائمة فى مدينة أسيوط خلال العصر العثمانى ، ولكنه بلا شك وجد عدد كبير منها نظرًا لطبيعة النشاط التجارى بالمدينة

وتردد أعداد كبيرة من الغرباء من البلاد المجاورة عليها بهدف التجارة وخاصة من بلاد المغرب العربى بأقسامه المختلفة ، ومن بلاد السودان والحبشة ، وشبه الجزيرة العربية.

والمقاهى فى مصر عموماً لم يكن بها أى أثاث ، وعندما جاء الفرنسيون إلى البلاد وصفوها بأنها أماكن " بالغة القذارة" إذا اقتربت منها شعرت بالاشمئزاز ، وربما بالغ الفرنسيون فى هذا التعميم. والمقاهى عبارة عن صالة واسعة تحوطها الجدران ، وفى وسطها بعض المصاطب أو الدكك الخشبية المغطاة بالحصير ، يجلس عليها المترددون ليشربوا قهوتهم فى فناجين تقدم لهم على صينية من النحاس ، وقد وصفوا المصريين بأنهم عادة ما يشربون القهوة بلا سكر ، لا تفارقهم الأرجيلة ذات المبسم المصنوع من العظام أو الرخام الشفاف حيث يضعون فيها التبغ الذى يخرجونه لهذا الغرض من جيوبهم ، وقد ينامون فوق هذه الدكك الخشبية أو يستمعون إلى إنشادات الشاعر الذى يرتجل حكايات لا يمل سردها عليهم ولا يملون هم سماعها متلذذين بها باستمرار.(١٢)

ولا شك أن مدينة أسيوط شهدت وجود عدد كبير من المقاهى وخاصة تلك الواقع منها فى حى القيسارية ووكالاتها التجارية (السوق السلطانى) ومن أمثال تلك المقاهى ، قهوة الحاج عوض ، وقهوة زلجة.(١٣)

٣ - الحمامات:

كان للحمامات أهميتها فى حياة الناس اليومية فى العصر العثمانى كما كانت من قبل حيث أنهم يترددون عليها بصفة دورية بغية النظافة ، والتسرية عن النفس فى هذه الأماكن ، وكانت الحمامات تنقسم إلى نوعين : العام ، والخاص، حيث روعى فى تصميمها المعمارى وجود ثلاث قاعات: باردة ثم دافئة والثالثة ساخنة حتى لا يؤذى المستحم بها أثناء الانتقال من الجو البارد إلى الجو الحار أو العكس ، ويتم تسخين قاعدة الحمام عن طريق مد أحواض من النار تحت أرضيتها ، أما مواسير الماء الساخن والبارد فتجرى فى جدران الحمام وتحت أرضيته.(١٤)

وتسمى أقسام الحمام الثلاثة: البرانى ، والوسطانى ، والجوانى ، الأول عبارة عن ساحة مسقوفة بعقود تتلاقى فى قبة تصطف فى جوانبها النوافذ ذات الزجاج الملون ،

وجدران الحمام تزدان بالنقوش والمرايا ، وعبارات الترحيب بالزوار ، والمصاطب المفروشة بالأرائك حيث تحضر المناشف فيخلع المرتاد ثيابه حتى يرتديها بعد أن يخرج.
أما القسم الوسطانى ففيه مصطبتان : ذات اليمين وذات اليسار ، ومقاعد للإستراحة من المرحلة الأولى للحمام .
وأما القسم الجوانى ففيه الأحواض التى تندفع إليها المياه الساخنة والباردة ، وبه مقاصير خاصة بالاستحمام من الرخام وجدرانها مطلية ، ويعمل فى خدمة الرواد صبية للتدليك تحت إمرة المعلم . وأجر الحمام محدد لكل فرد يأخذه المعلم مع ودائع الرواد فى البداية.[١٥]

وكانت مدينة أسيوط إحدى المدن المصرية التى تكثر بها الحمامات التى وصفيا الفرنسيون بأنها " حمامات عظيمة" ، وقد أقام الأمراء المماليك الكثير من هذه الحمامات وخاصة فى حى الوكالات والأسواق (القيسارية) ، نظرًا لطبيعة الحياة فى هذه المدينة التجارية وحاجة أهلها والتجار والمسافرين المترددين عنيها لمثل هذا النوع من الخدمات الضرورية . ولازالت بقايا بعض هذه الحمامات موجود إلى اليوم بشارع القيسارية.

٤ - <u>الطواحين:</u>

لم تكن هناك طواحين هوائية أو مائية فى مدينة أسيوط على ما نعلم لأن علماء الحملة الفرنسية أكدوا على أن مدن مصر جميعها لم تشهد مثل هذا النوع من الطواحين باستثناء مدينة الاسكندرية.[١٦]

وفى العصر العثمانى كان أثرياء المدن يمتلكون فى بيوتهم طواحين خاصة بهم تدار بواسطة الخيول أو الحمير . كما وجدت بعض الطواحين المخصصه للخدمة العامة بأجر . أما الفقراء من الناس فيستعملون طواحين صغيرة ذات ذراع تدار باليد وتسمى "رحاه" تديرها النسوة فى منازلهن لهذا الغرض .

ومن أهم هذه الطواحين التى تعرفنا عليها من خلال وثائق المحاكم الشرعية بأسيوط : طاحون الحاج محمد حجازى الواقع بدرب الحاج محمد حجازى قريبًا من الشارع السلطانى[١٧] وهو أهم شوارع المدينة ويقسمها إلى قسمين رئيسيين من الشرق

إلى أقصى الغرب ، والطاحون الكائن بدرب الرئيس محمد القرماني بشارع درب القرماني[١٨] ، والطاحون الواقع بحارة درب الصفيح[١٩] ، كما امتلك النصارى بعضاً من هذه الطواحين العامة وتطالعنا وثائق محكمة أسيوط الشرعية بأن "الذمية مريم ٠٠٠٠٠ النصرانية " قامت ببيع أرض وطاحون ملك لها " للذمى سعد الله الكلاف المصرانى بأسيوط٠٠٠٠٠"[٢٠]

وقد شهدت مدن إقليم أسيوط المختلفة مثل هذه الطواحين المخصصة للخدمة العامة٠ولقد ارتبطت بأعمال هذه الطواحين الكبرى عدة مهن أهمها: الطحانه ، والنقاشة حيث يقوم النقاشون بالدق على الاسطوانة الحجرية (القادوس) بآلة حديدية ثقيلة لتسوية السطح لكى تتم عملية الطحن بصورة جيدة٠

أما الطحانون فيتولون العمل فى أقسام الطاحون المختلفة من رعاية الدواب ، وصيانة الآلات ، ومراقبة أعمال الطحن بصورة سليمة للغلال٠ واستلام الأجرة المحددة من المترددين على المطحن٠

هوامش الفصل الثالث

(١) دار المعلمات بأسيوط من عظماء أسيوط ، ص ص ٤١ – ٤٢ .

(٢) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٩ .

(٤) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٢٦٣ ، ٣ رجب ١١٧٧ هـ ، مرقم ٥٦٩ ، غرة ذى القعدة ١١٥٩هـ ، وثيقة رقم ٣٩٨ ، ٩ ذى القعدة ١١٠٧هـ .

(٥) من بحث للأستاذ / بسيط تاوضروس فى كتاب : أسيوط بين الماضى والحاضر ، ص ص ١٣ – ١٥ .

(٦) عثمان فيض الله: أسيوط ، مرجع سابق ، ص ص ٨٦ – ٨٧ .

(٧) د. رأفت محمد النبراوى: الوكالات فى العصر الاسلامى ، اللواء الاسلامى ، العدد ٦٢ ، ٦١ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ /٣١ مارس ١٩٨٣ ،محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٢٣٥٣ ، ثمانى صفر الخير ١١١٠ هـ.

(٨) د. عبد الرؤف على حسن: الحفاظ على المبانى التاريخية بمدينة أسيوط ص ٣ .

(٩) محكمة أسيوط الشرعية، وثيقة رقم ٦٨٨ ، ٢١ محرم ١١٥٦ هـ.

(١٠) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ١١٠ ، عشرة صفر ١١٧٩ هـ.

(١١) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٦٢٣ ، عام ١١٨٠ هـ.

(12) Déscription de l'Egypt, T. XV 111, p. 532.

عثمان فيض الله: مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(١٣) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٥٠٣ ، ١٥ شهر القعدة ١٢٠٥ هـ.

(١٤) د. رأفت محمد النبراوى : الحمامات ، مجلة اللواء الاسلامى ، العدد ٦٢ ، ٦١ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ / ٣١ مارس ١٩٨٣ .

(15) Déscription de l' Egypte , T. X V111, pp. 153 - 158

عثمان فيض الله ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(16) Déscription de l' Egypte . T. X V11. p 259.

I bid. T. X V111, pp. 401 - 402.

(١٧) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٥٠٣ ، ٦ شوال ١٢٠٥ هـ.

(١٨) المصدر نفسه ، وثيقة رقم٤٠٧ ، ٢٩ رمضان المعظم ١١٤٥ هـ.

(١٩) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٤١١ ، ٢٠ رمضان المعظم ١١٥٤ هـ.

(٢٠) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ١٤٤٩ ، ٢٧ صفر الخير ١١١٠ هـ.

الباب الثانى

أهالى أسيوط وحياتهم الاجتماعية

الفصل الرابع

العناصر السكانية والقبائل العربية

أولا: العناصر السكانية:

من الثابت أن مصر بصفة عامة قد تعرضت لعدة هجرات على مر العصور التاريخية إذ شهدت هجرة سامية قادمة من قلب شبه الجزيرة العربية إليها قبل عصر الأسرات في منتصف الألف الرابع ق.م وهذه الحركة شملت فيما شملت أجزاء كبيرة من شمال شرق شبه الجزيرة (بلاد الرافدين) وتخطت هذه الحركة الكبيرة مصر حتى شمال إفريقية [illegible].

واتجه بعض المهاجرين من العرب الساميين نحو جنوب مصر، وأقاموا به نظراً لتشابه الظروف المناخية والبيئية في صعيد مصر مع بيئتهم الأصلية واختلطت العناصر السامية بالجنس الحامي القادم من أقصى الجنوب، لتشكل خليطاً جنسياً من الساميين والحاميين، وهم الذين عاشوا عبر المرحلة التاريخية التالية في هذه المناطق الجنوبية، واتجه بعضهم صوب شمال البلاد في الدلتا [illegible].

وإذا كانت شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للعرب الأولى فإن الهجرات التي خرجت منها لتنتشر في كل أنحاء المنطقة من العناصر القبائلية المختلفة ومن بينها مصر، جعلت الروابط بين هذه العناصر وبين موطنها الأول قوية ومستمرة منذ منتصف الألف الرابع ق.م وحتى اليوم [illegible].

أما آخر هذه الهجرات السامية العربية وهي آخر الهجرات جميعاً حتى اليوم فهي هجرة العرب المسلمين إلى البلدان المجاورة ومن بينها مصر مصاحبة للفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي، ونال صعيد مصر حظاً كبيراً من هذه الهجرة فاستقر عدد كبير من القبائل العربية فرادى وجماعات على ضفاف النيل وعلى تخوم الصحراوين قريباً من النيل، وامتزجوا بالسكان المحليين من السلالات العربية القديمة التي هاجرت من قبل ومنذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام سابقة على هجرتهم، وشكلت مع

العناصر الحامية الجنوبية مجموع الشعب المصرى القديم ، ولذلك لم تجد دعوة العرب للإسلام صعوبة فى اختراق وجدان إخوانهم القدامى فى مصر ، فأسلم عدداً كبيراً منهم بمجرد الدعوة لدين الله.

وكانت مصر فى عصرها الإسلامى الأول قد شهدت هجرة أخرى من الغرب وبالتحديد من مناطق شمال افريقية ، بعد أن أصبحت مصر قاعدة لفتوحات الإسلام فى الغرب والجنوب ، وصارت محط الرحال فى طريق الحج إلى بلاد الحجاز سواء للقادمين عن طريق الساحل الشمالى ، أو المارين بالصعيد قادمين من قلب الصحراء الافريقية الغربية أو بلاد السودان الغربى ، مستخدمين طرق ودروب الصحراء الغربية وأهمها طريق أو درب الأربعين.

وأصبحت أسيوط أحد مراكز الانتقال من غرب وشمال افريقية إلى القصير على البحر الأحمر ، ومنه إلى بلاد الحجاز ، سواء بغرض الحج أو ممارسة أعمال التجارة مع شبه الجزيرة العربية،ولذلك نجد أن سكان الصعيد تشكلوا من العناصر الحامية الجنوبية ، والسامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية علي مرحلتين متميزتين – كما أسلفنا القول ، بالإضافة إلى القبائل المغربية الوافدة من بلاد المغرب ، وهى فى الأصل عناصر سامية عربية هاجرت لشمال أفريقية قبل وبعد الإسلام . وخلال حكم المماليك ثم العثمانيين لمصر وجد بالصعيد بعض العناصر التركية من الملتزمين ورجال الأوجاقات ومشايخ البلاد، وغيرهم من موظفى الإدارة المملوكية ثم العثمانية ، واختلط بعضهم بالسكان الأصليين ، وتزوجوا منهم وذابوا فى كيان المجتمع الصعيدى ؛ وإن كانوا يمثلون قلة نادرة أما العناصر السلالية الأجنبية فلا يشكلون نسبة تذكر بين السكان فى صعيد مصر ، وهى تقل كلما اتجهنا نحو الجنوب ، حتى تصبح منعدمة تماما فى أقصى جنوب الصعيد باستثناء أسيوط التى كانت اكثر اتصالا بخارج البلاد من غيرها من مدن الصعيد الكبرى نتيجة لعوامل السفر والتنقل والتجارة الخارجية ، إلى جانب تمركز عدد كبير من نصارى مصر فى هذه المنطقة منذ العصر الرومانى ، هرباً وتخفياً عن أعين السلطة الرومانية

التى اضطهدت مسيحيى مصر فى القرون الأولى لظهور المسيحية محاولة القضاء على أنصار هذا الدين الجديد[1] ولهذا تزايد عدد السكان بالإقليم خلال حكم الرومان لمصر٠

ونظرا لهذه العوامل عاش عدد غير قليل من اليهود والروم والأرمن والإغريق فى كنف الادارة العثمانية يعاونها بعضهم فى أعمال الإدارة ، وخاصة أعمال الكتابة والصرافة والحسابات والترجمة ، وقد مهروا فى هذه الأعمال ، ولم يغادروا البلاد بعد مجيىء الحملة الفرنسية وتغير الظروف الداخلية لمصر التى كانت فى صالحهم بعد تولى محمد على أريكة الحكم واستخدامهم فى ظل النظام الجديد ، وفى أسيوط – لازلنا حتى اليوم نرى أعدادا من تلك الأقليات المسيحية من غيرالمتمصرينباستثناء اليهود بالطبع وقد اندمجوا فى داخل المجتمع الأسيوطى يمارسون تجارتهم وأعمالهم وطقوسهم الدينية بكل حرية٠

وقد قدر علماء الحملة الفرنسية عدد سكان مصر كلها فى نهاية العصر العثمانى بنحو ٥ر٢ مليون نسمة دون العربان المتجولون فى الصحراوات[2] مما يدل على انخفاض هذا العدد عما كان عليه فى العصر المملوكى انخفاضاً كبيراً٠

ومدينة أسيوط فى هذا العصر لم تكن لتزيد بأى حال من الأحوال فى عدد سكانها على أى مدينة مصرية من المدن الكبرى باستثناء القاهرة ، ولذلك يمكن القول بأن عدد سكانها لم يتجاوز خمسة عشر ألف نسمة إذا ما قورنت بعدد سكان قرية بنى عدى التى قدر الفرنسيون عدد سكانها عند مجيئهم لمصر بنحو اثنى عشر ألفا[3] مع ملاحظة أن عدد سكان الاسكندرية قد وصل فى أواسط العصر العثمانى الى نحو مائتى ألف نسمة ثم بدأ فى التضاؤل حتى بلغ نحو ثمانية آلاف فقط مع نهاية ذلك العصر[4] باستثناء القاهرة التى بلغ تعداد سكانها فى أواخر القرن الثامن عشر أكثر من نصف مليون نسمة [5] .

وهذا التقدير يعتمد كذلك على إحصاء عدد سكان مدينة أسيوط لعام ١٨٨٢ الذي بلغ(٣٧ر٢٨٣) نسمة باعتبار أن النسبة المئوية للزيادة السنوية منذ قرن سابق كانت ٨ر١٪ . ويرى البعض أن سكان مدينة أسيوط في هذه الفترة لم يتجاوز اثني عشر ألف نسمة [٦]

أما عن الطبقات التى تكون منها شعب إقليم أسيوط فهى: المصريين الخلص ، وهم سلالة المصريين القدماء (الفراعنه) ، والعرب الذين وفدوا إلى مصر قبل الفتح العربى وأولئك المصاحبين للفتح ، وهم من القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية الذين استقروا على أطراف الوادى ، ثم الأتراك الذين قدموا مع الفتح العثمانى ، والعناصر المملوكية التى استقرت فى الاقليم خلال العصر المملوكى ، وعرب المغاربة القادمين من بلاد المغرب العربى بأقسامه المختلفة سواء للحج عبر ميناء القصير على البحر الأحمر ، أو للتجارة ، واستقر بعضهم فى أسيوط ، ولونهم يميل إلى السمرة أو الصفرة ، وليس لهم مميزات خاصة يتفردون بها عن باقى المصريين إذ انصهرت جميع هذه العناصر فى بوتقة الشعب المصرى وصارت خليطاً متجانساً .

وقد شكل أهل الذمة من النصارى الذين اعتنقوا المسيحية ، وأولئك الهاربين منهم بدينهم من الشمال عدداً كبيراً من شعب أسيوط يصل إلى نحو ٣٠٪ من عدد سكان مدينة أسيوط وأقل من ذلك بالنسبة لعدد سكان الأقليم عامة ، إلى جانب بعض اليهود الذين استقروا فى الاقليم منذ القدم[٧] وهم لا يشكلون نسبة عددية تذكر بين المجتمع الاسيوطى .

١ – **الأشراف:**

لقب "شريف" يطلق على أحفاد الرسول (صلى الله عليه سلم) وهم أولئك الذين ينتسبون إليه (ص) من أبناء السيدة فاطمة زوجة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهذه الطبقة لها نفوذ كبير فى البلاد الاسلامية ومنها مصر ، وتتميز عن غيرها من طبقات المجتمع المصرى ، ويحق لهم ارتداء العمامة الخضراء ، وكان الباب العالى فى استنبول يختار واحداً من أبرزهم ليعينة نقيباً للأشراف بالقاهرة ، حيث يدفع مقابل ذلك

حوالى ٤٠٫٠٠٠ مدينى للباب العالى ، وللنقيب نظير نهوضه بهذا الأمر دخل عدة قرى هى بمثابة إقطاع لوظيفته[٨] .

وكان نقيب الأشراف بالقاهرة ينظر في شئون "السادة الأشراف" المقيمين في أنحاء البلاد المصرية ومنها أسيوط ، فينظر فيما بينهم بوجه الحق والانصاف ، وعليه أن يمنع أى شخص من التعرض للسادة الأشراف.

والأشراف فى أسيوط من أعرق البيوت بها ، وهم من سلالة السيد الشريف أبى القاسم الطهطاوى الذى هبط إلى مدينة طهطا – إحدى توابع أسيوط منذ فترة طويلة وإليه ينتسب أشراف غالب بلاد أسيوط ، كأشراف منفلوط ، وأشراف طهطا ، وأشراف مدينة أسيوط الذين ينتمون إلى جدهم الأكبر السيد الشريف تاج العارفين ، وكان من العلماء الأجلاء ، وأنشأ مسجدًا فى العصر العثمانى بضاحية العيد[٩] بغربى أسيوط ، كان يلقى به الدروس الدينية[١٠] ، ومن أبنائه السيد الشريف (الطاهر اليد) محمد البدرى – الذى تولى قائم مقام نقابة الأشراف بأسيوط فى القرن الثانى عشر الهجرى[١١] ، ومات بها ودفن بجامع البدرى الذى لا يزال قائمًا حتى اليوم ، كما تولى قبل وفاته مشيخة الطرق الصوفية بجانب قائمقامية نقابة الأشراف، كما تولى عدة مناصب داخل الادارة العثمانية ، وقد خلفه ابنه السيد عبد الرحيم فى هذه المناصب ، ثم خلفه حفيده السيد احمد الذى جمع إلى نسبه الشريف من جهة أبيه انتسابه من جهة أمه إلى الأمير عمر جلبى بن الأمير عثمان بك بن على بك الكبير ، وظلت نقابة الأشراف فى أيدى هذه الأسرة الشريفة يتوارثونها جيلاً بعد جيل[١٢] .

٢ – **المفتيون والقضاة:**

تميز مجتمع أسيوط باحترامه وتقديره للعلماء الذين نالوا حظوة وشهرة واسعة داخل مجتمعهم المحلى والمجتمع المصرى عامة ، وقد تميز أبناء أسيوط من هذه الطبقة بالجرأة والشجاعة وبذل ما فى وسعهم لخدمة الوطن ، وليس أدل على ذلك من مثال ما قام به السيد عمر مكرم (الأسيوطى) فى سبيل تدعيم وتثبيت دعائم السلطة الشعبية إثر خروج الحملة الفرنسية من مصر.

وقد كان قادة الرأى والفكر والحكام بأسيوط من العلماء والفقهاء فأطلق لقب "الحاكم" الشرعى على القضاه والمفتيين لمالهم من مكانة سامية فى مجتمعهم.

ووجد فى مدن أقليم أسيوط الكائن بها دور للمحاكم الشرعية مثل أسيوط (المحروسة)، ومنفلوط، وأبوتيج أربعة من القضاة يحكمون بين الناس طبقا للشريعة الاسلامية على المذاهب الأربعة (المالكية – الحنفية – الشافعية – الحنبلية)، حيث يصدر قرار تعيينهم من قبل القاضى الأول أو قاضى القضاة المقيم بالقاهرة، وفى بعض الأحيان تولى هذا المنصب من ينتمون لطبقة الأشراف. كما حمل العلماء والمفتين ألقابا تدل على مكانتهم الرفيعة داخل المجتمع الأسيوطى مثل: "الشيخ العلامة "[١٣]، "ومولاى"[١٤]، "والحاكم الشرعى"[١٥]، "وقاضى افندى"[١٦]، "العمدة"[١٧]، وفى كل الأحوال كان يقرن اسم القاضى بالمذهب الذى ينتمى إليه، ومن هؤلاء القضاة: "القاضى أحمد محمد الكنانى الشافعى" الذى كان قاضيًا لمحكمة أسيوط الشرعية على المذهب الشافعى فى منتصف القرن الثامن عشر و"مولاى محمد أفندى الحنفى"، و" القاضى لطفى عمر اليوسفى المحرزى المالكى"[١٨].

ولم يقتصر اقتران المذهب بأسماء القضاة فقط نظرًا لطبيعة عملهم فى الفصل بين المتنازعين أو تسجيل أعمالهم الشرعية فى المحاكم، بل أصبح المذهب علمًا على أسماء المشايخ والعلماء والمفتين الذى تعلموا فى الأزهر الشريف وعادوا إلى أسيوط يفقهون الناس ويعلمونهم أمور دينهم، أمثال " العلامة مولانا السيد محمد أبو شهبة مفتى السادة الشافعية " الذى تولى منصب الإفتاء بمنفلوط فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر[١٩]، و" الشيخ محمد بكرى الجلالى الشافعى"[٢٠].

وقد احتفظ لنا المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتى فى يومياته بأسماء الكثيرين من أبناء أسيوط العلماء الذين ساهموا بدور ملحوظ فى الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية فى البلاد إبان العصر العثمانى، وخاصة فى الفترة المتأخرة منه.

٣ - عرب المغاربة:

أما عرب المغاربة فى أسيوط ، فقد لعبوا دورًا هامًا وملحوظًا فى الحياة الاجتماعية، والسياسية ،والاقتصادية فى هذا الإقليم خلال العصر العثمانى ، فاندمجوا بسكانه وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ منه.

والوجود المغربى للعرب القادمين من بلاد شمال افريقية سواء من ليبيا (طرابلس) ، أو تونس ، أو الجزائر ، أو مراكش سابقا على العصر العثمانى، فقد قدموا إلى المدينة نتيجة عوامل كثيرة تتعلق بطبيعة المغاربة وحبهم للعمل التجارى ، ووفد عددًا كبيرًا منهم إلى أسيوط لأنها محط رحالهم أثناء قدومهم نحو وادى النيل بهدف ممارسة التجارة عبر درب الأربعين وصحراء مصر الغربية إلى مصر ذاتها ، وإلى بلاد الحجاز ، ومارسوا مختلف أنواع النشاطات واندمجوا داخل المجتمع الأسيوطى وارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً.

وكانت أسيوط طريقهم البرى وذلك عندما يفدون إليها متوجهين نحو الحجاز لأداء فريضة الحج كل عام .

وتشهد وثائق محاكم أسيوط ومنفلوط الشرعية على تواجدهم داخل المجتمع الأسيوطى ، وظلت ألقابهم تحمل أسماء بلادهم الوافدين منها مثل : الطرابلسى ، القرمانى ، والمغربى ، والمراكشى ، والزاوى ، والغرياتى وغيرهم.(٢١)

وأصبح تأثير المغاربة كبيرًا فى الحياة الاجتماعية بأسيوط نتيجة لقيامهم بدور اقتصادى ملحوظ ، ومارسوا العديد من الحرف مثل : الحياكة ، والتطريز ، والزياته حيث مارسوا عصر وتجارة الزيوت وخاصة زيت الزيوت التى اشتهر بها أهل تونس وطرابلس الغرب ، كما اشتغلوا بتجارة البن المجلوب بالسفن عبر البحر الأحمر من اليمن وطحن الحبوب، وحازوا الدور والأملاك فى قلب المدينة وخاصة فى حى القيسارية والوكالات التجارية(٢٢) ، فهاهو الحاج الجليل عبد العزيز عبد الكريم المغربى المراكشى ، يشترى منزلا فى قلب أسيوط بعد حضوره من مراكش(٢٣) . وقد اتسم دور المغاربة بالفعالية داخل المجتمع الأسيوطى مثلما كان فعالاً فى أغلب المدن ا لمصرية الأخرى.

عربان الصعيد والقبائل العربية

فى إقليم أسيوط

دور العربان فى الصعيد:

لعبت القبائل العربية التى توطنت فى أنحاء صعيد مصر منذ الفتح العربى دوراً هاماً وحيوياً فى شتى مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى العصر العثمانى ، خاصة أولئك العربان الذين استقروا على أطراف الصحراء بالوادى ، وامتهنوا الزراعة والتجارة ، وساهموا فى تطور البلاد، وصار منهم المشايخ والعلماء ، والملتزمين ، وقد آثر الكثير من العربان (البدو) حياة التنقل والترحال فى أنحاء البلاد ، وبالذات فى المناطق الصحراوية التى ألفوا معيشتها وبذلك تحاشوا الاختلاط بالطبقات الأخرى فى مجتمع الصعيد ، أو التزاوج بينهم وبين فلاحى البلاد ، وبين زنوج الجنوب (النوبيين) ، على الرغم من اختلاطهم بهم ووجود كثير من مظاهر الحياة المشتركة بين الطرفين[٢٤] .

وكانت بعض القبائل العربية التى استقرت بالوادى منذ فترة طويلة تثير القلاقل بين الحين والآخر مع عناصر الإدارة العثمانية ، وأمراء المماليك، إذ غلبت عليهم ميولهم الحربية، وعدم الانقياد أو الطاعة العمياء ، مما كان يؤدى فى بعض الأحيان إلى حدوث أضرار بالحرث والنسل فى الصعيد ، واستغل بعضهم ضعف الولاة العثمانيين ، وأعلنوا استقلالهم عن الدولة فى الأقاليم التى لهم الغلبة فيها ، ومن أمثلة ذلك إعلان شيخ العرب همام – شيخ قبيلة هوارة – استقلاله بولاية جرجا التى تشمل أكثر من نصف مساحة الوادى بالصعيد حتى قضى عليه والى مصر على بك الكبير عام ١١٨٣هـ/١٧٦٩م[٢٥] ، وقد كان الأعراب يثورون بين الحين والآخر على السلطة المملوكية قبل العصر العثمانى.

وآثرت بعض القبائل العربية السكنى على ضفاف النيل مثل قبيلة جهينة القادمة من اليمن مع الفتح العربى واستقرت بمنطقة الأشمونين[٢٦]، إلى جانب بعض القبائل

المغربية التى هاجرت من بلاد شمال افريقية والأندلس بعد القضاء على دولة المسلمين بالأندلس فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، وهؤلاء عاشوا بجوار النيل وألفوا حياة الاستقرار والزراعة وأقاموا قرى كاملة تحمل أسماؤهم[٢٧] ، كما سيطر بعض العربان الآخرين على قرى كاملة من الصعيد ، مما أدى إلى عدم إحكام قبضة السلطة العثمانية عليها من الناحيتين السياسية والقانونية ، خاصة فى إقليم المنيا ، ومناطق ديروط الشريف ودلجا ، ودشلوط ، وكثيرا ما حدثت النزاعات المتواصلة بين القبائل العربية فى الصعيد على حدود الأراضى أو قطع السدود ورى الأراضى الزراعية ، ولم تتمكن السلطة العثمانية الحاكمة من فض هذه النزاعات بين الأعراب.[٢٨]

ومن الملاحظ أن العربان الذين استقروا فى الوادى منذ فترة طويلة سيطروا فيها على مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية ، وصار منهم الخفراء ، والمشايخ والخولة ، والقضاة والفقهاء ، وزعماء القبائل.[٢٩]

وظلت العلاقة فى شد وجذب بين العربان والسلطة العثمانية الحاكمة ، برغم أن العثمانيين حاولوا استمالتهم بإرسال الهدايا لهم ، ومنحهم بعض الميزات ، وظهر ذلك واضحا مع قبيلة هوارة ، لاتقاء شرهم وتفادى عصيانهم المستمر ، واشتراكهم فى الفتن والثورات التى كانت تنشب بين الأطراف المملوكية كما حدث فى فتنة إفرنج أحمد عام ١١٢٣ هـ/١٧١١م ، وتأييدهم بمساعدة الزيدية ونصف حرام لمحمد بك جركس فى صراعه ضد منافسيه عام ١١٣٧ هـ/١٧٢٤م.[٣٠]

وبلغ الأمر بقوة ونفوذ عربان الصعيد أنهم تدخلوا فى تنصيب حكام الولايات وإعلانهم رفض أى حاكم لا يرضون عنه ، فقد رفض عربان هواره بجرجا تعيين مصطفى بك حاكما لجرجا عام ١١٠٧هـ/١٦٩٦م، وهددوا السلطة الحاكمة فى القاهرة بمنع إرسال غلال الصعيد الخاصة بالحرمين ، إذا لم تستجب لمطلبهم بتعيين وال آخر، وقد تم تعيين محمد بك أباظة تحقيقا لرغبتهم.[٣١]

وامتنع بعضهم عن دفع ضريبة الميرى بحجة انتمائهم إلى الوجاقات العسكرية ولولا تنكر الوجاقات لانتسابهم لها لتمادوا فى عدم دفع الضرائب.[٣٢]

وعن القبائل العربية التى استقرت فى صعيد مصر ، سواء التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية ، أو من بلاد المغرب العربى ، وبالذات فى إقليم أسيوط فهى:

أ) الهوارة ، العبابدة ، زناتى، هنادى ، وهذه القبائل تمركزت فى المناطق الواقعة ما بين منفلوط شمالا وحتى جرجا وأقام عرب زناتى فى طهطا ، التى كانت ضمن إقليم أسيوط فى العصر العثمانى المتأخر وهم كثيرو العدد ويقومون باختيار شيخ قبيلتهم بأنفسهم ، ويمكن لعرب زناتى أن يجمعوا نحو أربعمائه فارس حين الحاجة ويتم اختيار شيخ القبيلة من بين أكبرهم سنا وسطوة.

ب) قبائل: عرب عايد ، هوارة ، وتمركز أفرادها فى أسيوط وما يجاورها.

جـ) قبائل: عرب العطيات ، عربان بنى موافى المغربى.

د) عرب أبو كريم ، وتمركزوا فى منطقة ملوى ، التى كانت خاضعة لإقليم أسيوط، وهم قليلو العدد ، وكان شيخهم يسمى الشيخ عبد الله بن على – فى زمن الحملة الفرنسية ومنهم عرب الجهمة فى نواحى بحر يوسف بالمنيا(٣٣)

هـ) ومن القبائل العربية التى جاءت لمصر مع الفتح العربى واستقرت بالصعيد ، والتى يبدو أنها اختلطت وذابت فى السكان أو حلت محلها قبائل أخرى قبائل: هذيل ، وقبيلة كنانة ، التى استقرت بإقليم الأشمونين منذ القرن الثالث الهجرى وهى من قبيلة قريش.

ومن القبائل التى أقامت أيضًا بالأشمونين فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى بنو طلحة والجعافرة(٣٤) ، أما قبائل بنو أسد عبد العزى ، فأقاموا بالبهنسا إلى جانب الأشمونين فى القرن التاسع الهجرى وقد اتجهوا لاحتراف الزراعة واستقروا فى هذه المناطق ، كما استقر فى الأشمونين قبائل بنو مسلمة ، والجعافرة الذين نزلوا بأرضها فى القرن الثالث الهجرى، وبنو هلال الذين استقروا فى وقت متأخر بأنحاء الصعيد.

أما قبائل بنو جهينة فأقاموا بالأشمونين ، كما أقام قبائل همذان وبنو عدى بها ، وبعضهم اتجه نحو الجيزة فى القرن الثالث الهجرى.(٣٥)

هذه هى أهم القبائل العربية التى استقرت بالصعيد وبالتحديد فى المناطق التى كانت معروفة بإقليم أسيوط وما يتاخمها منذ الفتح العربى لمصر ، وسوف نتعرض لدور أهم هذه القبائل إبان الحكم العثمانى وهى:

١ - **قبيلة هوارة:**

من أهم القبائل التى استقرت بالصعيد ، ولعبت دورًا بارزًا خلال العصر العثمانى بعد ما جاءت إلى مصر من بلاد المغرب فى العصر الفاطمى واستقرت فى البداية بإقليم البحيرة ، ثم نزحت إلى الصعيد تحت ضغط قبائل زنارة وحلفائهم من عربان البحيرة[٣٦] ، واستقروا فى المنطقة الواقعة ما بين جرجا وفرشوط فقاموا باستصلاح الأراضى غير المزروعة وامتد نفوذهم خاصة فى عهد شيخهم همام حتى وصل إلى الأشمونين شمال أسيوط ، وصارت لهم الكلمة العليا فى كل هذه المنطقة الشاسعة ، وازداد عددهم وقوى بأسهم ، حتى قضى على بك الكبير على نفوذ همام عام ١١٨٧هـ/١٧٦٩م[٣٧]. وباستصلاحهم الأراضى الصحراوية واستعدادهم للاشتغال بالزراعة وارتباطهم بالأرض تحولوا من حياة الرعى ، والتنقل من مكان لآخر ، إلى حياة الاستقرار والتمسك بالأرض ، وتحول حبهم للحرية والانطلاق إلى حب جارف لوطنهم ، وامتلكوا الكثير من الخيول التى ساعدتهم فى صراعهم مع المماليك والسلطات الحاكمة من أجل السيادة والسلطة .[٣٨]

وخضعت سائر القبائل العربية بالصعيد لسيطرة الهوارة وقيادتهم ، إذ أن المنطقة الممتدة من الأشمونين إلى أسوان أصبحت تحت سيطرة أحد فروع الهوارة وهم بنو عمر محمد وإخوته ، وكانت منازلهم بجرجا ومنشأة أخميم ، أما المنطقة الممتدة من البهنسا شمالا حتى دهروط (ديروط) وما حولها فقد خضعت لسيطرة أولاد غريب ، وكانت بها منازلهم .[٣٩]

٢ - **عربان بن موافى المغربية:**

استقر هؤلاء العربان القادمين بلاد المغرب فى عدة مناطق شمالى أسيوط وهى: التيتيلية شمالى منفلوط حيث كان مقر شيخهم " عبد الله بن موافى " ، وفى المنطقة من منتصف قناة العسل حتى صنبو ، وفى مناطق : الأنصار ، مير ، القوصية، وصنبو ،

واشتهرت بخيولها ، ورجالها الأقوياء ، وتعتبر هذه القبيلة من القبائل العربية الغنية التى سكنت الوادى واستقرت به[٤٠] واحترفت الزراعة.

ولم يكن دورهم دائمًا دورًا ايجابيًا فى صعيد مصر رغم استقرارهم وثرائهم ، بل كانوا أحيانًا ما يمارسون أعمال النهب والسلب ، كما حدث فى شهر رجب عام ١١٠١هـ/١٦٨٩م، عندما حاربهم اسماعيل بك ، والى البهنسا والفيوم بتعضيد من أحمد باشا والى مصر ، الذى أرسل إليه الإمدادات ، وأمر كشاف الولايات المجاورة بمساندته فى القضاء على ثورة عربان المغاربة تحت إمرة عبد الله بن موافى ، وأجلاهم اسماعيل باشا من مناطق تمركزهم وهربوا للصحراء.[٤١]

وكانوا دائمى الثورة ، وبلغ بهم الأمر إلى تحدى السلطة الحاكمة فى القاهرة كما قاموا فى عام ١١٠٦هـ/١٦٩٤م بالهجوم على التزام يوسف بك بالقوصية بولاية المنفلوطية ، إبان حكم على باشا لمصر (١١٠٣ هـ/١٦٩٢م - ١١٠٧ هـ/١٦٩٥م) تحت قيادة شيخهم عبد الله بن موافى حتى قتل بناحية التيتلية على يد أحد الأهالى.[٤٢]

كما هاجموا الفيوم وبنى سويف والبهنسا ، فجأر الناس بالشكوى منهم لوالى مصر حسين باشا ، وإلى السلطان العثمانى نفسه مصطفى خان فى نهاية القرن السابع عشر ، الذى أشار على والى مصر بالاستعانة بقبائل الهوارة للقضاء على فسادهم ، وانتهز الهوارة هذه الفرصة التى سنحت لهم لتوطيد نفوذهم على كل الصعيد الأدنى على حساب القبائل العربية الأخرى، وساندت الهوارة قوات باشا مصر فى القضاء على نفوذ عربان بن موافى بالصعيد ، مما اضطرهم إلى الفرار إلى البحيرة ، وصدهم عنها قائمقام البحيرة ، فهربوا متفرقين إلى الواحات ، وقرب إسنا ، والفيوم ، والجيزة وبذلك تفرق شملهم.[٤٣]

٣ - **قبيلة محارب:**

استقرت هذه القبيلة فى الوادى فى عدة مناطق بحذاء بحر يوسف وعلى جهته اليمنى من تونه الجبل وحتى البهنسا ، وكان شيخهم أبوزيد يقيم فى " العرين" حيث مركزهم الرئيسى، أو فى ديروط ، وبعض زعمائهم فى إيشادة ديروط ، وشغل عرب محارب قرى: المحرص ، وديروط ، وابشادات ، واشمنت ، وقرى أخرى كثيرة .

وظلوا يسكنون الخيام حتى قبل مجيء الحملة الفرنسية بخمسة عشر عاماً فقط ويتفرع عنهم عرب جبار أو الجبايرة ، وعرب غزالة ، والدرابسة، والشوادى ، وسكن الجبايرة ديروط أم نخلة وشمالها ، أما الدرابسة والشوادى فشغلوا ضواحى بنى سمرج، طهطا، ويوجه .

ولا يزال بعضهم يعيش فى الخيام حتى مجيىء الحملة الفرنسية من الدرابسة والشوادى وامتنعوا عن ارتداء زيهم البدوى الأبيض (البرنس) ، ولا يزاولون حرفه الزراعة بأنفسهم ترفعاً عنها ، ولا يتقربون إلى الفلاحين لاحتقارهم ، ويفضلون أن يقوم الفلاحون بزراعة أراضيهم لهم.[٤٤]

٤ – **قبيلة أبو كرايم:**

استقرت بعد فترة من قدومها من ترهونة ببلاد المغرب إلى الصعيد ، وانتشرت فيما بين صنبو وملوى ، أما شيخهم فمقره فى "ساد" ، ولهم مخيمات متفرقة بالقرب من ببلاو ، ودشلوط ، وديروط الشريف ، ودلجا ، وديرمواس ، والبدرمان ، وأمشوط ، وأبو الهدر ، وأسمو ، وبنى حرام ، وشرقنا ، وطوخ.[٤٥]

وأحد فروعهم وهو الطراهونة يعيشون فى خيام بطنطا ، وتشتهر هذه القبيلة بامتلاكها لثروة كبيرة من الخيل التىتقدر بألف حصان ، وعدداً كبيراً جداً من الجمال ، وأهم شيوخها ، على وسليمان.

وتقوم هذه القبيلة مع قبائل بن وافى ، والجهمة ، ومحارب بنقل البضائع للتجارة مع الواحة، ثم يعودون ليبيعوا بضائعهم فى أسواق دشلوط ، ودلجا ، وصنبو ، والقوصية ، وتعمل النسوة لديهم فى غزل الصوف داخل الخيام ، لتصنع منها الأقمشة الخشنة ، والمتيسرون منهم يشترون ملابسهم " البرانس" المصنوعة من الأقمشة الفاخرة[٤٦] من المدن الواقعة على نهر النيل.

٥ – قبيلة العليقات:

ترتبط هذه القبيلة برباط الدم مع قبيلة الهوارة وتنقلوا فيما بين الجزيرة العربية وبلاد الشام قبل مجيئهم لمصر مصاحبين للفتح العثمانى ٩٢٣هـ /١٥١٧م، وتفرقوا فى أنحاء البلاد ، وذهب بعضهم للسودان ، واستقر أغلبهم فى قنا وأسوان بجوار أبناء عمومتهم الجعافرة ، واشتغلوا بالخفارة إلى جانب أعمالهم الآخرى ، وعهد إليهم شيخ العرب همام حراسة طريق الحجاز من قنا إلى القصير على البحر الأحمر ، كما تولوا حراسة القوافل القادمة من السودان إلى مصر ، وخاصة درب الأربعين الموصل ما بين دار فور وأسيوط ، وساعدهم فى هذا العمل لفترة ما قبيلتى العليقات والشرايفية ، ولكن الشيخ همام أبعدهم عن هذا العمل بعد ماقاموا بأعمال السلب والنهب واعتدوا على الغلال المرسلة للحرمين الشريفين ، وظلت حراسة القوافل من أهم أعمال العليقات(٤٧).

تلك كانت أهم القبائل العربية التى استقرت فى صعيد مصر وفى إقليم أسيوط على وجه التحديد منذ الفتح العربى وحتى الآن ، وساهمت بدور كبير فى حياة جنوب الوادى فى مصر ، الاقتصادية والسياسية ، وفى تاريخ مصر الحديث خلال العصر العثمانى.

ثالثا: النصارى (الذميين):

شكل النصارى أو أهل الذمة فى أسيوط مجتمعًا كبير العدد – نستطيع ومن خلال الوثائق الخاصة بعمليات بيع وشراء العقارات داخل المدينة – القول بأن عددهم كان لا يقل عن ٣٠٪ من إجمالى عدد السكان ، وعلى الرغم من أن أسيوط شهدت مجىء المسيحية إلى البلاد فى فترة متأخرة عن الإسكندرية التى كانت أول المدن المصرية التى بشر فيها مرقس – أحد تلاميذ السيد المسيح عليه السلام – بالمسيحية فى القرن الأول الميلادى ، إلا أن أسيوط منذ نهاية القرن الثالث الميلادى أصبحت تضم أكبر طائفة من النصارى الفارين بدينهم وأغلبهم من الشمال يحتمون مع إخوانهم أهل الجنوب بالحماية الطبيعية فى هذه المنطقه البعيدة عن متناول السلطة الرومانية شديدة الوطأة فى الشمال

وخاصة فى الاسكندرية عاصمة ولاية مصر ٠ وقد بلغ الأمر ببعض معتنقى الدين الجديد مواصلة هروبهم نحو الواحات (الخارجة) حتى يأمنوا شر وعسف هذه السلطة٠

وقد امتهن نصارى أسيوط عدة مهن ووظائف فى العصر العثمانى توارثوها جيلاً بعد جيل ، وهى تعتمد على الذكاء والمهارة كالصياغة ، والأعمال الادارية كالكتابة والصرافة ، والحياكة والجلابه[٤٨] وتجمع غالبيتهم فى حارات (أخطاط) بعينها داخل المدينة أهمها حارة كنيسة النصارى[٤٩] وبعض الدروب الصغيرة مثل درب الكنيسة[٥٠] ، ودرب (الذمى) بيلاطيس ودرب أبى سودة[٥١] ، ودرب القرمانى[٥٢] ، ولا يعنى ذلك أن نصارى أسيوط عاشوا بمعزل عن المجتمع الأسيوطى ، وفى كيانات منفصلة بل اختلطوا بمسلمى المدينة وعاشوا بينهم فى مودة ووئام تحت مظلة السلطة العثمانية التى كانت واهية فى جنوب مصر ، وأصبحت السيادة الفعلية فى يد المماليك والهوارة٠

وكانت وثائق محكمة أسيوط الشرعية تنعت مسيحيى أسيوط بالذمى أو النصرانى وأحيانا مايضاف إلى الاسم المذهب الذى يعتنقه الذمى مثل (اليعقوبى) [٥٣] ، أو المهنة التى يمتهنها الشخص ، وعمل كثير منهم فى التجارة خاصة مع بلاد السودان ، كما عرف بعضهم بـ"المعلم"[٥٤] .

وكانت إجراءات الزواج الرسمية تتم داخل الكنائس وطبقا للمراسيم الدينية للنصارى أما أولئك الذين أشهروا إسلامهم فقد شملتهم الولاية العامة للشريعة الاسلامية أسوة بالمسلمين ، وشهدت وثائق المحاكم الشرعية كثير من عمليات الزواج كان بعضها يتم بين أبناء حديثى الدخول فى الاسلام فمثلا: "تزوج سلامه ابن عبد الله المهتدى لدين الاسلام القويم بمخطوبته خواجات البكر بنت المحترم جاد الله سعد الجلابة المهتدى أيضاً على الكتاب والسنة ، وعلى صداق جملتـه ثمانيه وأربعون قرشا٠٠٠"[٥٥] ، أما عمليات البيع والشراء فاختصت بها المحاكم الشرعية فى مدينة أسيوط وغيرها من مدن الإقليم ، وتزخر سجلات المحاكم الشرعية خلال هذا العصربالعديد من إجراءات البيع والشراء وفى الغالب تتم بين المسيحيين وبعضهم البعض[٥٦]، على أن هناك بعض حالات البيع من النصارى إلى المسلمين شهدتها وثائق هذه المحاكم[٥٧].

وكذلك الأمر بالنسبه لإجراءات التصالح على التركات وحصرها وتسجيلها فقد اختصت بها لدى القاضى الشرعى (الحاكم الشرعى) محاكم مدن الاقليم الشرعية.(٥٨)

وحاز نصارى أسيوط الأملاك العديدة فى أنحاء المدينة من منازل ، وطواحين ومعاصر ، ووكائل،ونمت ثرواتهم نتيجة اشتغالهم فى الأعمال المربحة وخاصة التجارة وعمل الكثير منهم لدى المسلمين من الملتزمين والبكوات المماليك وتمكنوا من جمع ثروات ضخمه(٥٩) وقد مارس النصارى شعائرهم الدينية بكل حرية داخل أديرتهم وكنائسهم المنتشرة فى إقليم أسيوط.

رابعا: أشهر الأسر بأسيوط:

ومن الأسر العريقة فى القدم بأسيوط والتى عاشت بها خلال العصر العثمانى أسرة بكزادة التى تنتمى إلى الأمير سنبل كاشف الذى عاش بالمدينة حوالى سنة ١٠٤٦هـ ١٧٣٧م، ويمت بصلة القرابة إلى على بك الكبير ، ومن نسله الأمير مصطفى كاشف، ثم الأمير مصطفى بكزادة(٦٠) ، والأمير محمد كاشف الذى حاز أملاكاً عديدة بأسيوط وطما(٦١) ، والأمير محمد كاشف بكزادة ، والأمير يوسف الكاشف (٦٢) ، والأمير حسين كاشف ، الذى تنعته المصادر المعاصرة بـ "قدوة الأكابر وعمدة الأعيان الجناب العالى"(٦٣).

وكانت هذه الأسرة وغيرها من الأسر المملوكية والتركية لا تسمح بمصاهرة غيرها من الأسر الأسيوطية خلال هذه الفترة.

بيت سليم كاشف:

ويرجع أصل هذه الأسرة إلى الأتراك العثمانيين الذين وفدوا إلى أسيوط واستقروا بها ، وعلى رأس هذه الأسرة بأسيوط الأمير سليم أغا كاشف الذى كان ملتزما على حصة من هذا الإقليم وشرق الناصرى بعد أن كان ملتزما لولايتى الشرقية والدقهلية ، واستوطن بأسيوط وأقام بها دارًا عظيمة وعدة دور صغار ، وأنشأ بها عدة بساتين وغرس بها أشجارًا كثيرة ، وعمر عدة قناطر أهمها قنطرة الجبل غرب أسيوط ، وقناطر

سليم بجوار الجبل الغربى كذلك وأقام مسجدًا حمل اسمه بين سيدى جلال والعتبة الزرقاء اتخذه الفرنسيون فيما بعد سجنا لأبناء أسيوط الوطنيين.وحفر الترع وأقام الجسور والأسبلة فى مفارق الطرق وأنشأ بالمدينة كتابا لتحفيظ القرآن الكريم ، وتوفى الأمير سليم بأسيوط مطعوناً أثناء الحمله الفرنسية على مصرعام ١٢١٥هـ ، وهو من مماليك عثمان بك المعروف بالجرجاوى ، وتزوج من ثلاث زوجات إحداهن ابنة سيده عثمان بك.

واشتهر عنه أثناء ولايته على أسيوط الشدة والحزم والشجاعة والكرم.وهابه أعراب الوادى لشدته فى الحق فأمن الطرق البرية والنيلية ، وعمرت المدينة لوجوده بها وأعتق الكثير من العبيد البيض والسود الذين كان يمتلكهم[٦٤] ، وقام بتجديد مسجد الفرغل بأبى تيج، وينتمى إلى آل الكاشف الأمير محمد بك الشهير بأمير اللواء السلطانى حاكم ولاية جرجا ، وعائلة الأمير عبد الرحمن بك الدفتردار ، وعائلة آل جلبى ، والخازندار ، والأمير سليمان كاشف المحمودى ، والأمير محمد جمليان كاشف ، واشتهر عن هذه الأسرة حب العلم والعلماء ، وبذل الصدقات ، ومحافظتهم على التقاليد الإسلامية ، والأخلاق ، والعادات الشرقية الأصيلة[٦٥].

بيت خشبة:

تنتمى هذه الأسرة إلى عرب الحجاز من نسل الحسين بن على رضى الله عنه وقد نزح السيد شبل الباز مؤسس هذه الأسرة إلى مصر ، وتفرع نسله وتشعب وانتشر فى عدة جهات ، ومن هذه الفروع فرع أبو خشبه ، وقد أقام السيد أبو خشبة فى البداية فى بلدة ميت غمر بالدقهلية ، ثم رحل من نسله السيد أحمد نصر الدين إلى أسيوط فى نهاية العصر المملوكى ومع بداية الفتح العثمانى.

وعمل أفراد أبو خشبة فى مهنة التجارة وخاصة مع بلاد السودان وكان لهم باع طويل فى هذه التجارة داخل مصر وخارجها ، وقاموا بتصدير ريش النعام وسن الفيل والصمغ إلى انجلترا وغيرها ، وقد اكسبتهم هذه التجارة أرباحا طائلة ، فأنشأوا المتاجر والوكائل بأسيوط لتنشيط أعمالهم التجارية[٦٦].

أسرة الهلالي:

تنتمي إلى قبيلة الهلالية وإلى بكارة الهلالية التي حاربت مع على بن أبي طالب رضي الله عنه ضد معاوية بن أبي سفيان ، ولما استتب الأمر لبني أمية في الحكم هاجرت إلى مصر. ويقال أن الهلالية نزحوا إلى مصر من برقة وتفرقوا في شمال مصر وجنوبها وهبط بعضهم إلى أسيوط ، ومارسوا مهنة التجارة مع بلاد السودان عبر درب الأربعين وأقاموا المتاجر والحواصل بأسواق أسيوط ، وبنوا قيسارية تحمل اسمهم وكان لعميدهم الحاج محمد الهلالي صلة مصاهرة مع السيد عمر مكرم.(٦٧)

بيت النميس:

نزل النمايسة بأسيوط في القرن السادس عشر الميلادي نازحين من بلدة نمسا بمديرية قنا ، ويرجع نسبهم إلى الشيخ عبد الجليل من هذه البلدة الذي ينتمي في الأصل إلى الحسين بن علي رضي الله عنه ، واشتغلوا بالزراعة وامتلكوا الأطيان في بلدة شطب جنوبي أسيوط ، وانتقل الشيخ محمد النميس من ذرية الشيخ عبد الجليل إلى مدينة أسيوط واشترى منزلا بشارع درب العجمي حيث ولد نجله حسانين الذي عين شيخا لمشايخ أسيوط حوالي عام ١٨٠٠م ، وصاهر النمايسة كثير من الأسر داخل أسيوط وخارجها في قنا(٦٨).

بيت شنودة:

الجد الأكبر لهذه الأسرة هو المعلم شنودة ، ولقب المعلم هو شهرة لكثير من التجار النصارى بأسيوط كما يرد في وثائق المحاكم الشرعية(٦٩) ، والمعلم شنودة عاش بأسيوط في نهاية العصر العثماني، وكان له باع طويل في أعمال التجارة مع بلاد السودان ، وصار من كبار التجار مع هذه البلاد في منتجات الحيوان مثل الجلود ، والعاج ، وريش النعام ، وقرن الخرتيت، وكانت لتجارته وأمواله مخازن واسعة بالقيسارية ، وتعتبر أسرة شنودة بالصعيد من أعرق وأقدم أسر النصارى بها ، ومقرها الأصلي بدرب الذمي بيلاطس داخل المدينة القديمة.(٧٠)

أسرة المقدس جرجس:

والجد الأكبر لهذه الأسرة هو المقدس جرجس الكبير الذى توفى عام ١٧٧٢ م واشتهر بهذا اللقب لحجه بيت المقدس سبع مرات ، وكان من كبار تجار الوجه القبلى وبلاد السودان ، وقد اتسعت تجارته من خلال أولاده حتى بلغت بلاد الحبشة.[٧١]

أسرة أبو قراعة:

أصل هذه الأسرة من عرب الحمرا ببلاد الحجاز ، نزح جماعة منهم إلى مصر واستوطنوا بلدة دشلوط قرب ديروط ، ثم انتقل فريق منهم إلى درنكة جنوبى أسيوط ، واشتهر منهم الكثيرون بالورع والتقوى وحب العلم ، ومنهم من تولى القضاء بأسيوط على المذهب المالكى والحنفى[٧٢].

أسرة الجاويشية:

نزحت إلى أسيوط فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وتنتمى إلى جاويش كاشف من كبار المماليك بها ، وابتنى بها زاوية ومكتبا لتعليم القرآن الكريم ، وسبيلا لشرب الناس ، وحوضا لشرب الدواب، وأنشأ حديقة بغرب البلد، وأوقفها على الزاوية والمكتب.[٧٣]

أسرة فانوس:

الجد الأكبر لهذه الأسرة اسقف من الفيوم نزح منها إلى أسيوط فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ونزل بأبنوب الحمام واشتغل بالزراعة واستطاع جمع ثروة كبيرة ، وتفرعت منه أسرة فانوس[٧٤].

عائلة الجوهرى:

من أقدم عائلات أسيوط ، وتنتمى إلى المعلم جرجس الجوهرى الذى كان ملما بالأمور المالية والحسابية فى عهد المماليك ، ولهذا جمع ثروة عظيمة وقام بتنظيم مسائل الضرائب فى أسيوط [٧٥] فى العصر العثمانى.

أسرة فرويز:

من الأسر العريقة التى نزلت بأسيوط منذ القدم وتتصل من جهة النسب بالقاضى الكنانى نزيل أسيوط وقاضيها سنة ٥٤٠ هـ/١١٠٠م الذى ينتمى إلى أشراف الصعيد ، ولقب فرويز فارسى الأصل أصله (برويز)(٧٦).

ومن خلال الوثائق المتعلقة بمدينة أسيوط ونواحيها تعرفنا على أسماء عدد كبير من العائلات والأسر التى كانت تقطن المدينة منذ أزمنة طويلة منها : كاشف ، الشريف ، الدوينى ، العيساوى ، بيوضى ، أبو شهبة ، جربجى ؛ جلبى ، الملاخ ، البحيرى ، الخازندار ، الأشمونى ، التليتى ، الترمسانى ، البيلاوى ، القويضى ، اليوسفى ، الجلالى حجازى ، زرزور ، القصاص(٧٧).

وقد اتخذ كثير من الأسيوطيين من حرفهم ألقابا لهم وهكذا اشتهروا بها والتصقت بهم وأصبحت علما عليهم سواء كانت هذه الحرف مدنية أو عسكرية مثل: الحائك ، الحمصى ، الجلاب ، جوربجى مستحفظان ، القواس ، القصاص ، الكلاف، الانكشارى ، السماك ، الدخاخنى ، جوربجى تفكجيان ، طائفة جمليان ، النحاس ، الحمار ، المؤذن ، النجار ، القصاب ، القهوجى ، العطار ، وغيرهم(٧٨).

كما حمل الكثيرون ألقاب المدن والبلاد القادمين منها قبل توطنهم بالمدينة سواء كانوا من داخل مصر أو خارجها مثل: المنفلوطى ، الدشلوطى ، المغربى ، الأنطاكى البحيرى ، الباقورى ، فزارى ، الأخميمى ، الفزارى ، الصعيدى ، الشطبى ، العدوى القرمانى ، الواحى ، الكردى ، الأشمونى ، الغريانى ، الصدفاوى ، الدرنكى ، البوتيجى ، الطهطاوى ، الأبنوبى ، القلفارى (قلفارس) ، الأسيوطى ، المنقباطى (منقباط)(٧٩). وتطالعنا وثائق محاكم ولاية الأسيوطية فى مدينة أسيوط ومنفلوط بأسماء كثير من أبناء الولاية الذين ينتمون إلى فرق الأوجاقات العسكرية وهم يقرنون أسماءهم بتلك الفرق مثل : الشريف مصطفى طايفة عزبان ، وابراهيم جربجى تفكجبان ، محمد طايفة جمليان مصر ، وحسن جربجى جراكسة(٨٠) ، وابراهيم جوربجى عزبان صابنجى ، محمد جوربجى مستحفظان صابنجى.(٨١)

هوامش الفصل الرابع

(1) M.De chabrol; Essai sur les Moeurs des habitans de L'Egypt, (Déscription de L'Egypt, T.XV111) pp. 12-20.

(2) Déscription de l' Egypte , T. X V111, pp. 6 - 8 ·

وقد قدرهم المسيوفورييه Fourier بنحو مليونين وثلاثمائة ألف شخص:

Déscription de l' Egypte , T.I, Preface Historique .

(3) Vivant Denon; Voyage la Basse et la Haute Egypte pendant les Campagne du général Bonaparte , T.2. 4 em ed. paris 1803, p. 199.

(4) Paton; the History of the Egyptian Revolution Vol. I, pp. 84 - 85 .

(5) Déscription de L'Egypte, T.XV111, 2 em pa. p.363 .

(٦) د. عبد المنعم شوقى : دليل مدينة أسيوط ، ص ٥٠ ؛عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ج١ ، ص ٧٠.

(٧) عثمان فيض الله ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٧ ٠

(8) Déscription de l' Egypte , T- XV111, pp. 201 - 202.

ولعل أبرز من تولى نقابة الأشراف بالقاهرة السيد عمر مكرم فى نهاية القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، وهو من أبناء أسيوط حيث ولد بها حوالى عام ١٧٥٥ م ، ونشأ بها فى أسرة شريفة ، وأبوه السيد حسين ، ورحل الى القاهرة فتلقى تعليمه فى الأزهر ، ثم اشتغل بالشئون العامه واهتم بقضايا الوطن ، وقضى حياته ساعيا إلى تحريره فى عهد الحملة الفرنسيه وفرض كلمة الشعب على الحكام فى أوائل عهد محمد على مما أدى به الى الصدام مع والى مصر ، ونفيه عدة مرات خارج القاهرة . وتوفى عمر مكرم عام ١٨٢٢ ودفن فى قرافة المجاورين بالقاهرة وللسيد عمر مكرم شارع ومسجد فى أسيوط ، ولازال أحفاده يعيشون فى المدينة حتى اليوم :

عثمان فيض الله: مرجع سابق ، ص ص ٥١ -٥٢ ٠

(٩) ميدان البدرى حاليا وكان يقال عليه سوق المواشى القديم الذى أزيل حاليا بغرب أسيوط.

(١٠) المرجع نفسه ، ص ١٧٣ ٠

(١١) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٣٩٨ ، ٩ ذى القعدة ١١٠٧ هـ.

(١٢) عثمان فيض الله : المرجع نفسه ، ص ١٧٣ ٠

محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤٣٥ ، ١٠ جمادى الأخر ١١٥٤ هـ ،وثيقة رقم ٥٢٤ ، ٨ رجب ١١٠٨ هـ.

(١٣) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٣٧٩ ، ٢٤ جماد أول ١٢٠٢ هـ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٧٤ ، ١٦ ربيعى الأول ١١٠٧ هـ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٢٥٧ ، ١٧ جمادى الأخرة ١١٠٧ هـ.

(١٦) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦٢٣ ، ٨ رجب ١١٨٠ هـ.

(١٧) محكمة أسيوط الشرعية وثيقة رقم ٢٤٥ ، غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ.

(١٨) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٣٧٣ ، ٢٨ شعبان المكرم ١١٥٤ هـ ، رقم ٥٢١ ، ٢٠ رجب ١١٥٤هـ.

(١٩) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٢٢ ، ١٣ ربيع أول ١١٧٩ هـ.

(٢٠) محكمة أسيوط الشرعية ، ويقة رقم ٦٨٨ ، ٢١ محرم ١١٥٦ هـ.

(٢١) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٧٧٤ ، ١٠ ذى الحجة ١١٠٩ هـ.وثيقة رقم ٦٢٧ ، غاية شعبان ١١٥٩ هـ .وثيقة رقم ٦٥٨ ، غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ.وثيقة رقم ١٩٢ ، فى جماد أول ١١٠٧ هـ ٠

(٢٢) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٩ ، رابـع ذى القعدة الحرام ١١٩٩هـ٠وثيقة رقم ٧٧٤ ، ١٠ ذى الحجة ١١٠٩ هـ٠وثيقة رقم ٤٠٧ ، ٢٩ رمضان المعظم ١١٥٤ هـ٠

(٢٣) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦٢٧ ، غاية شعبان ١١٥٩ هـ٠

(24) Chabrol; Essai sur les moeurs des habitans modern de l'Egypte, T. Xvlll, pp. 2, 7, 22, 30.

Jomard; observations sur les Arabes de l'Egypte, T. Xll, pp. 267 - 269.

(٢٥) هاملتون جب ، هارولدبوون:"المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ٠

(٢٦) د. عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ١٩٣.

(27) Girard; Mémoire Sur l'Agriculture l' industrie et le Commerce de l'Egypte, T.XVll, p. 48.

(28) Jomard; op. cit, T.Xll, P. 272.

(٢٩) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٥٠ ٠

(٣٠) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ ٠

عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ص ١٦٨ – ١٦٩ ، ١٨٩ ٠

لحمد شلبى عبد الغنى: أوضح الاشارات ، ص ٤٩٣ ٠

(٣١) ابراهيم الصوالحى العوفى: تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ، ص ص ٩٠٧ – ٩٠٨ ٠

منقول عن : د. صلاح لحمد هريدى ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ٠

(٣٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع نفسه ، ص ١٦٣ ٠

(٣٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ص ١٥١ – ١٥٢ ٠

Amédée; Jaubert; Nomenclaure dans tribes d'Arabes T. Xll, pp. 510 -514.

(٣٤) د. عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى مـن الهجـرة ، ص ص ٦٦ ، ٨٠ ٠

(٣٥) د. عبد اللـه خورشيد: مرجـع سـابق ، ص ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ٠

(٣٦) محمد محمود زيتون: اقليم البحيرة ، ص٣٩٢ ٠

نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٢٦ ، ص ١٩٢ ٠

(٣٧) د. ليلى عبد اللطيف : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ص ٢٨ ، ٣٨ ٠

Shaw; The Financial, p. 85 .

(28) Dobois Ayme: Mémoire sur les tribes Arabes, T. Xll, pp. 330-331.

نسيم مقار: مرجع سابق ، ص ١٨٩ ٠

(٣٩) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٣٠ ٠

(٤٠) لحمد لطفى السيد: قبائل العرب بمصر العقيلات والجعافرة ، جـ ١ ، ص ١٩ ٠

عن الدكتور/ صلاح لحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ١٨٠ ٠

(٤١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: دور المغاربة فى مصر، المجلة التاريخية المغربية ، الأعداد ٩ ، ١٠ ، ص ٥٣ ٠

د. صلاح لحمد هريدى : مرجع سابق ، ص ١٨٠ ٠

(٤٢) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٧ ٠

(٤٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: دور المغاربة فى تاريخ مصر الحديث المجلـة التاريخيـة المغربيـة ، عدى ٩ ، ١٠ ، ص ٥٤ – ٥٨ ، عددى ١٠ ، ١١ ، ص ٢٥٦ ٠

محمد محمود زيتون : اقليم البحيرة ، ص ص ٢٨٦ – ٢٨٨ ٠

(44) Jomard: op. Cit, T. XII, pp. 292 - 298.

(٤٥) أحمد لطفى السيد: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٩ .

عن د. صلاح احمد هريدى: مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(64) Jomard: op. cit, T. XII, pp. 295 - 296.

(٤٧) أحمد لطفى السيد: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

عن: د. صلاح احمد هريدى: مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

(٤٨) وهى جلب العبيد السود من بلاد السودان وبيعهم فى مصر .

محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم٥٠٢، غرة شعبان ، ١١٥٩ هـ.

(٤٩) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٩٨١ ، ٢٨ ذى الحجة ١١٠٧هـ.

(٥٠) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٤١٩ ، ١٥ شوال المكرم ١١٥٤ هـ.

(٥١) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٥٠٢ ، غرة شعبان ١١٥٩ هـ.

(٥٢) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٣٦٥ ، عشرين شعبان ١١٥٤ هـ.

(٥٣) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٢٥٨ ، ١٧ جمادى الآخرة ١١٠٧ هـ.

(٥٤) المصدر نفسه ، ثيقة رقم ٤٠٧ ، ٢٩ رمضان ١١٥٩ هـ.

والمعلم لقب لشخص وجيه متعلم ، وهو مستمد من الانجيل لأن السيد المسيح عليه السلام كان يتخذ لنفسه لقب "المعلم" ، وكان الناس ينادونه بالمعلم ، وقد رفض أى لقب آخر:

أنظر : د. عمر عبد العزيز عمر : دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧ - ١٩٥٢ ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٧٨.

(٥٥) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٢٤٦ ، غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ.

(٥٦) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٤٤٩ ، ٢٧ صفر الخير ١١١٠ هـ ، وثيقة رقم ٤٣٤ ، غاية ذىالقعدة ١١٠٧ هـ ، وثيقة رقم ١٢٤ ، ١٦ ربيع آخر ١١٠٧ هـ.

(٥٧) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٣٢ ، ٨ ذى القعدة الحرام ١١٩٩هـ.

(٥٨) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٣٦٥ ، عشرين شعبان ١١٥٤ هـ.

(59) Déscription de l' Egypte, T. XVIII, pp-20-21.

(٦٠) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ١٧٤ .

(٦١) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٢٣ ، ٣ جمادى آخر ١١٠٧ هـ.

(٦٢) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٦٥٣ ، ١٢ شعبان ١١٥٤ هـ.

(٦٣) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٣٥٤ ، ٢١ شعبان ١١٥٤ هـ.

(٦٤) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٦٥) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٦٦) عثمان فيض الله : نفس المرجع ، ص ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٦٧) المرجع نفسه ، ص ١٨٢ .

(٦٨) نفس المرجع ، ص ١٨٣ .

(٦٩) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤٠٧ ، ٢٩ رمضان ١١٥٩ هـ.

(٧٠) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٥٠٢ ، غرة شعبان ١١٥٩ هـ.

(٧١) عثمان فيض الله : نفس المرجع ، ص ١٩٢ .

(٧٢) المرجع نفسه ، ص ١٧٥ .

(٧٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٦ .

(٧٤) المرجع نفسه ، ص ١٩٩ .

(٧٥) المرجع نفسه ، ص ١٩٨ .

(٧٦) المرجع نفسه ، ص ١٩٥ .

(٧٧) محكمة أسيوط الشرعية ، وثاق أرقام ١٢٣ ، ٣ جمادى آخر ١١٠٧ هـ ، ٩٩٢ ، ٢٦ ذى الحجة ١١٠٧ هـ ، ١٩١٣ ، ١٠ شعبان ١١١١ هـ ، ٢٧٩ ، ٢٢ ذى الحجة ١١٧٩ هـ ، ٣٩٤ ، ٢٣ ربيع آخر ١١٨٠ هـ ، ١٩٧ ، ١٣ جماد أول ١١٠٧ هـ.

(٧٨) محكمة أسيوط الشرعية ، وثائق أرقام : ٥٦٩ ، غرة ذى القعدة الحرام ١١٥٩ ، ٥٠٢ ، غرة شعبان ١١٥٩ هـ ، ٣٥٤ ، ٢١ شعبان ١١٥٤ هـ ، ٣٧ ، ٢٦ شعبان ١١٥٤ هـ ، ١٣ رمضان ١١٥٤ هـ ، ٤١٩ ، ١٥ شوال المكرم ١١٥٤ هـ ، ١٨٩١ فى ١٨ شعبان ١١١١ هـ.، ١١٠فى عشرة صفر ١١٧٩ هـ ، ٣٧١ فى ٢٧ ربيع أول ١١٨٠ هـ ، ٣٣٠ فى غرة شعبان ١١٠٧ هـ.
محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقه ٣٦ فى غرة ربيع الثانى ١١٧٩ هـ.

(٧٩) محكمة أسيوط الشرعية ، وثائق أرقام ٥ فى ٧ ربيع أول ١٢٣٧ هـ ، ١٩ فى رابع ذى القعدة الحرام ١١٩٩ هـ، ١١٥٤ فى ٢٠ ذى الحجة ٢١٠١ هـ ، ١١٥٨ فى ١٦ ربيع أول ١٢١٠ هـ ، ٣٧٣ فى ٢٩ رمضان ١١٥٤ هـ٦٨٨، فى ٢١ محرم ١١٥٦ هـ ، ٤٣٠ فى ١٨ ذى القعدة ١١٠٧ هـ١٢٧، فى ١٢ ربيع آخر ١١٠٧ هـ١٣، ، ١٤ فى ١٢ ، ١٤ صفر الخير ١١٠٧ هـ.
محكمة منفلوط الشرعية ، وثائق بتاريخ غرة ربيع أول ١١٨٠ هـ ، ٢٥٤ فى ٣ ذى الحجة ١١٧٩هـ.

(٨٠) محكمة منفلوط الشرعية ، وثائق أرقام ٦ ، غاية صفر الخير ١١٧٩ هـ ، ٣٦ فى غرة ربيع الثانى ١١٧٩ هـ ، ١١٠ ، عشرة صفر ١١٧٩ هـ.

(٨١) محكمة أسيوط الشرعية ، وثائق أرقام ٦٨٥ ، غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ ، ٣٥٤ ، ٢١ شعبان ١١٥٤هـ.

الفصل الخامس

علماء ومشايخ الأزهر

١ - جلال الدين السيوطي:

ولد جلال الدين بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥م ، بعد أن قدم والده أبو بكر كمال الدين السيوطي إليها من أسيوط حوالي عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م بعد أن انقطع لطلب العلم والتعليم والخطابة بجامعة طولون ، ومن هنا نشأ جلال الدين في بيت علم كما وجهته التوجيه العلمي الذي سلكه فيما بعد ، فاتجه جلال الدين إلى دراسة العلوم اللغوية ، واجتهد في علوم الشريعة والتفسير، والفقه والقضاء كأبيه وجده جلال الدين الخضيري، ولم تقتصر براعته على هذه العلوم الفقهيه بل برع في علم التاريخ ليجاري المقريزي ، وأبو المحاسن بن تغري بردي ، وابن إياس.

واستطاع جلال الدين أن يختم القرآن وهو دون الثامنة من عمره ، وأخذ يجد فيطلب العلم في كل فروعه ، فأجاد التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو، والمعاني ، والبيان ، والبديع، وأصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ، والإنشاء، ، والترسل ، والفرائض ، والقراءات ، والطب . وقد بلغ عدد من تعلم على أيديهم من الأساتذة نحو الستمائة من مشاهير عصره في مختلف أفرع العلوم الدينية والدنيوية.

ورحل السيوطي في سبيل طلبه للعلم إلى بلاد عديدة داخل مصر وخارجها حتى وصل إلى الشام واليمن والهند والمغرب والتكرور ، حتى تمكن نتيجة لجده،واجتهاده من الحصول على الإجازات للتدريس بالأزهر وعمره حينئذ سبعة عشر عاماً ، وبدأ يزاول التأليف ، على أن أغلب مؤلفاته لم تتم إلا بعد تفرغه لها إثر انقطاعه عن التدريس والإفتاء والإسماع بعد أن ناهز الأربعين من العمر[1]، وكانت حصيلة مؤلفاته نحو ٣٧٠ مجلداً في مختلف علوم عصره[2] ؛ منها عشر كتب في التاريخ أحدها عن

تاريخ أسيوط – مسقط رأس آبائه ، محاولاً التحقيق والتدقيق شأنه شأن العلماء المخلصين والباحثين الممحصين.

وقد توفى جلال الدين السيوطى بالقاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة ، وقد بلغ من العمر إحدى وستون سنة ، ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة.

٢ – **الشيخ احمد بن موصى بن احمد بن محمد البيلى العدوى المالكى:**

وقد وصفه الجبرتى بأنه إمام وعمد فقيه ومحقق فهامه ومن أعيان الفضلاء بالأزهر، ولد بقرية بنى عدى شمالى مدينة أسيوط سنة ١١٤١ هـ ، وحفظ القرآن الكريم بها كعادة أهل بنى عدى ، ثم قدم إلى الأزهر ، وتفقه على أيدى الشيخ على الصعيدى سنين عديدة ، وكان له من المؤلفات الدينية التى كانت تدرس بالأزهر الكثير وتوفى سنة ١٢١٣ هـ[٣].

٣ – **الشيخ محمد العدوى الحنفى:**

وصفه الجبرتى بـ " العلامه المفوه النبيـه" ، وقد تعلم بالأزهر على يد كل من الإسقاطى ، والسيد على القدير ، والشيخ على الزيادى ، وغيرهم ، وتصدر مجالس الأزهر للإفادة والقراءة ، ووصف بالشجاعة والشكيمة ، وعرف بمكارم الأخلاق ، وتوفى فى ثالث الحجة سنة ١١٧٥ هـ[٤].

٤ – **العالم والشيخ الأديب محمد بن رضوان السيوطى:**

واشتهر بلقب "ابن الصلاحى" ، وقد ولد بأسيوط فى أوال عام ١١٤٠ هـ ونشأ بها ، وينتسب لأمه لأشراف المدينة ، وارتحل إلى القاهرة فى صباه لتحصيل العلوم والمعارف بالأزهر ، وظل ملازما للشيخ محمد الحنفى ، ونبغ فى علوم الأدب ، واشتهر بحسن الخط ولذلك قام بنسخ القاموس، وكتب من الأشعار العذب الكثير ، وعاد إلى أسيوط مرة أخرى فى نهاية الأمر حيث توفى بها عام ١١٨٠هـ.[٥]

٥ – **الفقيه العلامه الشيخ علي بن عبد الرحمن العدوى:**

وهو علي بن عبد الرحمن بن سليمان بن عيسى بن سليمان الخطيب الجديمى العدوى المالكي واشتهر بالخرانطى ،وولد فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى ، وينتسب إلى بنى عدى، ولازم فى الأزهر أحد أبناء الصعيد ويدعى الشيخ على الصعيدى ، ويصفه الجبرتى بالبشاشة والمروءة ونفع الطلبة بالأزهر ، وكان له ميل تام فى علم الحديث ، محباً لكلام السلف متأملاً فى معانيه " مع سلامة الاعتقاد وكثرة الإخلاص" ، وتوفى عشية يوم الأربعاء ثانى المحرم سنة ١١٨٥هـ(٦).

٦ – **الشيخ علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى المالكي:**

ولقب بشيخ مشايخ الاسلام وعالم العلماء بالأزهر ، إمام المحققين ، وعمدة المدققين ، ولد ببنى عدى سنة ١١١٢هـ ، ولقب بـ " المنفيس" لأن أصوله الأولى منها وله مؤلفات تدل على فضله فى العلم وخاصة ما يتعلق بالشروح والحواشى ليس على مذهب المالكية فقط، ولكن فيما يتعلق بمذهب الحنفية أيضا .

وكان يكره سفاسف الأمور ، وينهى عن شرب الدخان ويمنعه من مجلسه ، ومجالس الأمراء أنفسهم ، ويروى أنه قدم على مجلس على بك الكبير ، فتسارع بإخفاء "الشبك" الذى كان بين يديه عندما علم بمقدم الشيخ ، وكان على بك يتردد عليه لاستفتائه فى أموره . وقد سار محمد بك أبى الذهب على نهج سيده فى أحترام الشيخ على وتبجيله وكان لا يرد له شفاعة لأحد ، وبلغ الأمر أن كان يذهب إليه الشيخ ويخرج له من جيبه قائمة طويلة بها من الدعاوى والمطالب الكثير فيجيبه أبو الذهب إلى مطالبه.

وكان الشيخ على يتولى التدريس بالأزهر ، ومسجد الغرب بالبرقية ، وجامع مرزة ببولاق . وظل الشيخ على اتصال دائم ببلدته بنى عدى يرسل لأبنائها الصلات والأكسية ، والعصائب ، والمداسات ، وغير ذلك إلى أن توفىبعد مرض أصابه فى عاشر رجب سنة ١١٨٩ هـ ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى.(٧)

٧ - الشيخ درويش بن محمد بن محمد بن عبد السلام البوتيجي:

وهو أحد مشايخ وفقهاء المذهب الحنفى بالأزهر ، ينتسب إلى أبوتيج ، وقد تعلم على يد علماء الأحناف وغيرهم ، وبرع فى معرفة فروع الفقه ، وجلس للإفتاء بالأزهر حتى وفاته عام ١١٩٨ هـ.[٨]

٨ - الشيخ احمد بن محمد المنفلوطي:

ولد بمنفلوط سنة ١٠٦٤ هـ ، وتعلم بالأزهر وعرف بابن الفقى الشافعى ، ومهر فى علم القراءات ، وقال عنه الجبرتى: أنه كان " إماماً عالمًا بارعاً ذكياحلو التقرير رقيق العبارة جيد الحافظة يقرر العلوم الدقيقة بدون مطالعة مع طلاقة الوجه والبشاشة وطرح التكليف" ، ومن مؤلفاته : أشراط الساعة ، وشرح البدور السافرة ، وحاشية على الأشمونى ، ورسالة فى بيان السنن والهيئات ، وقيل أنه مات مسموماً صبيحة يوم الأثنين سابع عشر شوال سنة ١١١٨ هـ[٩].

٩ - الشيخ محمد بن عبادة بن برى العدوى:

وهو من أبناء بنى عدى النجباء ، قدم إلى مصر سنة ١١٦٤ هـ ، وجاور الأزهر وحفظ المتون ، وتفقه على علماء مذهبه من المالكية مثل الشيخ على العدوى والشيخ الدردير ، وغيرهم ، ودرس الفقه والمعقول ، واشتهر بفصاحة اللسان ، وقوة الاستحضار ، وصواب التحرير ، ومن تآليفه حاشية على شذور الذهب لابن هشام، تداولها الطلبه فيما بينهم وحاشيته فى مصطلح الحديث ، وحاشيته على شرح الخرشى وغير ذلك الكثير من الحواشى.وتوفى الشيخ فى أواخر شهر جمادى الثانية سنة ١١٩٣هـ.[١٠]

١٠ - الشريف محمد هاشم الأسيوطي:

ولد بأسيوط من بيت يعرف ببيت فاضل ، ولقب بالصالح ، المرشد ، الواصل ، وكان منقطعا للعبادة ، متقشفا ، متواضعا ، يحب الخلوة ، والبعد عن الناس ، توفى سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م، ودفن بالمجاورين بالقاهرة.[١١]

١١ - السيد عمر مكرم:

ولد السيد عمر بن سليمان بن على المعروف بالسيد عمر مكرم فى مدينة أسيوط حوالى عام ١٧٥٥م على وجه التقريب ، ونشأ فى عائلة شريفة تنتسب إلى الحسين بن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه ، و شهد فى شبابه فترة حكم على بك الكبير لمصر وتلقى علومه فى الأزهر ، كما حصل على قسط وافر من علوم عصره ، وكانت له عناية بالقراءة فى كتب الدين والفقه ، واقتنى لذلك مكتبة عظيمة ، ونظرا لاهتمامه بأمور الحياة الاجتماعيه والسياسية لم يشتغل بالتدريس بالأزهر كما كانت عادة علماء العصر ، ولم يتفرغ للتأليف ؛ إذ كان استعداده العقلى والنفسى يميل نحو السياسة وخدمة المجتمع. وكان أول ظهور نجمه فى عالم السياسة سنة ١٧٩١ م عندما فوضه كل من مراد بك وابراهيم بك للتفاوض مع القائد التركى حسن باشا الجزائرلى الذى أتى على رأس جيش عثمانى لتأديبهما أثناء الفوضى السياسية التى شهدتها البلاد فى نهاية القرن الثامن عشر، ونجح السيد عمر فى مهمته وعاد الجيش العثمانى إلى تركيا ، ودانت البلاد لحكم مراد وابراهيم ولمع نجم عمر مكرم وأصبح مقربا لرجال الدولة.(١٢)

وفى سنة ١٧٩٣ م أسندت إليه نقابة الأشراف خلفا للسيد محمد البكرى وكان حينئذ يلقب بالسيوطى(١٣) ، وصارت له مكانة سامية بين الناس لدماثة خلقه وكرم نفسه وعفته عن المال ؛ فلم يرتفع صوت إنكار عندما تولى نقابة الأشراف . وقد قضى نقيبا للأشراف فى عهد مراد بك وابراهيم بك نحو خمس سنوات ، كانت من أشد الفترات فى تاريخ مصر اضطرابا لاستمرار الأميريين المملوكين فى مظالمهما وطغيانهما ؛ حاول خلالها أن يسلك سبيل العدل والإنصاف و[illegible] المشوره حينما يشعر بجورهما وعسفهما.

ويرجع إليه الفضل فى كتابة الوثيقة الكبرى عام ١٧٩٥م التى تعهد فيها مراد بك وابراهيم وأمراء المماليك الحاكمين بالسير فى طريق العدل والعدول عن المظالم والنهوض بواجباتهم التى يفرضها الالتزام والعرف ، والسير فى الحكم سيرة حسنة ، ولكن مراد وابراهيم نقضا تعهدهما ، وانتهجا مرة أخرى سياسة الجور والإفساد ، ولم يطل بهما المقام فى الحكم بعد مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر فى أول يوليه

١٧٩٨م[١٤] إذ آثرا الهرب أمام القوات الفرنسية ، فتحمل عمر مكرم مهمة القيادة الشعبية للقوى الوطنية التى لم تستطع مجابهة القوى الفرنسيه المدججة بالسلاح والمدربه تدريبًا جيدًا .

وشهد السيد عمر مكرم أحداث الحملة الفرنسية خلال سنواتها الثلاث التى قضتها بمصر مؤيدًا لمطالب الشعب فى الحرية وطرد المستعمر ، ويسجل التاريخ لذلك الزعيم الوطنى مواقفه المشهودة أثناء سنوات الاضطراب بعد جلاء الفرنسيين ومحاولته فرض إرادة الشعب فى حكم نفسه بنفسه والتى تخمض عنها تثبيت محمد على فى الحكم عام ١٨٠٥م ، والذى سعى إلى إضعاف قوة الإرادة الشعبية والتخلص منها بنفى عمر مكرم مرتين خارج مدينة القاهرة وبذلك استطاع والى مصر الجديد تثبيت دعام حكمه. وتوفى السيد عمر مكرم فى عام ١٨٨٢ م بعد عمر يناهز السبعين عاماً قضاها مجاهدا فى سبيل الوطن .[١٥]

ومن الجدير بالذكر أن اقليم أسيوط وصعيد مصر عموما لم يكن مصدر جذب لهؤلاء العلماء بقدر ما كان عامل طرد لهم فآثر أغلبهم البقاء فى القاهرة معقل الأزهر ، وعدم العودة إلى بلادهم الأصلية ، فحضرتهم الوفاه ودفنوا بعاصمة البلاد ، وربما كان سبب ذلك هو ازدهار الحياة العملية وانتعاشها داخل الأزهر وتعلقهم بها إلى جانب ارتباطهم بالحياة العامة فى القاهرة . على أن بعضهم عاد أدراجه بعد أن نهل من علوم مشايخه وفضل البقاء بين ذويه وأهله بالصعيد .

هوامش الفصل الخامس

(١) دار المعلمات العامة بأسيوط : من عظماء أسيوط ، ص ص ٧ - ١٥

(٢) عثمان فيض الله : أسيوط ، مرجع سابق ، ص ٤٦ ٠

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجاب الآثار ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ٠٠

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص٣٢٦ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٣٢ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤١٠ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٤٧٦ - ٤٧٩ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٤ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٤٦ ٠

(١١) عثمان فيض الله ، أسيوط ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ٠

(١٢) من عظماء أسيوط ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨ - ٥٩ ٠

(١٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ٠

(١٤) من عظماء أسيوط ، مرجع سابق ، ص ٦٠ ٠

(١٥) المرجع نفسه ، ص ص ١٠٤ - ١٠٥ ٠

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية والأسروية

كان المنزل الأسيوطى رحبًا متسعًا به فناء كبير من الداخل تقع على جوانبه الغرف ، حيث أغلب المنازل من طابق واحد ، فيه قاعة كبيرة لاستقبال الضيوف ، وغرفة لتخزين الحبوب يطلق عليها "الحاصل" ، وفرن لصناعة الخبز من الشعير، والقمح والذرة ، يضاف إلى بعضها الحلبة أو الترمس ، بعد طحنه فى المنازل بطاحون يدوى "رحاة" بأيدى النسوة، أو طحنه فى المطاحن العامة المنتشرة بأنحاء المدينة المختلفة والتى تدار مثل الساقية تجرها الثيران ، والبغال ، والحمير، نظير أجر معلوم.

أما المياه فيستوفى الناس حاجاتهم منها من خلال الآبار المنزلية العديدة الموجودة بداخل البيوت ، أو من قنوات المياه فى الجنوب حيث خليج المجذوب ، أو من القناة المائية الواقعة فى أقصى غرب المدينة فيما بينها وبين الجبل الغربى والقادمة من أقصى الجنوب الغربى فى اتجاه الشمال وهى التى عرفت فيما بعد بالترعة السوهاجية.

وقد اهتم الأسيوطيون كل الاهتمام بأسطح منازلهم إذ كانوا ينامون عليها فى الصيف هربًا من قيظ الصيف على أسرة من "جريد" النخيل وهى صناعة معروفة بأسواق المدينة .

وكان الأب وأبناؤه حتى المتزوجون منهم يقيمون فى منزل واحد إذ التزم الأبناء بأوامر الشرع الحنيف فى حتمية احترام الوالدين وتقديسهم وطاعتهم ، والجميع يرتبطون بمعيشة واحدة لا انفصال بينهم . كما كانت الحشمة واتباع الفضائل سيدة الأخلاق العامة فى المجتمع الأسيوطى ؛ فلم يكن الخروج والسير فى الطريقات مألوفاً عند السيدات إلا بمصاحبة أهليهم وهن يرتدين الجلباب الأسود الفضفاض ، و يغطين كل الوجه بالبرقع أو "الشقة".

أما الرجال الموسرون فيرتدون القفطان والجبة أو الجلاليب البيضاء النظيفة وبعضهم يرتدون الطربوش المغربي ، وهو أثر من آثار الوجود المغربي في المجتمع الأسيوطي ، أما الفقراء منهم فيرتدون الجلاليب الزرقاء والقلانس ، والمراكيب من صنع مدينة أبي تيج.[1]

وكانت الفتاة تتزوج وهي في سن صغيرة حيث تصفها وثائق المحاكم الشرعية بـ : " البنت البالغ البكر المراهق" أو "خواجات البكر بنت المحترم....."[2] . على أن المهور كانت تتفاوت بين طبقة اجتماعية وأخرى حسب حالتها الاقتصادية هبوطاً وصعوداً؛ ففي بعض حالات زواج بعض العمال أو الصناع من الطبقات الدنيا كان متوسط الصداق يصل إلى نحو عشرين قرشا فقط المدفوع "الحال" منه نصفه أي عشرة قروش ، ويتم تقسيط النصف الآخر[3] على عشرة سنوات كل سنة قرش واحد. أما الطبقات ذات الدخول الأعلى فقد يصل الصداق فيما بينها إلى تسعين قرشا أو أقل قليلا ، حيث يتم تسجيل عقد الزواج بدار المحكمة الشرعية فمثلا : " في غرة صفر الخير سنة ١١٥٤ هـ وفيه لدى مولانا القاضي العمد محمد الكناني .. تزوج عيسى ابن الحاج احمد (الطماوي) بمخطوبته آمنة البكر بنت المحترم الحاج العمد عبد العزيز على الكناني ... على صداق جملته ٧٠ سبعون قرشا أي من ذلك خمسة وثلاثين قرشا اعترف والدها بقبضه لها جميع مبلغ أي والمتجمد مقدار خمسة وثلاثون قرشا مقسطة لها عليه لمدة إحدى وعشرين سنة كل سنة خمسون قرشا نصف. "[4]

وكان تقسيط مؤخر الصداق على عدة سنوات قد تصل إلى عشرين سنة أو اكثر مألوفا في المجتمع الأسيوطي سواء في مدينة أسيوط ذاتها أو في المدن الأخرى التابعة لإقليم الأسيوطية[5] ويشهد والد البنت بأنه قبض الحال من الصداق بيده في المحكمة الشرعية لدى القاضي على أن الملاحظ أن المهور زادت زيادة ملحوظة في أواخر العصر العثماني وقبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ، ولم تعد إلى حالتها الطبيعية كما كانت من قبل وبعد خروج الفرنسين من مصر، فلدينا وثيقة صادرة عن محكمة أسيوط الشرعية قبل مجيء الفرنسيين بنحو ثلاثة عشر عامًا تشير إلى صداق جملته

خمسة آلاف نصف فضة المقبوض منه ألفين وخمسمائة نصف فضة ، ولما كان القرش يساوى ثلاثين فضة فى هذه الفترة ، فإن هذا الصداق يساوى نحو ٥ر١٦٦ قرشا[٦] مما يدعو إلى القول بأن الأسعار قد ارتفعت ارتفاعاً كبيرًا فى هذه الآونه.

وكانت العروس لا ترى زوجها إلا عند زفافها واستقرارها فى منزل الزوجية ولا تدرى من أمره سوى ما تتحسسه من أخبار عنه ؛ فالعريس لا يشترك مع أهله فى اختيار شريكة حياته فى أغلب الأحيان وخاصة فى ريف أسيوط ، والصعيد بوجه عام وتعلم الأبناء أن يرضخوا لاختيار والديهم ، لأن الأختلاط لم يكن مسموحاً به على الإطلاق.[٧] فى مثل هذا المجتمع المحافظ والمتشدد.

أما فى حالات الوفاة فتجرى العادة بأن يتقدم الجنازة جمل يحمل (صحارتين) أو صندوقين مملوئين بالخبز والتمر والفاكهة ، وفى جنائز الموسرين ورجال الادارة العثمانية تتقدم الموكب طائفة من رجال الفرق العسكرية (الأوجاقات) المتواجدين بالمدينة. وجرت العادة فى جنائز الطبقات الدنيا أن يشيع الميت بالندب والعويل ولطم الخدود وتلطيخ الوجه بالطين حتى بلوغ القرافة فى أحضان الجبل الذى تقع على سفحه مقابر الفراعين ، وهذه العادات السيئة موروثة بلا شك منذ العصر الفرعونى ، ومنها كذلك زيارة الميت بعد أسبوع من وفاته بعد انتهاء ليالى المأتم الثلاث ، وتتوالى زيارته بالمدافن بعد شهر من وفاته ، ثم بعد مرور أربعين يومًا ثم بعد عام ، وهكذا حيث تتخذ كل أسرة فى العادة "حوشا" كبيرًا فى القرافة يفد إليه أفراد الأسرة فى كل مناسبة دينية أو موسم حيث يقضون اليوم بأكمله فى هذا الحوش يأكلون ويشربون ويتسامرون.

هوامش الفصل السادس

(١) عثمان فيض الله : مرجع سابق ، ص ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٢٧ فى ١٢ ربيع الآخر ١١٠٧ هـ . وثيقة رقم ٢٤٥ فى غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ .

(٣) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٢٨ ، ١٥ ربيع الآخر ١١٠٧ هـ .

(٤) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٢٤٥ ، فى غرة صفر الخير ١١٥٤ هـ .

(٥) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٢ ، فى ١٣ ربيع أول ١١٧٩ هـ .

(٦) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٥٥ ، فى عشرة ذى الحجة ١١٩٩ هـ .وثيقة رقم ٤٠٨، فى ٢٩ رمضان المعظم١١٥٩ هـ .وثيقة رقم ٣٨ ، فى ١٧ جماد أول ١٢١٨ هـ .

(7) Chabrol ; Essai sur les moeurs des habitans Modernes de l'Egypte op. cit,.p . 83.

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية ودور الهوارة

الفصل السابع

النظام الاقتصادى

أولا : الزراعة

الزراعة منذ قديم الأزل هى الحرفة الرئيسية للمصريين سواء فى شمال الوادى أو جنوبه نظرًا لخصوبة الأرض ، ووفرة المياه ، ووجود اليد العاملة ذات الخبرة العالية ، إلا أن علماء الحملة الفرنسية عند مجيئهم إلى مصر رصدوا كثيرًا من الاختلافات "الشديدة" بين عادات المصريين الزراعية فى شمال الوادى فى مصر عن مثيلاتها فى جنوبه ، فيقول المسيو "لانكريه" عن هذه الاختلافات فى الصعيد أنها تعود إلى نمط الزراعة التى تقتضيها طبيعة أرضه[1] ، ونظام الرى المتبع الذى يعتمد على نظام الرى الحوضى السائد فى مصر فى العصر العثمانى والذى يتأثر بمنسوب ارتفاع مياه النيل كل عام ، وبالتالى على إنتاج مصر الزراعى مما يؤدى إلى تعرض البلاد لنقص الغلال فى سنى الجفاف والقحط ، كما تتعرض لنفس الأزمة فى سنى الفيضان المرتفع ، لعدم وجود نظام لضبط مياه النيل والتحكم فيها ، مع عدم العناية بالجسور التى وقع عبء صيانتها على عاتق الأهالى وضبط نظام الرى والصرف[2] ، وكان من نتيجة إهمال السلطات الحاكمة للبلاد لعملية الرى أن كثرت المشاحنات بين القرى ، كما قام العربان بالسيطرة على موارد المياه دون الاهتمام بمصالح البلاد أو مصالح غيرهم من الأهالى[3] ، وقد بلغ بهؤلاء العربان فى اغتصابهم للحقوق شأوًا كبيرًا ؛ فهم لايراعون عرفًا أو تقاليد ؛ فقد كانوا يستولون على محاصيل القرى الواقعة فى متناول أيديهم ولو كان هذا المحصول لايفى بحاجيات زارعيه كما قاموا بقطع الجسور وتحويل مياه الرى غير عابئين بمصالح جيرانهم من الفلاحين أو بمصالح البلاد[4] .

وقد ساد مصر فى العصر العثمانى ثلاثة مواسم زراعية خلال السنة طبقاً للمناخ السائد ونظام الرى وطريقة توزيع الأراضى ، ومدة كل موسم أربعة أشهر ، وهى موسم

الزراعة الشتوية ، وموسم الزراعة الصيفية ، ثم موسم الزراعة الدميرية أو النبارى ، ولكن أهمها الموسم الشتوى،والصيفى[٥] .

١ - **موسم الزراعة الشتوية :**

ويبدأ هذا الموسم من شهر ديسمبر وينتهى فى شهر مارس وهو نوعان :

أ - **البياضى :**

وهو نوع من الزراعات تستفيد فيه الأرض إلى أقصى حد من ماء الفيضان حتى موعد حصادها ، وانتشرت هذه الزراعة فى مصر العليا والوسطى بما فيها إقليم أسيوط ، باستثناء الفيوم ، وأهم محاصيلها : القمح ، الشعير ، والفول ، والعدس ، والحمص ، والبازلاء ، والقرطم ، والترمس .

ب - **الشتوى :**

وهى المحاصيل التى تزرع فى الأراضى التى تغمرها المياه غمرًا كاملاً ، وكان يستعان بالرى الصناعى فى حالة عدم غمرها بالماء ، وأهم هذه المحاصيل : الفول ، والبصل، والخس[٦].

٢ - **موسم الزراعة الصيفية :**

ويمتد هذا الموسم من شهر أبريل حتى أواخر يوليو ، وتعتمد المحاصيل التى تزرع خلال شهوره على الوسائل الصناعية فى الرى ، وأهم هذه الحاصلات : القطن ، والنيلة ، والأرز ، والقصب ، والذرة الصيفية[٧] .

٣ - **موسم الزراعة الدميرية أو النباري :**

ويمتد موسم هذه الزراعة من أغسطس حتى نوفمبر ، ويأتى بعد موسم الزراعة الصيفية مباشرة وانسحاب مياه الفيضان ، فإذا كانت الأرض المزروعة منخفضة واستفادت من مياه النيل عرفت بالزراعة الدميرية ، وإذا كانت الأرض مرتفعة وتحتاج لرفع المياه إليها بالوسائل الصناعية عرفت باسم النباري ، وأهم حاصلات هذا الموسم : النيلة ، والذرة والبطيخ .

وعن آلات الرى التى كانت تستخدم فى صعيد مصر فهى الساقية (الدولاب ذات القواديس) ، والشادوف ، والطنبور ، وهى آلات بسيطة كانت تستخدم فى مصر منذ زمن قديم ، وتعتمد فى إدارتها على الجهد الإنسانى أو الحيوانى أو الأثنين معاً ، أما الآلات الأخرى المستخدمة فى العمليات الزراعية كالحصاد والدراس فأهمها المحراث ، والنورج ولم تكن بأحسن حالاً من آلات الرى البدائية المستخدمة[8] .

، تلك كانت أهم نظم الزراعة والمحاصيل الزراعية فى صعيد مصر بصفة عامة ، أما هذه المحاصيل فهى :

١ - القمح :

وكان يمثل المحصول الرئيسى للبلاد ، سواء فى الوجه القبلى أو البحرى ، وتتوقف كمية إنتاجه على ارتفاع أو انخفاض مياه الفيضان ، وكانت أسيوط أحد الولايات الجنوبية الهامة التى تجود بها زراعة القمح ، ويعتبر قمح الصعيد من أجود أنواع القمح وأوفره إنتاجاً ، فقد كانت تحصل القاهرة على جزء كبير من احتياجاتها من القمح من غلال الصعيد[9] .

ويتراوح انتاج الفدان المزروع بالقمح فى أسيوط ما بين سبعة إلى ثمانية أرادب ، ومن عشرة إلى إثنى عشر أردباً فى الجزر الواقعة وسط النيل[10] فى سنى الفيضان المعتادة ، واستخدم القش المهروس (التبن) المتخلف عن أعواد القمح غذاءًا للخيول ، ولغيرها من الحيوانات التى تستخدم فى أعمال الزراعة[11] .

٢ - الذرة الرفيعة :

كانت الذرة الشامية تزرع فى الوجه البحرى ، أما الذرة الرفيعة فهى من أهم المحاصيل التى تنتجها أراضى الوجه القبلى ، وكان إنتاج الفدان يتراوح مابين ستة وعشرة أرادب ، وكانت الذرة مصدرًا رئيسيًا لغذاء معظم السكان فى الوجه القبلى ، كما كانت من المحاصيل المقبولة فى دفع الضرائب عيناً ، حيث كان تحصيل الضرائب المقررة على أراضى الصعيد تتم إما نقداً أو عيناً تبعاً لنوع المحصول الذى يزرعه الفلاحون فى أراضيهم[12] .

وكان إنتاج محصول الذرة الصيفية فى أسيوط للفدان الواحد يختلف من مكان لآخر ، فيتراوح ما بين أربعة إلى تسعة أرادب ، وأحياناً يصل إلى أثنى عشر إردبا[١٣].

ويستخدم الأهالى من العربان والفلاحين العيدان بعد تجفيفها كوقود ، وخاصة لإنتاج الطوب الأحمر ، وحرق الأوانى الفخارية ، إلى جانب صناعة الجير ، وفى جميع الأغراض المنزلية الأخرى[١٤] .

٣- الشعير :

من المحاصيل الشتوية ، ويزرع فى جميع أنحاء البلاد من الجنوب إلى الشمال ولكن الاختلافات الواضحة فى درجة الحرارة تؤدى إلى وجود اختلافات واضحة فى إنتاج هذا المحصول ، ولذا كان إنتاج الفدان الواحد يتراوح مابين خمسة وعشرة أرادب فى صعيد مصر، وهى انتاجية أعلى من مثيلاتها فى الدلتا ، وقد بلغ ثمن الأردب من الشعير عادة بوطاقة واحدة فى ولايتى جرجا وأسيوط ، وهو مايعادل نصف ثمن القمح ويستخدم الشعير كغذاء للخيول ، كما يدفع كضريبة عينية عن الأرض الزراعية ، ويصدر إلى الخارج عن طريق ميناء القصير، وميناء الاسكندرية[١٥] .

٤ - القطـــن :

من المحاصيل الصيفية ، وكان يزرع فى الوجهين القبلى والبحرى ، لكن شجيراته فى الصعيد كانت قوية ومعمرة بحيث أن زراعة واحدة يمكن لها أن تستمر فى الأرض من ثمان إلى عشر سنوات ، وتغل أكبر انتاج لها حتى العام الثالث ، ثم يبدأ الانتاج فى الانخفاض ، ويعطى الفدان الواحد فى أقصى انتاجية له نحو ثلاثمائة رطل من القطن ، وتستخدم أقطان الصعيد فى صناعة المنسوجات لاستهلاك البلاد ، ويتم تصدير مايفيض عن حاجة السكان ، وكانت مصانع أسيوط المحلية تستخدم النيلة التى تزرع فى الإقليم لصباغة هذه المنسوجات التى يرتديها فى الغالب فلاحو الريف[١٦] .

٥ - الكتـــان :

من المحاصيل الشتوية ، وكان يزرع فى أسيوط والمنيا والفيوم ، ووسط الدلتا ، ويعتبر واحد من أهم محاصيل ولاية أسيوط ، حيث يباع الرطل الواحد من أليافه بعد

فصلها عن البذور فى مدينة أسيوط وضواحيها بنحو ٤ بوطاقات ويستخدم جزء كبير من الانتاج فى صناعة المنسوجات الكتانية المعروفة باسم "السيوطى" التى يجيدها نساجو المدينة وقراها المختلفة بعد صباغتها بالنيلة أو تبييضها بالنطرون والجير الحى كما يستخدم فى صناعة بعض المفروشات والفائض يصدر إلى جزر الأرخبيل ومارسيليا(١٧) .

٦ – قصب السكر :

ازدهرت زراعة قصب السكر فى العصر العثمانى ، وزرعت منه مساحات شاسعة فى كل أنحاء الصعيد تقريباً ولذا فإن بعض الأمراء المماليك أقاموا مصانع للسكر فى أماكن مختلفة من الوجه القبلى ، واهتم عرب الهوارة بزراعة هذا المحصول لهذا الغرض وكان الفدان الواحد ينتج نحو ٢٠ قنطاراً من السكر ، ويباع القنطار الواحد بـ (١٠٥ رطل) بنحو ٢٠-١٢ بوطاقة(١٨) .

٧ – النيلة :

من المحاصيل الصيفية التى تجود زراعتها فى مصر العليا (الصعيد) ، خاصة فى الصعيد الأعلى ، ثم تقل الجودة كلما هبطنا شمالاً ، ولما كانت زراعة هذا المحصول تحتاج إلى نفقات باهظة ، فلم يقدم عليها سوى الفلاحين الميسورين ، والأمراء المماليك وشجعهم على ذلك ما تدره عليهم من أرباح وفيرة ، حيث يستخرج من هذا النبات مادة الصباغة الزرقاء المستخدمة فى صناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية التى يلبسها الفلاحون عادة ، ويتم استخراج هذه الصبغة من أوراق النبات أربع مرات فى السنة ويصدر منها مايفيض عن حاجة البلاد إلى الدول الأوربية(١٩) .

٨ – القرطم :

وينتشر زراعته فى وادى النيل فى فصل الشتاء فى المنطقة الواقعة بين إسنا والقاهرة ويزرع بصفة أساسية فى ولاية أسيوط(٢٠) . ويزرع لغرضين أساسيين : الأول استخدام وروده فى الصباغة فتستخرج من هذه الورود صبغة صفراء ، والثانى استخدام بذوره فى استخراج الزيت بعد عصره ، وتصحن زهور القرطم أحياناً لإضافتها مع الزعفران الذى يصنع فى أسيوط التى كانت هى المستودع الرئيسى للزعفران المصنع فى الصعيد

بأجمعه ، فيعرض فى أسواق المدينة ، ويباع جزء كبيرمنه لتجار القاهرة ، ويصدر الباقى إلى الخارج وخصوصا إلى بلاد العرب عن طريق ميناء القصير(٢١) .

٩ - البقـــــــول :

وهى تشمل الفول ، والعدس،والبازلاء ، والحمص ، والترمس ، وهى من المحاصيل الشتوية ، ويزرع الفول بوفرة فى ولايات جرجا وأسيوط والمنيا فى أرض تروى رياً طبيعياً ، ويعطى الفدان فى السنوات العادية محصولاً يصل إلى سبع أرادب للفدان الواحد على أقصى تقدير ، ويفى باحتياجات السكان ويصدر الباقى للجزيرة العربية ، وتستخدم سيقانه التى تهرس تحت النورج كعليق للجمال والثيران والماعز .

أما العدس فلا تتطلب زراعته إلا جهداً ضئيلاً ، بطريقة الزراعة البياتى التى تغمرها المياه وتروى بشكل طبيعى فى المناطق الواقعة ما بين إدفو جنوباً حتى الجيزة شمالاً ، ويتم استهلاك أهل الصعيد بعد نزع قشرته ، ويصدر لشمال البلاد ، والباقى يصدر للخارج ، بعد دفع الضرائب منه عيناً ، حيث تعتبر زراعته بأسيوط والمنيا مجزية أكثر من غيرهما(٢٢) .

أما الحمص فتجود زراعته فى كثير من أراضى الصعيد ، ويستخدم كغذاء للفلاحين ويصدر للمدن فى الشمال ، ويتراوح إنتاج الفدان الواحد من أربعة إلى ثمانية أرادب كما يزرع الترمس الذى يستخدم كغذاء للسكان ولكن بشكل غير رئيسى ، وتستخدم سيقانه التى لاتصلح غذاءً للماشية ، بعد تجفيفها كوقود ، أو حرقها لصناعة نوع من الكربون يدخل فى صناعة بارود البنادق (٢٣).

كما اشتهرت أسيوط كغيرها من أقاليم الصعيد وأجزاء مختلفة من الوجه البحرى ، بزراعة البصل والبطيخ والشمام ، والخضروات فى الجهات القريبة من النيل ، مثل البامية والخياروالملوخية والبازلاء واللوبيا ، كما كان يزرع فى ولا يتى أسيوط وجرجا نوع من اللفت يطلق عليه " السلجم " تستخدم بذوره فى إنتاج الزيت المستخدم فى الطعام والإضاءة كما استخرج زيت الطعام من بذور السمسم (٢٤).

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل عرف الفلاح فى صعيد مصر زراعة الدخان الذى كان يزرع فى فصل الشتاء حيث ينتج الفدان الواحد فى مرحلة الجمع الأولى ٢٠ بالة (٤٠ رطل) والثانية ١٠ بالات ، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فلا تعطى أكثر من حمولة ثلاثة جمال فقط ، ويباع القنطار بنحو ٢٥٠ – ٣٠٠ مدينى وكان يستهلك جميعه فى أرياف الصعيد نظرًا لعدم جودته [٢٥].

أما أهم الأشجار التى عرف الفلاح فى صعيد مصر زراعتها ، فهى النخيل الذى ينتج ثمرة البلح متعدد الأنواع فيستهلك جزء منه فى مناطق الإنتاج ويرسل الجزء الباقى إلى أسواق المدن الرئيسية ، والقاهرة ، ويكبس بعضه ليصبح " عجوة " أو يجفف ويعبأ فى " قفف" ويصدر إلى المدن الشمالية ، ويقدر إنتاج النخلة الواحدة من البلح سنوياً بنحو ٢٧ أقة ما قيمته ١٥٠ مدينى ، وتستخدم ثمرتها في صنع نوع من الخل ، ونوع من الخمور ، كما أن جذوعها تستخدم كعوارض وكمرات لسقف المنازل ، ويصنع من مختلف أجزاء سعفها الأقفاص، والسلال ، والقفف ، والحبال ، وكثير من الأثاثات والآنية التى يستخدمها سكان الريف فى صعيد مصر [٢٦] ، ولقد شكل البلح مصدرًا هاماً من مصادر الاقتصاد الريفى فى أسيوط ولايزال حتى اليوم . وتعتبر أشجار الكروم من أهم أشجار الفواكه بعد النخيل . كما تزرع أشجار الرمان والبرتقال والليمون فى حدائق عظيمة يمتلكها كبار الملاك والأثرياء ، والتين، والجميز ، والنبق واستخدمت أخشاب الجميز فى بناء القوارب التى تسير فى النيل ، وصنع منها ألواح الخشب السميكة الشبيهة بألواح البلوط والسنديان ، كما تصنع من أخشاب أشجار النبق والسنط ، العجلات (الدواليب) المسننة للسواقى ، كما تستخدم بذور أشجار السنط محل لحاء البلوط فى دبغ الجلود[٢٧] .

تلك كانت أهم المحصولات الزراعية التى ينتجها صعيد مصر بوجه عام وإقليم أسيوط بوجه خاص ، وساهمت بشكل مباشر فى اقتصاديات مصر خلال العصر العثمانى داخلياً وخارجياً ، ومن الملاحظ للباحث فى هذه الفترة أن بعض هذه المحصولات كانت تقوم مقام العملة فى تسديد الضرائب المقررة على الأراضى الزراعية ، ومن هذه

المحصولات القمح والشعير ، ثم يقوم الفلاحون ببيع الفائض منهم فى الأسواق المحلية بالأقاليم .

ومن الجدير بالذكر أن انتاج بعض المحاصيل الغذائية كالقمح انخفض فى سنوات انخفاض منسوب مياه النيل أو فى سنى الكوارث الطبيعية مما أثر تأثيرًا سيئاً على الأحوال الاقتصادية لأهل الصعيد ،وبالتالى على حالة الأسواق فى القاهرة ، وكذلك فى حالات الاضطراب السياسى والصراعات العسكرية بين البيوتات المملوكية ، وكثيرًا ما كانت تؤدى هذه الظروف إلى القحط والمجاعة ، وهجر السكان لبلادهم [٢٨] ، ولم تنج أسيوط من هذه الاضطرابات السياسية التى لعب فيها عرب الهوارة دورًا كبيرًا [٢٩] .

الثروة الحيوانيـــة :

قام الفلاحون بتربية أنواع متعددة من الحيوانات لمساعدتهم فى أعمال الحقل ، لأن العمل الزراعى اعتمد على الجهد البشرى والحيوانى ، ولإمداد الريف والمدينة بالمنتجات الحيوانية من اللبن والجبن والسمن ، واللحوم ، والجلود.

وأهم الحيوانات التى وجدت فى الصعيد هى الجاموس والأبقار حيث استخدمت لإدارة السواقى ، وتتغذى على أعواد الذرة الخضراء ، والجلبان ، والفول ، والتبن ، والبرسيم .

كما اهتم الفلاحون بتربية الماعز ، والأغنام التى تجز أصوافها مرة كل عام فى منتصف شهور الصيف ، وتزن جزة الخروف الواحد من ٢ - ٤ أرطال تباع فى ضواحى أسيوط بنحو ٦٠ - ٩٠ مدينى لاستخدامات المغازل[٣٠] ، حيث يدخل فى صناعة الأنسجة الصوفية والسجاد والأحرمة .

أما حيوانات النقل والركوب فقد أولاها المزارعون اهتمامهم لحاجتهم الشديدة إليها، فهى وسيلة النقل والترحال ، وهى الحمير والجمال والخيول ، وكانت تربية الجمال أهم ما تشتغل به القبائل العربية المنتشرة على طول ضفتى وادى النيل ، وكان العربان يجلبون الجمال من سناروددارفور بالسودان إلى الأسواق المحلية ، كما كانت قافلتى دارفور وسنار تبيع كثير من الجمال المرافقة لها فى رحلة الذهاب أثناء استراحتها بأسيوط [٣١]

وكانت الحمير أكثر دواب الحمل انتشارًا واستعمالا فى القرى ، لاعتماد الفلاح عليها اعتمادًا كلياً فى الأحمال وأعمال الحقل .

أما الخيول فاستخدمت للركوب ، وقام بتربيتها الأشخاص من ذوى المكانه فى المجتمع الريفى أو العربان الذين مارسوا مهنه تربيتها على مشارف الصحراء(٣٢) ولم يخل المجتمع الريفى من الاهتمام بتربية الدجاج والحمام والنحل وشكلت جزءًا هاماً من مصادر الثروة الحيوانية للريف المصرى فى صعيد مصر ، واشتهرت قرى أسيوط بامتلاك عدد كبير من خلايا النحل ، وأتقن نصارى هذه القرى الاشتغال بهذا العمل (٣٣) حيث ينقل الإنتاج لأسواق القاهرة باستمرار .

وهكذا يتضح لنا أن الاقتصاد الزراعى لعب دورًا هامًا فى الحياة الاقتصادية فى صعيدمصربوجه عام وفى إقليم أسيوط بوجه خاص.

ثانيا - الصناعـــة

الصناعة فى صعيد مصر فى العصر العثمانى وخلال وجود الحملـة الفرنسـية بمصـر وحتى نهوض محمد على بالصناعة فى البلاد ، كانت بدائية إلـى حد بعيـد ، وتعتمد علـى القوة العضلية للعمـال ، كمـا تعتمد علـى المواشـى فـى إدارة هـذه الآلات البدائيـة ، وكـان الغرض من هـذه الصناعـات هـو سد حاجـات السكان المحليين الضروريـة مثـل صناعـة المنسـوجات الكتانيـة والسكر والزيوت وبعض الصناعـات الغذائيـة والسـجاد ومعـدات الحروب (٣٤) .

وقد عرفت مدينة أسيوط منذ العصر الاسلامى بأنها أحد المراكز الصناعية الهامة فـى صعيد مصر ولا يضاهيها فى ذلك سوى أخميـم ومنفلـوط ، نظـرًا لموقعهـا المتمـيز الفريـد ومهـارة أهلهـا ونشـاطهم الجـم ، وكـانت مركـزًا للعديـد مـن الحـرف والصناعـات لاسـيما صناعات النسيج والسجاد والصباغـة والفخـار والجلـود والعـاج والزجـاج ، بالإضـافـة إلـى بعض الصناعـات التـى اعتمـدت علـى المنتجـات الزراعيـة مثـل صناعـة السكر والزيـوت والنبيذ والأفيون (٣٥) ، وارتبطت أغلـب الصناعـات فـى أسيوط بالزراعـة والمحصـولات الزراعية ، ولذلك تأثرت تأثرًا مباشرًا بتقدم الزراعة أو اضمحلالها فـى فترات الأزمـات الاقتصاديـة والسياسية ، وأهم هذه الصناعات هى:

١ - صناعة الغزل والنسيج :

اشتهرت أسيوط بهذه الصناعة منذ العصر المسيحى وأنتجت ما يعرف بالنسيج القبطى حيث كانت ومعها أخميم تصدر هذه المنسوجات إلى بيزنطه وروما ، وظلت هذه الصناعـة مزدهرة طوال فترة العصر الإسلامى ثم العصر العثمانى ، فانتشـرت المغـازل والمناسـج اليدوية ونصف الآلية فى قرى وريف أسيوط بجانب المدينة ذاتها التـى تقـوم بغـزل ونسـج المنسـوجات الصوفية والكتانية والقطنية والحريرية ، ولكن المنسوجات الصوفية والكتانيـة أصبحت هى الغالبة خلال العصر العثمانى وشكلت الأقمشة الكتانية المصنوعة فـى أسيوط ومنفلوط أهم صادرات مصر إلى الجزائر وتونس سنوياً (٣٦) . وكان من أهم قـرى أسيوط التى اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية قرية أبنوب(٣٧) وقرية درنكة (٣٨) .

وقد تقدمت أسيوط فى صناعة المنسوجات الكتانيـة الملونـة باسـتخدام الصبغـة الزرقـاء المستخرجة من النيلة لصباغة أقمشة الثياب التى يرتديها أبناء الطبقات الدنيا(٣٩) وكـان مـن الميسور الحصول على الشبة والنيلة من الواحات المجاورة لإقليم أسيوط مما أدى إلى تقـدم صناعة المنسوجات .

أما المنسوجات الصوفية كالأحرمة والأكلمة والبطاطين فقد فـاقت أسيوط فـى شـهرتها فى هذه الصناعة كثير من المدن المصرية حيث اعتمدت على صـوف الأغنـام التـى تربـى بكثـرة فى هذا الإقليم(٤٠) ولازالت هذه الصناعة تلعب دورًا هامًا فى اقتصاديات الإقليم حتى اليوم خاصة فى الريف والمدن الصغرى .

واشتهرت أسيوط منذ العصور الوسطى بهذه الصناعة وذكر الرحالة أن أهلها ينسـجون عمـائم مـن صـوف الخـراف لامثيـل لهـا فـى العـالم ، وكـان الصـوف - دقيـق الصنـع - المصدر إلى بلاد العجم والمسمى بالصوف المصرى كله من بلاد الصعيد الأعلى ، بـل إن أهل أسيوط صنعوا " الفوط " مـن صـوف الغنـم والتـى كـانت مـن النعومـة بحيـث يحسـبها الإنسان صنعت من حرير لما بلغته هذه الصناعة من دقة وجودة ، وجمال كما أنها شكلت مصدرًا رئيسيًا من مصادر المصنوعات المخصصة للتصدير إلـى خـارج البـلاد بالإضافـة إلى الأقمشة القطنية والكتانية التى كانت تشكل المرتبة الثانية فى صادرات مصر إلى بـلاد المغرب العربى وعلى الأخص تونس(٤١) إلى جانب الأنواع المتعددة من الأقمشـة القطنيـة الأخرى مثل العجمى،والأمـان ، والمحـلاوى ، والدميـاطى ، والكتانيـة مثـل : المنوفـى ، والشـبينى ، والفضلـة ، والبتـانونى ، والمغربيـن ، والسيوطى والتـى كـانت تصـدر إلـى الموانى الاوروبية مثل مارسيليا ، وليفورنيو ، والبندقيـــة (٤٢) .

وقد ترتب على قيام صناعة المنسوجات المختلفة بمدن وبلاد الصعيد قيام حرف يدويـة ترتبـط بهذه الصناعـة مثـل الحياكـة(٤٣) واشـتهرت مـن بلادهـا بهـذه الحرفـة قريـة أبنـوب وبالذات حياكة الملابس الصوفية ، كما كانت عمليات الغزل تجرى فى المنازل على أيدى النسوة اللائى يقمن بهذه العملية ، ثم يرسلون بالخيوط المغزولة إلى الورش للمدن الكبرى حيث يتم تصنيعها(٤٤) .

٢ – صناعة السكر : اعتمدت على أحد المحاصيل الزراعية التى

وهذه الصناعة من أهم الصناعات التى اعتمدت على أحد المحاصيل الزراعية التى وكانت هذه الصناعة منتشرة

كانت ولاتزال من أهم محاصيل الصعيد وهو قصب السكر ، وكانت هذه الصناعة منتشرة فى مناطق

فى أنحاء الصعيد ومنها أسيوط منذ ما قبل العصر العثمانى[٤٥] وكانت مزدهرة فى مناطق المزروعة

استقرار الهوارة ، وتفاوتت هذه المصانع فى حجمها تبعاً لمساحة الأراضى المزروعة وكان

بالقصب حيث كان يزرع القصب فى أراضى أسيوط من مختلف الأنواع وأجودها ، وكان مصر

سكر أسيوط يصدر إلى خارج مصر بكثرة ليساهم بنسبة كبيرة من صادرات مصر العثمانية

الخارجية لجودته وقربته ، كذلك كانت ترسل كميات كبيرة منه إلى بلاد السلطنة العثمانية عام

وخاصة إلى مدينة استانبول ، لازدياد الطلب عليه فى الدولة العثمانية ، ففى عام الكمية

٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م أرسل إلى العاصمة العثمانية ثمانمائة قنطار ، وازدادت هذه الكمية السكر

فى عام ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م وبلغت ألف وأربعمائة قنطار قام بتوريدها أمين السكر وحتى

بالقاهرة[٤٦] . وظلت هذه الصناعة مزدهرة فى المدينة منذ العصر الفاطمى[٤٧] وحتى مدن

مجيئ الحملة الفرنسية لمصر، فتركزت فى مدينة أسيوط ذاتها إلى جانب بعض مدن الصناعية

الإقليم الكبرى كمدينة منفلوط[٤٨] ، التى كانت من أهم مدن إقليم أسيوط الصناعية

والتجارية[٤٩] .

وكان العمل فى هذه المصانع التى تتفاوت فى حجمها تبعا لمساحة الأراضى المراكب

المزروعة بالقصب بدائياً ، إذ ينقل إلى المصانع على ظهور الجمال أو بواسطة المراكب غلايات

الشراعية فى النيل ، ثم يتم تنظيف السيقان من الورق ويعصر ، ثم يغلى فى غلايات عليها

يحمى أسفلها بعيدان الذرة ويتم تنقيته ، وصبه فى قوالب ، وكل هذه العمليات تقوم عليها إدارة

بعض أفراد من العمال ، حيث يراقب بعضهم الثيران والخيول التى تنهض على إدارة يوماً

المعاصر ، وجر الآلات البدائية المستخدمة فى عملية التصنيع التى تستغرق نحو ٢٥ يوماً

لتحويل إنتاج الفدان الواحد إلى كمية تتراوح ما بين ١٥ – ٢٥ قنطار من السكر[٥٠] .

٣- صناعة الزيـــوت :

نهضت هذه الصناعة بأسيوط لتوفر النباتات والمحاصيل التى تساعد على قيامها من بذور الكتان والخس والسفرجل والقرطم والسمسم والسلجم (اللفت) الذى يعطى كمية أكبر من غيره من الزيت ، وساهم الزيت المصنع فى معاصر أسيوط فى صـادرات مصر للبلاد العربية حيث وجد فى أسيوط عشرة معاصر للزيوت أغلبها تقع إلى جوار مناطق إنتاج محاصيل الزيوت [٥١] ، وكانت هذه الزيوت تستخدم فى المأكولات ، أو إنارة البيوت والشوارع .

أما عن كيفية إستخراج الزيت من بذور هذه النباتات ، فقد أوردت المراجع أن بذور هذه النباتات وأوراقها كانت تجرش بين رحوين حتى تتحول إلى برغل ثم ينقل البرغل إلى رحوين آخرين من حجر الجرانيت يدوران حول جذع عمودى ، حتى يتحول البرغل إلى عجين يبسط فى المرحلة الثالثة بين حصر من سعف النخيل تسمى " أبراش " ، توضع فوق بعض حتى يصل عددها فى المعصرة الواحدة من ٨٠-٨٥ برشاً ترتفع لنحو مترين ،ثم يضغط بقوة على هذه الأبراش وبصفة مستمرة عن طريق رافعة تتحرك حول نقطة ارتكاز قوية مثبتة فى أحد جدران المصنع ذات ثقل كبير من الحجر الصوان ترتفع وتنخفض حسب الطلب ، وتتكرر عملية الضغط عدة مرات ، مما يؤدى إلى أن يسيل الزيت المعصور حول العمود وينتهى إلى حفرة فى أسفله ، فيتم تجميعه ويحفظ فى جرار فخارية كبيرة ، وكان بأسيوط مالايقل عن عشرة معاصر من هذا النوع[٥٢] .

وكان الأردب الواحد من بذور القرطم ينتج "بلاصاً ونصف" من الزيت ، وكان كل أردبين من بذور اللفت (السلجم) تنتج " بلاصين" deux ballâs " مثل الخس ، أما بذور الكتان فالأردبين ينتجان " بلاصـاً ونصف البلاص" من الزيوت[٥٣] ، ولم يقتصر وجود المعاصر على مدينة أسيوط ذاتها بل انتشرت خارج نطاق المدينة وعلى وجه الخصوص شرق النيل حيث تزداد مساحة الأراضى المنزرعة بمحاصيل الزيوت شرقى الوادى ، ولازال أهالى أسيوط حتى اليوم يطلقون لقب المعصرة ، والعصارة على أماكن هذه المصانع ، والتى ظلت تعمل حتى نصف قرن مضى تقريباً.

أما الصناعات الأخرى التى اشتهرت بها أسيوط خلال العصر العثمانى فمنها صناعة الأفيون الذى كان يستخرج من ورق الخشخاش الأسود والخس وكان يطلق عليه " الأفيون المصرى" وكان إنتاجه من الوفرة بحيث يتم تصديره إلى خارج مصر .

كما اشتهرت أسيوط بصناعة الأوعية الفخارية لاسيما حجارة الدخان ، والقدور ، والأزيار ، والأوانى الخاصة بتعبئة العسل الأسود والنيلة ، والقلل ، وساعد على انتشارها توفر الأيدى العاملة والطمى والوقود الرخيص .

وكذلك ساهمت أسيوط بنصيب وافر فى الصناعات التى اشتهرت بها أقاليم الصعيد مثل صناعة الحصر من نبات الحلفا Poa Multiflora وأطقم الخيل من الجلود ، والزمازم ، وقرب الماء ، وأجربة السلاح ، ومن العاج الذى كانت تبيعه قوافل دارفور وسنار أثناء إقامتها بأسيوط تصنع الكاولات ، والضمامات ، والفناجين ، ومن الزجاج تصنع مختلف أنواع التحف اليدوية ، وتفريخ الدجاج ، وصناعة الطوب ، وتجفيف البلح وكبسه.(٥٤) .

وكانت قيسارية أسيوط ، وأسواقها المتخصصة فى تجارة أنواع معينة من السلع والبضائع مصدر اجتذاب عدد كبير من تجار الصعيد وروادها من قرى وبلدان الصعيد الأوسط من جنوبى المنيا شمالاً حتى جنوبى طهطا التى كانت تتبع ولاية أسيوط.

ثالثاً: التجـــارة

لا شك فى أن الصعيد بوجه عام قد ساهم مساهمة فعالة فـى تجـارة مصـر الداخليـة والخارجية ، كما قامت حاصلاته الزراعية ، ومنتجاته الصناعية بدور هام فى هذه التجـارة.

ولقد لعب إقليم أسيوط بوجه خاص دورًا ملحوظاً فى نشاط الصعيد التجارى إذ كان أحـد المحطات التجارية الهامة فى طريق القوافل التجاريـة القادمـة مـن سـنار ودارفور ببـلاد السودان وفزان وبلاد المغرب الأقصى حيث القوافل القادمة عن طريق الصحـراء الغربيـة؛ فتجبى الضراب على هذه القوافل إما فى شكل نقدى أو عينى مما تجلبه من سلع وبضائع ، وكانت أسيوط أحد الموانىء النيلية الرئيسية فى صعيد مصـر إلى جـانب أسـوان وإسـنا وإدفو وقوص[٥٥] من خلال مينائيها الواقعين علـى نهـر النيل وهمـا الوليديـة فـى الشـمال الشرقى ، والحمراء فى الجنوب٠

وكانت أسيوط تصدر إلى أسواق القـاهرة : الغـلال ، والعدس ، وزيـت الكتـان ، والقرطم واللفت[٥٦] أما ضاحية " الحمراء" فى جنوب مدينة أسيوط والواقعة على شـاطىء النيل الغربى فأصبحت هى الميناء النهرى الرئيسـى لأسيوط بعد امتداد العمـران خـارج أبواب المدينة القديمة التى تهدمت أسوارها فى نهايـة القرن الثـامن عشـر نتيجـة لمعـارك الفرنســيين والممـاليك، حــيث يتـم تحصــيل الرســوم الجـمركية فــى الميــناء (الديوان Douane)[٥٧] وتفرغ السفن القادمة مـن شـمال وجنـوب البـلاد حمولتهـا فـى هـذا الميناء ، والحمراء لأسيوط هى كبولاق للقاهرة لا يفصلها عن المدينـة سـوى جسـر طولـه ٥٠٠ قصبه[٥٨] ٠

وقد كان أعراب الصحراء الغربية القاطنين فيما بين أسيوط وحتـى الفيـوم يذهبـون فى كل عام إلى الواحات كى يجلبوا البلح الذى يستبدلونه أثنـاء انعقـاد الأسواق الأسـبوعية والدائمة بالسلع والبضائع المختلفة وعلى وجه الخصوص الملابس التى يحتاجون اليها دائما٠ وكانت أسيوط محطة هامة للقوافل الافريقية الرئيسية الثلاث وهى قافلة دارفور ، وسـنار ، وفزان٠

١ – **قافلة دار فور:**

كانت هذه القافلة تجلب إلى مصر العاج ، والتمر هندى ، والقرب المصنوعه من جلد الجمال ، وبعض جلود النمور ، والصمغ وغير ذلك من السلع والبضائع الافريقية مثل الششم(٥٩) وسن الفيل ، والكرابيج ، وريش النعام ، وملح النطرون ، والشبه.

على أن تجارة هذه القافلة الرئيسية تمثلت فى العبيد السود المجلوبين من البلاد الإفريقية الشرقية ، وأغلبهم أطفال من الجنسين اختطف بعضهم من قرى مملكة دارفور بواسطة أناس محترفون ، أو من أسرى الحرب الذين وقعوا فى الرق ، والبعض الآخر يقوم بشرائهم تجار دارفور من القوافل الافريقية الأخرى القادمة إلى دارفور من الغرب الأفريقى وبلاد السودان الحبيسة التى تكونت ثرواتها من هذه التجارة مع الممالك المجاورة.(٦٠)

ولما كانت مدينة دارفور بالسودان تبعد عن أسيوط بمسيرة أربعين يومًا فى الصحراء الغربية ، فإن هذه القافلة كانت تحط رحالها خلال هذه الرحلة عدة مرات بجوار مصادر المياه حيث تأخذ قسطاً من الراحة.وكانت أهم محطاتها فى هذه الرحلة الشاقة قرية الخارجة، وهى على مسيرة ستة أيام للقافلة من أسيوط ، وفى هذه المحطة القريبة من أسيوط يقوم كاشف الواحات(٦١) بتقدير الرسوم التى يجب عليها أن تسددها ، بينما يقوم رئيس القافلة بتقدير نصيب كل تاجر فى الرحلة من التجار فى هذه الرسوم ولم يكن يسمح للقافلة بالتقدم حتى تسدد ما عليها من رسوم ولآخر مرة على بعد مسيرة نصف فرسخ من أسيوط فى مكان يسمى بيريس(باريس)(٦٢) ، حيث يقوم ببيع كمية من بضائعها تكفى لسداد هذه الرسوم . ولم يكن يسمح للقافلة بمواصلة سيرها شمالاً فى اتجاه القاهرة إلا بعد أن تكون قد سددت الرسوم بالكامل، وهذه الرسوم عبارة عن ٤ زر محبوب عن كل رأس من العبيد ، و٢ سكين Squin (٦٣) عن كل رأس من الجمال ، إلى جانب ما يحصله الكاشف لنفسه من رسوم قدرها تسعة مدينى عن كل عبد ، وأربعة مدينى عن كل جمل،وتقديم بعض الهدايا لكاشف المنطقه باسم ملك دارفور وهى فى الغالب عبارة عن

عبدين وجملين ، وعند عودة القافلة يتلقى رئيسها من حاكم ولاية أسيوط هدية مماثلة عبارة عن "طقم" كامل من الملابس.[٦٤]

وكانت مجموع العبيد المجلوبين مع تجار القافلة هائلاً فقد كان يرد إلى مصر سنوياً من خمسة إلى ستة آلاف من العبيد يشكل الإناث منهم أربعة أخماسهم أغلبهم في سن الطفولة إذ تتراوح أعمارهم ما بين خمسة أو سبعة أعوام ، وقليل منهم يبلغ الثلاثين وحتى الأربعين عاماً ، ويبلغ عدد التجار ومن يعملون تحت إمرتهم كالجمالين والخدم نحو أربعمائة أو خمسمائة شخص.

وقبل أن تغادر القافلة أسيوط نحو القاهرة فإنها تستريح لبعض الوقت في المدينة ، وبني عدي ، ومنفلوط وما يجاورها ، حينئذ تقوم ببيع جزء من تجارتها وخاصة العبيد ، ويبلغ ثمن العبد الواحد غير الخصي غالباً نحو ٣٥ زر محبوب ، ولهذا أقيم في أسيوط سوق دائم للعبيد يباع فيه الطفل من أربعين إلى ستين قرشاً أسبانياً (١٥٠ مديني)، وكانت عملية البيع غالباً تتم عن طريق المقايضة بالأقمشة السيوطية ويحصل حاكم المدينة في مقابل السماح بهذه التجارة على أربع قطع من القماش المصنوع بأسيوط أو قطعة واحدة من صنع المحلة الكبرى.[٦٥]

أما العبيد الخصي أو الطواشي فإن ثمن الواحد منهم يتضاعف نتيجة لصلاحيته للعمل داخل منازل الأثرياء مختلطاً بالحريم ، ولذلك كان رؤساء القافلة يتوقفون في قرية أبو تيج جنوبي أسيوط حيث يقوم الحلاقون ببتر العضو الجنسي للأطفال الذين لم يتجاوزوا سن الثامنة أو العاشرة ، وكان نصارى أسيوط هم الذين يتولون إجراء عملية الإخصاء ، لأن الشريعة الإسلامية تحرم الخصاء ، وبعد أن يتم شفاء العبيد من إجراء عملية الإخصاء تقوم سلطات أسيوط بالسماح لهم بمزاولة سيرهم مع القافلة صوب القاهرة[٦٦] ، حيث السوق الرئيسي للبلاد لهذه التجارة. أما عن البضائع الأخرى التي كانت تجلبها معها القافلة دارفور وتمر بها على أسيوط في طريقها للقاهرة فهي نحو [illegible] حمولة ٥٠ جمل من سن الفيل ، وكل جمل يحمل ثلاثة قناطير زنة القنطار ١١٠ رطل، وحوالي ٦٠٠ قنطار من التمر هندي Tamarindus India ، وكمية من الصمغ العربي

وزنها من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قنطـار ، وستمائه قنطـار مـن الشـشم الـذى كـانت لـه سوقا رائجة ، كما تجلب القافلة معها من مائتى إلى ثلاثمائة كرباج يباع الكرباج الواحد من ٤٥ - ٦٠ مدينى.

وتحمل القافلة معها كذلك كميـة مـن ريش النعـام تـزن مـا بيـن ٢٥ - ٣٠ قنطـار وأغلب أنواعـه هـو الريـش الأبيـض ، وقـرون الكركـدن[٦٨] ، التـى يصنـع منهـا مقـابض السيوف أو الخناجر ، أما القرب الواردة مع القافلة فتبلغ نحـو أربعـة آلاف زوج مصنوعـة من جلود الثيران أو الجمال.

وكعادة القوافل التجارية دائمًا فإنها تتخلص من نسبة كبيرة مـن الجمـال المصاحبـة لها فى رحلة الذهاب والتى كان عددها يصل إلى نحو ١٥٠٠ جمـل[٦٧] ، فتصـل إلـى نحـو خمس عددها فقط فى رحلة العودة بعد أن تمتد فترة إقامتها بمصر ستة أو ثمانية أشهر ، ولذلك يحدث كثيرًا أن تصل قافلة قبل أن ترحل تلك التى سبقتها.

وتعود قافلة دارفور لبلادها بالمنسـوجات الحريريـة والقطنيـة المصريـة والسـورية والأقمشة الكتانية والقطنية المصنوعـة فـى مـدن الدلتـا وأسيوط ، وأقمشـة أخـرى تسـمى "الاجة" والموسيلين ، والشيلان البيضاء الواردة من بلاد الهند ، ومعدات الخيول ، وملابس القرصـان ، والبـن ، والسـكر ، وقليـل مـن الأرز ، وبعـض البضـائع الأوربيـة كـالحلى الزجاجية والخواتم مختلفة الألوان ، وحبوب الكهرمان والمرجان والجلجل الذى تستخدمه النسـاء للزينـة ، والجـوخ والقطيفـة ، والأمـواس ، والقصدير والرصـاص ، والنحـاس ، والبنادق ، والمسدسات[٦٩] ، والسيوف ، وبارود البنادق ، كما تحمل معها القافلة من أقمشـة كتان أسيوط مـن خمسـة إلى ستة آلاف قطعـة ، واللباد الصوفى متفـاوت السمك الذى يستخدم كسروج للخيول ، بالإضافة إلى بضائع الهند وآسيا الموجـودة بأسـواق مصـر مثـل الأقمشة الحريرية والموسيلين ، ونبـات اللاونده ، والسمبال ، وهى نباتـات تستخدم فـى صنع أدوات التجميل وتثبيت الشعر بعد خلطه بالزيت.[٧٠]

٢ – قافلة سنار:

تعتبر قافلة سنار أقل أهمية من قافلة دارفور ، وتقوم بعدة رحلات خلال العام ، تسلك جميعها طريق الصحراء الشرقية عبر منطقة النوبة مخترقة تجمعات قبائل البشارية والعبابدة ، ويقوم العبابدة بحمايتها حتى أبريم ثم دراو حيث تتخذ طريق وادى النيل بعد أن تترك الصحراء، وبعد وصولها إلى إسنا تدفع الجمارك الحكومية المقررة[٧١] ثم يتجه بعض تجار القافلة ببضائعهم عن طريق النيل بعد أن يتخلصوا من جمالهم ، أما الباقون فيسيرون نحو الشمال بمحاذاة النيل حتى أسيوط ، ومنها للقاهرة.

وكان على قافلة النيل أن تقوم بتسديد الرسوم الجمركية فى منفلوط حيث يسددون عن كل رأس عبد من الجنسين رسم مرور يبلغ ٢٢ مدينى ، ثم يدفعون فى المنيا رسمًا آخر يبلغ ١٢ مدينى حتى وصولهم ميناء بولاق فيسددون الرسم الأخير الذى يبلغ ١٠ مدينى.

وعلى الرغم من أن قافلة سنار أقل أهمية من قافلة دارفور ، لكنها تجلب معها تقريبًا نفس البضائع من الصمغ العربى ، وريش النعام ، وسن الفيل ، وتراب الذهب ، والكرابيج ، والقرب ، والشبة ، ويمثل العبيد عماد تجارتها ، والذين يتجاوز عددهم المائة والخمسون عبدًا تلثاهم من النساء. وفى عودة هذه القافلة تحمل معها السمبال ، واللاونده، والصابون والقرنفل ، والأقمشة القطنية المصبوغة باللون الأحمر ، وسلفور الرصاص، والحلى الزجاجية المستوردة من البندقية ، والمرايا ، وخشب الصندل ، والمسك ، والملابس المصنوعة من الجوخ.[٧٢]

أما صادرات مصر للبلاد الخارجية فقد تضمنت جزءًا كبيرًا من منتجات بلاد الصعيد، وعلى الأخص الأقمشة السيوطية إنتاج أسيوط ، ومنفلوط ، وأبوتيج ، والتى شكلت أهم ما تحمله قافلة فزان أثناء عودتها إلى بلاد المغرب ، كما كانت تصدر هذه الأقمشة المصنوعة فى أسيوط إلى ليفورنيو وفرنسا عن طريق ميناء الاسكندرية مع غيرها من السلع المصرية المختلفة إلىجانب بعض منتجات بلاد الصعيد مثل السكر ، والبازلاء ، والكتان،والجلود، والسمسم. ولعبت أسيوط دورًا هامًا بموقعها المتوسط فى

صعيد مصر فى التجارة الداخلية ما بين الشمال والجنوب ، وفى التجارة الخارجية حيث أنها كانت مركز اتصال ما بين التجارة القادمة من شبه الجزيرة العربية عن طريق ميناء عيذاب (القصير) على البحر الأحمر ، والتجارة الأفريقية سواء القادمة من دارفور وسنار أو من شمال غرب أفريقية إذ كان التجار والحجاج المغاربة يفدون إلى المدينة عن طريق الصحراء ودرب الأربعين مخترقين الواحات المصرية الغربية ، وكان هذا الطريق يأتى فى المرتبة الثانية بعد طريق الساحل الشمالى المار بالإسكندرية ؛ إذ كان الحجاج والتجار المغاربة والقادمين من بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربى يخترقون الصحراء الغربية عن طريق درب الأربعين فى طريقهم إلى أسيوط على النيل ، ويستريحون لبعض الوقت على مشارف الخارجة بمرتفع مقابر البجوات ، وقد سجلوا أسماءهم وبلادهم التى وفدوا منها ، وغالباً ما سبقت القابهم كلمة "الحاج" و "المغربى" أو من بلاد "المغرب" وتاريخ إقامتهم على جدران هذه المقابر من الداخل وذلك عند إقامتهم بها خلال فترات الاستراحة قبل مواصلة سيرهم.[٧٣]

وكانت محطة أسيوط تعتبر أكثر المحطات أمانا للقوافل التجارية الإفريقية ، على عكس بعض المناطق الأخرى التى فرضت إتاوت على القوافل وإلا تعرضت للسلب والنهب مثلما كان يحدث من عربان البشارية والعبابدة ، كما تخصصت قرى بالكامل فى أعمال اللصوصية وأغلبهم من العربان الذين قاموا بأعمال السلب والنهب فى النيل ، وفى الأسواق وقطع الطرق ، ومن هذه القرى نزلة النوايل التى تقع شمال منفلوط ، وقرية بنى حسين ، وغيرهما من القرى الأخرى.[٧٤]

وشارك أبناء أسيوط من التجار فى رحلات بلاد السودان ذهاباً وإياباً مشاركة فعالة ، حيث كانوا يجلبون سلع هذه البلاد بما فى ذلك العبيد (الجلابة) ، ويعودون إليها بالبضائع والمنسوجات المصرية ، ويغيبون عن وطنهم شهور عديدة[٧٥] ، وكانت ساحة محكمة أسيوط تشهد أمام قضاتها بعض النزاعات بين تجار أسيوط إثر عودتهم من رحلاتهم بعد فشل السلطان محمد سلطان دارفور فى فض الخصومة فيما بينهم حين وجودهم ببلاده.[٧٦]

ولم يقتصر دور الصعيد وأسيوط بالذات على المساهمة الفعالة فى تجارة مصر الخارجية ، بل لعبت دورًا هامًا فى التجارة الداخلية ، إذ اشتهرت بأسواقها "البديعة" التى تزخر بالسلع والمنتجات الهامة[٧٧] على أن مدينة أسيوط نالها بعض الاضمحلال الذى تعرضت له مصر وتجارتها الداخلية فى أواخر العصر العثمانى على الرغم من كونها مدينة متميزة وهامة فى صعيد مصر كمنطقة اتصال بين الشمال والجنوب ، وتقع على طريق القوافل القادمة من دارفور ، فتأثرت أسواقها ومحلاتها ولم تعد كما كانت من قبل فتضاءلت الحركة التجارية بها حتى أصبحت محلاتها الكبيرة عبارة عن دكاكين صغيرة تشبه إلى حد كبير أسواق القاهرة الثانوية ، يباع فيها الصمغ ، وسن الفيل ، وغيرها من منتجات الجنوب التى تحملها القوافل والتجار المحليين [٧٨] إلى جانب منتجات بلاد المغرب العربى وشبه الجزيرة العربية (اليمن والحجاز).[٧٩]

واكتظت أسواق المدينة وأهمها السوق السلطانى.[٨٠] بالمنسوجات الكتانية المصنوعة بأنحاء الإقليم ، والمنسوجات الصوفية والعمائم المصنوعة من صوف الأغنام ، والسجاد والأكلمة ، والزيوت ، والمنتجات الزراعية التى يرد بها الفلاحون من القرى المجاورة للمدينة، كما كانت هناك أسواق سنوية موسمية لعبت فيها العقيدة الدينية دورًا كبيرًا من خلال الموالد مثل سوق السيد أحمد الفرغل بأبى تيج[٨١] ، إلى جانب الأسواق الأسبوعية حيث تعقد كل قرية سوقًا فى يوم معين من أيام الأسبوع ، وكانت تفرض رسوما محددة على هذه الأسواق لصالح البكوات المماليك أو الكشاف على هيئة التزام.[٨٢] على أن التجارة الداخلية بين بلاد ومدن الصعيد كانت محدودة والأسواق عرضة للإضطراب وتذبذب الأسعار نتيجة لختلال نظام النقد وعدم ثبات قيمة العملة وظهور عملات أجنبية دخيلة على سوق التعامل النقدى فى البلاد ، وتمسك الكثيرين بنظام المبادلة (المقايضة) دون التعامل بالنقود ، بالإضافة إلى والمنازعات العسكرية التى لم ينج الصعيد منها.[٨٣]

رابعا: الأوزان والعملات المتداولة فى أسيوط

كانت الأوزان المستخدمة فى التجارة فى مصر عمومًا بما فى ذلك صعيد مصر خلال العصر العثمانى هى:-

الأقة وتساوى أربعمائة درهم ، والرطل ويساوى مائة وأربعة وأربعين درهم ، والقنطار ويساوى مائه رطل ، أما الرطل فيساوى أثنى عشر أوقية.

وأما أوزان الذهب فهى:

المثقال ويساوى درهما ونصف ، والدرهم يساوى ستة عشر قيراطا ، والقيراط يساوى وزن أربع حبات من القمح .

وعن العملة المصرية فإنها قد تعرضت بلا شك للتغيير والتبديل فى قيمتها الفعلية فى فترات سابقة على العصر العثمانى.(٨٤)

وفى بداية الحكم العثمانى ألغيت بعض أنواع العملة الفضية والنحاسية واستبدلت بغيرها ، كما أدخلت العملة العثمانية فى التداول ، ووضعت لها قيم رسمية بالنسبة للنقود المصرية التى لم تلغى حينئذ.

وكانت مصر تضرب نقودها باسم السلطان العثمانى وتستورد خاماتها الذهبية من دارفور ، والنحاس من اسطنبول(٨٥) ، حيث كان معدن الذهب متوافرًا بالبلاد نتيجة للتبادل التجارى مع قوافل بلاد السودان ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الفرنسيون من مغانم عظيمة أصابوها فى بنى عدى عبارة عن صناديق مملوءة بالذهب حتى أن نصيب كثير من جنودهم بلغ خمسة عشر أو عشرون ألف فرنك فرنسى ذهبى للفرد الواحد بعد انتصارهم على هذه القرية من قرى أسيوط. (٨٦)

ومن خلال الوثائق المعاصرة نستطيع القول بأن العملات التى كانت متداولة فى أسواق أسيوط فى العصر العثمانى هى" المحبوب (زر محبوب) أو الأشرفى محبوب ويساوى مائة وثمانون بارة (٨٧) والمحبوب نقد تركى من الذهب ضرب فى عهد السلطان مصطفى الثانى (١٦٩٤هـ/١٧٠٣م) وكان يصرف بمائة ونصف فضة وعشرة أنصاف ،

والنصف محبوب ويصرف بخمسة وخمسين نصف فضة في عام ١١٤٦هـ/١٧٣٤م.[٨٨]

وكان سعر بيع المنزل من دور واحد وبه عدة غرف بـ (٢٤) أشرفي محبوب في نهاية القرن الثامن عشر[٨٩].

كما عرفت معاملات أسواق أسيوط القرش التركي[٩٠]، حيث كانت القطعة ذات الأربع قروش التركية تساوي مائة بارة[٩١]، أما الريال فكان يساوي تسعون فضة، وكان القرش يساوي ثلاثين نصف فضه[٩٢] كما يساوي أيضا من ٤٠ - ٦٠ مديني ويعادل نصف قيمة الزر محبوب تقريبًا حيث كان الأخير يساوي مائة وعشرون مديني[٩٣]، أما الفندقلي القسطنطيني فيساوي ١٦٠ مديني[٩٤].

هوامش الفصل السابع

(1) Voyey; Lancret, Ange Michel; Mémoire sur le systeme d' imposition. territoriale et sur L'administration des Mamloukes (Déscription de L' Egypte, T.X1).

(٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٧١ ·
M.Amédée Ryme; Egypte depuis la conquéte des Arabes jusqu' a la domination Française, Paris, Sous la domination Française, p. 199.

(٣) د. صلاح احمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية ، ص ٢٤٩ ·

(4) Girard; Mémoire sur L'Agriculture, L' industrie, et le Commerce' de L' Egypte, T. XV11, p. 13.

(5) Ibid; Girard, pp. 17 - 18 (Déscription de L'Egypte, T. V11).

(6) Shaw. S; Financial and administrative organization and development of ottoman Egypt, pp. 50-51.

د. راشد البراوى ، محمد حمزة عليش: التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، النهضة المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ١٤ ·

د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ ·

(7) Shaw; The Financial, and Administrative organization, pp. 51 - 52 .

(٨) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠ ·
هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والادارة فىمصر فى مستهل القرن التاسع عشر، ص ص ٢٢٠ -٢٢٤ ·

(٩) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى ، مرجع سابق ، ص ١٨١ ·
Girard, Op. Cit, T. XVII, pp 51,53..

(١٠) د. صلاح احمد هريدى : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ·

(١١) عن أسلوب وطريقة زراعة القمح بالتفصيل يمكن الرجوع إلى الدراسة الوافية للمسيو جيرار عن الزراعة والصناعة والتجارة فى مصر:
(Déscription de L' Egypte, T.XV11) pp. 48- 54.

(12) M. le Comte Esteve: Mémoire sur le finances de L'Egypte depuis Sa conquête par le Sultan selym 1er Jusque 'a' celle du général en chef Bonaparte (Déscription de L'Egypte. T.X 11)pp.56 - 59, 63.

(١٣) د. صلاح احمد هريدى : مرجع سابق ، ص ٢٥١ ·

(14) Shaw; Ottoman Egypt, Op. cit, p. 119 .

(15) Girard: Op. cit, T. XV11, pp. 49 - 54 , 69 - 72.

- وثيقة رقم 1546 مؤرخة فى ٧ فركتيدور من السنة الثامنة .B6 - 149 : محفظة بدون رقم فترتها من ١٧٩٩/٨/٢٣ الى ١٨٠١/٨/٨، وثيقة رقم ١٣٣٢ فى ٢١ ترميدور السنة الثامنة·

(16) Girard: Op. cit, T. XVII, pp 104- 106.

(17) Déscription de L' Egypte, T.XVII) pp 367 - 369.

د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ١٨٢ ·

(١٨) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ١٨٢ ·
Girard: Op. cit, T. XVII, pp 111 - 113.

(١٩) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع نفسه ص١٨٣ ·
هيلين آن ريفلين : مرجع سابق ، ص ٢٢٠ ·
Déscription de L' Egypte, T.XVII pp 108 - 110.

(20) Girard: Op. cit, T. XVII, pp 94 - 95.
(21) Girard: Op. cit, T. XVII, pp 96 - 97.

د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ص١٨٣ ٠

(22) Ibid, pp, 76 - 78.
(23) Ibid, pp, 58 - 72.
(24) Girard: Op. cit, T: pp. 82 - 83 , 90 , 95.
(25) Girard: Op. cit, pp 115 - 116.
(26) Girard: Op. cit, pp 120 - 122.
(27) Girard: Op. cit, T. XV11, pp 122 - 123.

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٤٧ ٠

(٢٨) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ ١ ، ص ص ١٥١ – ١٥٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٩ – ٢٧٠ ، جـ ٢ ، ص ص ٤٨ ، ٥١ ٠

(٢٩) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ص ٨١ – ٨٣ ٠

(30) Girard: Op. cit, T. XV11, pp 23 - 28, 125 - 132.

(٣١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٨٨ – ١٨٩ ٠

Girard: Op. cit, T. XV11, pp 278 - 283.

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٠ ٠

Jomard; observation sur les Arabes de L'Egypte Moyenne, T. X11, pp. 293 - 295.

(٣٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٨ ، ص ١٨٠ ٠

(34) Girard: Op. cit, T. XV11, p. 198.

(٣٥) د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٤٨ ٠

(36) Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp. 302 - 303.

(٣٧) مدينة أبنوب الحالية هى أحد مراكز محافظة أسيوط تجاه مدينه أسيوط على الضفة الشرقية لنهر النيل٠

(٣٨) قرية درنكة تقع إلى جنوب مدينة أسيوط أسفل الجبل الغربى ، وعلى بعد نحو أربعة كيلومترات٠ أنظر: د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٩٣ ٠

(٣٩) جب ، بوون : المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٣ ٠

(٤٠) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٧ ، ص ص ٥٨ – ٥٩ ٠

(41) Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp 301 - 304.
(42) Ibid, pp, 367 - 370.

(٤٣) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٢٦٨ ، ١٨ محرم ١١١٠ هـ٠

(٤٤) على مبارك: الخطط التوفيقية ، جـ ٨ ، ص ١٨ ٠

A. Raymond; Artisans et commercants au caire au X11 e Sicle, T. I, p. 229.

(٤٥) راشد البراوى، ومحمد حمزة عليش : التطور الاقتصادى فى العصر الحديث النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ١٨٧ ٠

(٤٦) د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٣٣٧ ٠

د. صلاح احمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية ، ص ٢٦٣ ٠

(٤٧) د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٥١ ٠

(٤٨) على مبارك: الخطط التوفيقية ، جـ ١٥ ، ص ١٩٦ ٠

(٤٩) أنظر على سبيل المثال وثائق محكمة منفلوط الشرعية عن الفترة من ١١٧٩ هـ – ١١٨١ هـ٠

(٥٠) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٩٤ ٠

Girard; Op. Cit, T.XVII, pp.238-241.

(51) Déscription de L' Egypte, T.X11, p. 396.

جب ، بوون : المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ، ص ص ١٤٤ – ١٤٥ ٠

Déscription de L' Egypte, T.XV11I, p. 384.

(52) Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp. 231 - 234.

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٥٢ .

(53) Déscription de L' Egypte, T.X11, p. 396.

(٥٤) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ص ١٩٤ - ١٩٥

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٥٣ .

(٥٥) د. صلاح احمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية ، ص ٢٧٨ .

(56) Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp 261 - 274.

وجيه أبو حمزة : القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية ، ص ٣٣ .

(57) A. Amédée Ryme; Egypte dépuis la Conquête des Arabes, Op. cit, p. 199.

(٥٨) محمد أمين فكرى : جغرافيه مصر ، ص ١٣٧ .

عن: د. عبد المنعم شوقى: دليل مدينة أسيوط ، ص ٢٩ .

(٥٩) بذور صغيره ماثله للون الاسود يتم تحويلها الى دقيق يستخدم ظاهريا فى حالات الرمد الذى يصيب العين ، والذى كان منتشرا بصورة كبيرة فى مصر وفى صعيدها بالذات :

Déscription de L' Egypte, T.XV11I, p. 284.

(60) Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp 279 - 293.

عنْ هذه التجارة أنظر:

Clark D. Moore & Ann Dunbar Africa yesterday and Today. pp. 102 - 103.

(٦١) كان كاشف الواحات يرتبط بأسيوط ارتباطا كبيرا ، فامتلك بها المحلات والدور:

محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١١٥٣ ، ١٦ ذى الحجة ١٢٠٧ هـ .

(٦٢) تقع على مسيرة اثنى عشر يوما من مدينة أسيوط وهى إحدى القرى الهامة فى واحة الخارجة.

(٦٣) سكوين القسطنطينية يساوى ٢٠٠ بارة ، سكوين البندقية يساوى ٣٤٠ بارة ، أما القرش الأسبانى فكان يساوى ١٥٠ بارة ، أما زر محبوب القاهرة فيساوى ١٨٠ بارة:

De la Jonquiere; L' Expédition d' Egypte, Vol. 2, p. 73.

M.F. Rousseau; Kléber et Menou en Egypte., p. 145.

(64) Girard: Op. cit, T. XV11, p.282.

Shaw; ottoman Egypt in the age of the French Revolution, P. 136.

(65) Girard: Op. cit, T. XV11, p. 283.

Shaw; ottoman Egypt, Op. cit, PP.153-157.

(66) Girard: Op. cit, p. 283

(٦٧) حيوان أكبر من الفيل يعيش فى الادغال الأفريقية ، وله قرون ضخمة.

(69) Déscription de L' Egypte, T.XVI11, pp 284 - 287.

Voyez: De chabrol; Essai sur les moeurs des habitans Moderns de L' Egypte, T. XV11I.

(70) Girard: Op. Cit, T.XV11, PP. 135, 277-291. Shaw; Ottomen Egypt, Op. cit,pp. 135-136

(71) Shaw: Op. Cit, P 136.

د. صلاح احمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية ، ص ٢٨١ .

Girard: Op. Cit, PP. 264,315.

Dubois Aymee; Mémoire sur les Tribus Arabes des deserts de L' Egypte, T. X11, pp. 334 - 338.

(72) Girard: Op. Cit, T.XV11, PP 272, 291.

Déscription de L' Egypte, T.XV11, pp. 367 - 369.

محمد الحناوى: الاسكندرية فى عهد الحملة الفرنسية ، رسالة ماجستير لم تنشر ، المنيا ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(73) Girard: Op. Cit, T.XV11, PP. 315 - 317.

Shaw; ottoman Egypt, Op. cit, P. 127.

وقد قام الباحث بزيارة هذه المقابر فى شتاء عام ١٩٩٣ ، وشاهد بنفسه هذه التسجيلات الأثرية النادرة بداخل المدافن الملحقة بمجموعة من الكنائس المبنية من الطوب اللبن والمتخلفة عن عصر الاضطهاد الرومانى للمسيحيين فى مصر .

(74) Jomard; observation Sur les Arabes de L'Egypte moyenne, T. X11, PP. 324 - 325.

(٧٥) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤٨٨ ، غرة ربيع الثانى ١٢٠٥ هـ.

(٧٦) المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٣٨٩ ، عشرة ربيع الثانى ١١٢٣ هـ .

(٧٧) د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٢٤٧ .

(78) PATON; A History of the Egyptian Revolution, Vol. I. p. 83.

(٧٩) د. عبد المنعم شوقى: دليل مدينة أسيوط ص ٢٨ .

(٨٠) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١١٤٦ ، ٤ صفر ١٢٠٧ هـ.

(٨١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ٢٠١ .

(82) Description de L'Egypte, T. XV111, pp. 260, 418.

(٨٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

Déscription de L'Egypte, T. XV111, I-e part, pp . 12 - 17, 305 - 308.

(84) Déscription de l' Egypte, T. XV1,pp.292 - 293.

(٨٥) د. جلال يحيى ، مصر الحديثة ص ٢٠٩ .

قانون نامه مصر ، ترجمه د. احمد فؤاد متولى ، ص ٩٢ .

(86) De la jonquie re, L' Expte'dition d' Egypte, vol.3 p. 644.

(87) De la jonquie re, L' Expte'dition d' Egypte, vol. 2, p. 73.

محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة بتاريخ ٢٦ شوال ١١٧٩ ، غرة ربيع أول ١١٨٠ هـ.

(٨٨) انظر : عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، ج١ ، ص ٢١٨ .

(٨٩) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة بتاريخ ١٥ ، ذى القعدة ١٢٠٧ هـ.

(٩٠) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٣٢٣ ، غاية رجب ١١٠٧ هـ.

(91) De la jonquie re, op - cit , vol. 2, p. 73.

(٩٢) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤٠٨ ، ٢٩ رمضان ١١٥٩ هـ ، رقم ٥٥ ، عشرة ذى القعدة ١١٩٩ هـ.

(93) Description de l' Egypte, T. XV1,pp.294-312.

(٩٤) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ٤١٤ ، ٤ شوال ١١٥٤ هـ.

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
Vol
pte.,

[illegible]

7

[illegible]
28
de
91

الفصل الثامن

دور الهواره السياسى

فى ولاية جرجا والأسيوطية

ازداد نفوذ الهوارة بالصعيد بعد الفتح العثمانى لمصر ٩٢٣ هـ/١٥١٧م لأنهم لم يقفوا من العثمانيين موقف العداء أثناء فتحهم لمصر ، وأرسل السلطان سليم هدية لأميرهم على بن عمر - زعيم القبيلة وشيخ الصعيد مع مرسوم باستمراره فى حكم الصعيد ، فارتفع شأنه وشأن الهوارة بذلك ، ثم أرسل الأمير على بن عمر هدية إلى السلطان العثمانى نفسه فى عام ٦٢٧هـ/١٥٢٠م وتبودلت الهدايا بين الطرفين ، ونتج عن ذلك أن قام السلطان بإرسال هدية ومرسوم فى العام التالى لأمير الصعيد ، وقد سر السلطان سليم بهدية شيخ الهوارة التى وصلته بعد هدية خاير بك وصاحب اليمن[١] ولكن العلاقات الطيبة بين العثمانيين والهوارة لم تستمر طويلاً بعد أن قام الباشا العثمانى بتعيين سليمان جنبلاط - أحد بكوات المماليك حاكماً على الصعيد فى عام ٩٨٣هـ/ ١٥٧٦م[٢] ، وتعرضوا لهجرات البدو الوافدين على الوادى من الغرب ، كما تعرضوا لهجمات القبائل المواجهة لبنى عدى ، وغيرهم من القبائل فى جنوب الصعيد[٣] ، ولكنهم بالرغم من ذلك استحوذوا على كثير من القوة والجاه والمركز الاجتماعى المرموق المتميز على أقرانهم من الذين امتهنوا الفلاحة ، فكان حكمهم يتسم بالصرامة والكبرياء ففرضوا الضرائب على الأرض الزراعية وعلى التجارة المارة بمناطق نفوذهم خاصة على القوافل الافريقية كقافلتى دارفور وسنار ، والتجارة القادمة عبر البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية ، وجمعوا الثروات الهائلة ، وقد تعرضوا للعديد من التجريدات من قبل السلطات الحاكمة فى القاهرة للقضاء على سطوتهم فى القرنين السابع عشر والثامن عشر.[٤]

وظل نفوذ الهوارة قوياً بسيطرتهم على الصعيد وتولى شيوخهم حكم البلاد فى البداية ثم إدارتهم لمعظم أراضى الصعيد عن طريق الالتزام مما هيأ لهم نفوذاً واسعاً ، وسيطرة كبيرة تحت عباءة السلطة العثمانية ، وقد صحب زيادة نفوذ الهوارة ، ازدياد مساحة إقليم جرجا إدارياً ، بتوحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا إلى أسوان تحت إمرة حاكم جرجا ، فأصبحت ولاية جرجا تشمل كل أراضى الصعيد ، بهدف تقوية سلطة حاكم جرجا ، ومواجهة القبائل العربية النازلة بالصعيد والمنتشرة فى أنحائه المختلفة[٥] واستمر الأمراء من أولاد الأمير عمر يحكمون الصعيد ومن هذا الفرع من الهوارة الشيخ همام يوسف أحمد الذى كانت له السيطرة على أنحاء الصعيد ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى(١٢هـ)٠

ولم تكن مدينة جرجا من الشهرة بمكان حتى نزل بها الهوارة فأصبحت مقر حكم ولايات الصعيد وعاصمته ، وظلت كذلك حتى قضى على بك الكبير على الشيخ همام حيث انتقلت العاصمة إلى أسيوط ، وتوارت جرجا ، وضعف نفوذ الهوارة ، وأصبح بك الصعيد أى حاكمها لا يقضى بجرجا سوى نصف العام فقط ، والنصف الآخر يقضيه فى أسيوط التى غدت منذ القرن الثامن عشر أعظم مدن الصعيد[٦].

وكانت علاقة الهوارة بالمماليك علاقة غير سوية ، لأن الهوارة اعتبروا أنفسهم أصحاب البلاد وهم أحق بحكمها من المماليك الوافدين عليها٠

وبعد أن ضعفت سلطة العثمانيين على مصر وسيطر المماليك على مقاليد الأمور أخذ بك جرجا يرنو ببصره إلى القاهرة ويهتم بحوادثها السياسية أكثر من اهتمامه بأمور الصعيد ، وأصبح الوجه القبلى حيث ديار الهوارة منفى وملجأ لكل الأمراء المماليك المهزومين أو المنفيين وأتباعهم ، الذين كانوا فى حاجة لمساعدة الهوارة ولأموالهم ليستعينوا بهم على هزيمة منافسيهم فى القاهرة ، وبذلك بدأ نفوذ الهوارة يقوى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر٠[٧]

أما عن علاقة الهوارة بالقبائل العربية الأخرى فقد اتسمت بالتنافس والعداء فى بعض الأحيان ، ولكنهم تمكنوا من فرض سطوتهم على بقية القبائل العربية الأخرى

وأسرها ، مثل أسرة الأخيمي التى كانت لها السيطرة على أخميم وقضائهم على الأمير حسن زعيمهم ، كما استعانت الدولة العثمانية بهم فى القضاء على تمرد عبد الله بن وافى شيخ عربان المغاربة – الذى فر أمامهم نحو البحيرة فى نهاية القرن السابع عشر ، بعد أن تابعوه بقواته حتى منفلوط، وأخرجوه من الصعيد.[8]

وعلى الرغم من قوة الهوارة وسيطرتهم على الصعيد أغلب فترات الحكم العثمانى فإن الحكم لم يخلص لهم دومًا فواجهوا عداء وهجوم بدو ليبيا والقبائل المواجهة لبنى عدى ، كما تعرضوا لهجمات أعدائهم التقليديين من قبيلة "قصاص" بالأقصر[9] ، لكنهم على وجه العموم قاموا بدور عظيم فى حماية الصعيد من عسف وجور الحكام المماليك ، ومطاردة العربان الذين كانوا يقومون بالهجوم على فلاحى المناطق الواقعة تحت نفوذهم وحمايتهم وخاصة فى عهد شيخ العرب همام الذى وصفته المصادر المعاصرة بأنه " عظيم بلاد الصعيد".[10]

وقبل ظهور الشيخ همام بن يوسف ، لم تكن سيطرة الهوارة قوية على كل بلاد الصعيد ، إذ ظهر بجانب الهوارة بعض القبائل العربية الأخرى ، بالإضافة إلى قوة ونفوذ المماليك فى مناطق : أسيوط ، وطهطا ، وطما ، وأخميم ، بل إن نفوذ المماليك والعرب الآخرين امتد لمدينة جرجا نفسها ، وتفردت الهوارة بقنا والأقصر ، وأسوان ، على أن أملاك الهوارة شملت أسهم عديدة فى مقاطعات :" أسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروفة نخيلة ، فاو الكبرى ، طهطا ، شندويل ، شرق أخميم ، منشاة أخميم ، وطما" ؛ أى أن نفوذهم امتد لنحو عشر مقاطعات من مقاطعات ولاية جرجا الإحدى والعشرون.[11]

ومع بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، أصبح التزام جرجا خالصًا للشيخ همام ، وعدد قليل جدًا من أقاربه الذين يعملون بإسمه فى المقاطعة ، مع عدد ضئيل جدًا من المماليك أصحاب الالتزامات صغيرة المساحة ، ولم يأت عام ١١٨١هـ ١٧٦٧م حتى تمت للشيخ همام السيطرة على معظم أراضى الصعيد من المنيا شمالاً حتى أسوان جنوبًا ، وانفرد بالسيطرة على التزامات (١٦) مقاطعة كاملة من بين (٢١) مقاطعة تضمها ولاية جرجا ، وحتى المقاطعات الخمس الباقية بأسيوط ، وهى : أسيوط ،

أبوتيج ، أبو مقروفقر وتخيلة وتوابعها بفاو الكبرى ، فقد كان لهمام أجزاء كثيرة فى بعضها ولأمراء المماليك ، وللعربان الآخرين باقى أجزائها ، فكان للشيخ همام فى مقاطعة أسيوط التزامات فى شرق بويطبو بطى وركان ، إدفا ، بنى مزار ، قراى ، وريفه ، وبنى نصر بمنفلوط.[12]

وقد ساعدت نشأة همام فى بيت ورث الثراء والمكانة أباً عن جد على ظهوره كشخصية هامة تولت زعامة الصعيد وساعده على ذلك ضعف السلطة الحكومية العثمانية فى عصره ، كما حفلت هذه الفترة بمنازعات العصبيات المملوكية وتنازعها على السلطة مما أضعفت قوتها ، فانفتح المجال للشيخ همام ليلعب دوراً هاماً فى حياة الصعيد بل وحياة مصر كلها فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ونحو عشرين عاماً من النصف الثانى للقرن ، وساعده على ذلك عصبيته الكبيرة بالصعيد وقوته ، وثراؤه[13] ، مما أحنق عليه على بك الكبير وسوف يؤدى إلى الصراع بينهما ، والقضاء على قوة شيخ العرب والهوارة التى أصبحت قوة يخشى بأسها ، إذ تمكن همام من تجميع قوة عسكرية مسلحة قدرت بنحو خمسة وثلاثين ألفا من المقاتلين المجهزين للحرب ، من أقاربه الهوارة والمماليك الفارين للصعيد أمام منافسيهم ، وأغلبهم من فرق القاسمية التى هزمت عام ١١٤٢هـ/١٧٢٩م وكان الهدف من تشكيل هذه القوة حماية أراضيه الواسعة ، والدفاع عنها ضد هجمات الأعراب وأطماع المماليك.[14] وقد ساعد همام على حكم هذه البلاد إشرافه على شئون موظفيه بنفسه ، ومعاملته لفلاحيه بالعدل والإنصاف ، وفض النزاعات التى تنشب بين الأهالى والإصلاح بينهم وعقد المجالس للإستماع للشكاوى التى تقدم له جرياً على عادة شيوخ القبائل سواء من الفلاحين أو العرب.[15]

وقد ضمت إدارة الشيخ همام إلى جانب العديد من الكتبة عدداً من المباشرين النصارى (الصرافين) ، المختصين بتوزيع الضرائب على الفلاحين وتحصيلها منهم وأشهر هؤلاء المعلم بولص بين منقريوس ، الذى كان يقوم بتسديد الأموال والغلال المطلوبة من الشيخ همام لحكومة القاهرة.[16]

وقد اهتم الشيخ همام بالعلماء وقربهم إليه وأكرم وفادتهم، وأقام المساجد وأوقف عليها الأطيان للإنفاق عليها ، وهكذا أعاد الأمن والطمأنينة لربوع الصعيد سواء في أسيوط ، أو سوهاج ، وقنا ، فأصلح الجسور ، وطهر الترع ، وأراح الدولة من عناء إدارة الصعيد وكفاها متاعبه في تحصيل خراجه كل عام ، حتى دخلت البلاد في صراع السلطة في عهد على بك ، ومن بعده مراد وابراهيم وزميلهما إسماعيل بك.[١٧]

أما عن صراع شيخ العرب همام حاكم الصعيد و على بك الكبير ، فإنها تعود إلى عام ١١٧٤هـ/١٧٦٠م ، حينما شهدت القاهرة صراعًا بين أمراء المماليك على السلطة للوصول إلى منصب مشيخة البلد، وتقلد على بك لهذا المنصب في نفس العام بعد موافقة باشا مصر وفي سبيل احتفاظ على بك بهذا المنصب ، فإنه حاول القضاء على منافسيه التقليدين وهم : عبد الرحمن كتخدا ، وحسين بك كشكش ، وصالح بك القاسمي حاكم جرجا ، ونجح على بك في استصدار قرار من الباشا بنفي عبد الرحمن كتخدا إلى الحجاز ونفي كثير من أنصاره[١٨] ، وأوقع بين حسين بك كشكش ، وصالح بك القاسمي حاكم جرجا، والذي تربطه صداقة وطيدة بشيخ العرب همام بحكم سلطة الأخير ونفوذه القوي بأنحاء الصعيد ، فأمر على بك بنفي صالح بك إلى رشيد ثم إلى دمياط ، ولكن صالح بك التجأ إلى صديقه همام وجمع حوله المماليك القاسمية المنفيين إلى الصعيد من قبل إبان الصراع بين الفقارية والقاسمية ويعملون في قوات همام.

وقد هب الشيخ همام لنجدة صديقه صالح بك ومساعدته ضد أطماع على بك الذي حاول القضاء على كل القوى الكبرى خشية مناوأتها له على السلطة فأمد الشيخ همام صديقه بكل ما يحتاج إليه من مؤن وذخيرة ورجال لمقاومة الحملة التي وجهها إليه على بك بقيادة حسين كشكش ، ونجح صالح بك بمعاونة الشيخ همام من قطع الاتصال بين الصعيد والقاهرة ، ومنع إرسال الغلال والأموال الأميرية من الصعيد إلى العاصمة ، مما أدى إلى فشل حملة على بك وعودتها للقاهرة وفطن حسين بك كشكش لنوايا على بك في استخدامه لضرب صديقه صالح بك ، والإيقاع بينهما، فآثر الاتفاق مع صديقه ، وكان هذا

الاتفاق ضد أهداف على بك الذى أمر بنفى حسين بك - لعودته للقاهرة مسرعاً وعدم امتثاله لأوامر شيخ البلد.

واحتدم الصراع بين على بك، وحسين بك عندما حاول على بك قتله بدس السم له فى الطعام، ولكن المحاولة فشلت باكتشاف حسين بك لها، مما أدى إلى هرب على بك إلى الشام سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م والتجائه لصديقه ضاهر العمر، وبذلك سيطر حسين بك على القاهرة وعاد صالح بك لحكم ولاية جرجا.

لكن على بك استخدم الحيلة والدهاء، فعاد مرة أخرى للقاهرة مبدياً التوبة والندم لخشداشيته الذين انخدعوا بمظهره، فوافقوا على عودته، على أن يقيم فى نوسا الغيط بالدقهلية ويصبح حاكم لها بغرض إبعاده عن القاهرة، ولكنه بادر مرة أخرى بتدبير مؤامرة للاستيلاء على السلطة، فاكتشف زملاؤه الأمر وقرروا هذه المرة نفيه إلى أسيوط - إحدى توابع ولاية جرجا، حتى يكون تحت سمع وبصر زميله صالح بك حاكم الولاية، وشيخ العرب همام.(١٩)

ونجح على بك أثناء إقامته بأسيوط فى الاتصال بشيخ العرب همام وإقناعه بعقد اتفاق ثلاثى بينهما، طرفه الآخر صالح بك، الذى قبل التعاون مع على بك والانضمام لصفوفه، حتى يخلص له حكم الصعيد فى حالة انتصار على بك واستحواذه على السلطة فى القاهرة، مع تثبيت نفوذ همام وسلطته فى الصعيد مدى الحياة.(٢٠) وبمعونة همام تقدم على بك بقواته المدعمة بقوات همام نحو القاهرة، واستطاع التغلب على جيوش منافسيه شمالى بنى سويف عام ١١٨١هـ/١٧٦٧م، ودخل القاهرة منتصراً ليصبح هو السيد الأوحد، ويقوم بتنفيذ سياسته الرامية إلى القضاء على كل منافسيه القدامى، وأولهم حسين بك كشكش وزميله خليل بك (١١٨٢هـ/١٧٦٨م)، ثم اغتال صالح بك حاكم جرجا الذى مهد له الطريق للسلطة بعد استدعائه بالقاهرة فى نفس العام، وبذلك تخلص على بك من آخر صنجق قوى، يخشى من منافسته له على منصب شيخ البلد.(٢١)

وبدأ على بك يتقرب من الدولة العثمانية ليثبت اقدامه فى الحكم، والتخلص من قوة الحامية العثمانية بإهلاك رجالها فى الحروب الداخلية، والقضاء على المتمردين

والمنافسين له من البكوات المماليك ، ثم اتجه بعد ذلك للقضاء على نفوذ وسلطة القبائل العربية فى الوجهين البحرى والقبلى ، مبدياً رغبته فى إقرار أمن البلاد ، ولكن هدفه الحقيقى كان تدعيم مركزه وسيطرته المتفردة على البلاد، فقضى على عرب الحبايبة بقيادة سويلم بن حبيب والذين وفدوا من الحجاز واستقروا فى " شطب" بأسيوط ، ثم نزحوا إلى الدلتا وساعده على القضاء عليهم مملوكه محمد بك أبى الدهب ثم اتجه إلى عرب الهنادى بالبحيرة وهزمهم لتعاونهم مع سويلم بن حبيب ضده(٢٢) ، وبعد أن تخلص على بك من أخطر عربان الوجه البحرى ، لم يكن أمامه من خطر يتهدد نفوذه سوى الشيخ همام بالصعيد ، ولعل على بك قد خطر بباله فى ذلك الوقت ، موقف الشيخ همام عندما تحدى ابراهيم جاويش أستاذ على بك ، من قبل(٢٣) ، وخطورة همام على البلاد إذا ما حاول الاستقلال أو فصل الصعيد عن الوجه البحرى خاصة وأنه – أى على بك ، قد نقض عهده مع صالح بك ، رغم توسط الشيخ همام بينهما ، وفى الجانب الآخر ، أيقن همام أن على بك لن يرضى بديلاً عن مهاجمة الهوارة والقضاء على نفوذهم بعد أن دانت له مصر كلها.

وبدأ على بك بالهجوم على الصعيد ، فأمر قائده محمد بك أبى الدهب بقيادة حملة إلى الشيخ همام فى ١٥ رجب ١١٨٢ هـ/٢٦ نوفمبر ١٧٦٨م ، لإرغامه على قبول شروط على بك التى تقضى بأن يقتصر نفوذ همام على المنطقة الممتدة من برديس بحرى فرشوط – مقرهمام – شمالاً وحتى أسوان جنوباً ، وهى المناطق التى ينتشر فيها الهوارة.

ولما كان نفوذ على بك قوياً إذ أصبح سيد البلاد الفعلى وحاكمها الأوحد فقد تجنب الشيخ همام الاصطدام به ، فقبل شروطه بتحديد منطقة نفوذه جنوب برديس وترك المنطقة شمالها وحتى المنيا(٢٤) وهى المناطق التى تقع فيها أخميم ، وطهطا ، وأسيوط ، وأبوتيج ومنفلوط ، والقوصية ، وديروط ، وملوى ، وبذلك استولى على بك على هذه المناطق ، بعد أن كانت له بعض الالتزامات بها وتنازل عنها للشيخ همام من قبل .

ورغم هذا الاتفاق فإن سطوة الشيخ همام كانت لاتزال قوية بهذه البلاد وفيها التزاماته التى وافقت عليها الدولة العثمانية نفسها من قبل ، ولم يقنع على بك بموافقة همام بتنازله عن تلك الأراضى ، وانسحاب محمد أبو الدهب بجيوشه دون معارك ،فعاد مرة أخرى يتحرش به، فأرسل إليه يطلب طرد الأمراء المماليك المعادين له والمقيمين فى كنفه من اتباع صالح بك القاسمى ، وكشكش بك وغيرهما٠

عندئذ أدرك الشيخ همام أن مطالب على بك لن تنتهى إلا بالقضاء عليه هو شخصيًا ، فآثر أن يبادر هو بالهجوم هذه المرة على قوات على بك ، واستعان بأولئك الأمراء والمماليك المقيمين لديه ، ليتقدموا نحو أسيوط بقواته وينتزعوها من أيدى أتباع على بك ، تمهيدًا لتقدمهم صوب القاهرة والقضاء على حكمه بها ومساعدتهم على الإستيلاء على مقاليد الأمور ، على أن يبقى الصعيد تحت إمرته ، ووافقه المماليك على ذلك ، وبالفعل تمكنوا من التقدم نحو أسيوط والاستيلاء عليها بمساعدة حلفاء همام من أهل الصعيد٠

فى نفس الوقت كان على بك قد أرسل أيوب بك – أحد صناجقه لتولى أمر الحكم فى ولاية جرجا فى محرم سنة ١١٨٣ هـ/مايو ١٧٦٩م ، لكن الحاكم الجديد فوجىء بأن الصعيد فى قبضة همام وأتباعه ، فأرسل يستنجد بعلى بك ، الذى لم يتوان عندما علم بخبر سقوط أسيوط فى يد قوات شيخ العرب ، فى أن يجهز جيشين كبيرين على رأسهما من أتباعه المخلصين : خليل بك القاسمى ، وابراهيم بك ، للانضمام لقوات أيوب بك حاكم جرجا ، ثم أتبع هذا الحشد الكبير ، بحملة ضخمة على رأسها قائدة محمد بك أبى الدهب ، ومعه رضوان بك ، ولفيف كبير من الأمراء والصناجق من أتباعه٠

وأمام أسيوط دارت المعركة الحاسمة بين قوات همام وأنصاره ، وبين جيوش على بك الثلاث التى خضعت لقياده أبى الدهب ، واستمر على بك فى إرساله الامدادات والذخائر ليضمن القضاء نهائيا على الشيخ همام٠

وكانت كفة جيوش على بك هى الأرجح رغم الخسائر البشرية التى منيت بها قواته ، وفرت فلول المنهزمين من قوات همام إلى مقره بفرشوط ، وبذلك أصبحت

معركة أسيوط بداية النهاية لسيطرة الشيخ همام على كل هذه المناطق الشاسعة من الصعيد.[٢٥]

وأمر على بك قائده أبى الذهب بمواصلة زحفه نحو الجنوب للقضاء نهائياً على همام بفرشوط ، ونجح أبو الذهب وقبل أن يتمكن همام من الاستعداد مرة أخرى للقتال فى أن يستميل بن عم همام إلى صفه ، وهو الشيخ اسماعيل أبو عبد الله ويغريه بالخروج على بن عمه ، وأعدا إياه بإمارة الصعيد بدلاً من همام إذا ما تقاعس عن القتال مع الهوارة.[٢٦] وفت فى عضد الشيخ همام خيانة بن عمه وبعض من أهله وعشيرته الذين آثروا عددم القتال والتخاذل ، فأدركه حزن قاتل ، وخرج من موطنه فرشوط ، متقهقراً نحو الجنوب أمام قوات أبى الذهب ، ومات "مكمودا" فى قرية قمولا قرب إسنا فى ٨ شعبان ١١٨٣هـ أول نوفمبر ١٧٦٩ م عن عمر يناهز الستين عاما.[٢٧] وغدا على بك بإزاحة الشيخ همام من طريقه سيد البلاد بلا منازع شمالها وجنوبها ، وبذلك انتهى عصر سيادة الهوارة على صعيد مصر ، ولم يتخلف عن هذه السيادة سوى التزام صغير لأراضى فرشوط منحه على بك - بشفاعة أبى الذهب - لنجل الشيخ همام ، الشيخ درويش ، كما ترك بعض الالتزامات الصغيرة فى قنا لأخوى درويش وهما شاهين وعبد الكريم وأصبح التزام معظم أراضى الصعيد فى يد على بك وقائده أبى الذهب ، واختفى اسم الشيخ همام فى دفاتر الالتزامات ليحل محله أسماء العديد من الأمراء المماليك ومجموعة من أقاربه من الهوارة.[٢٨] وفقد الهوارة مكانتهم بعد شيخهم همام ، وأصبح الصعيد ملجنا للأمراء المماليك الفارين أو المنفيين من قبل السلطة الحاكمة فى القاهرة ، حتى أن محمد بك أبى الذهب لجأ إلى الصعيد ، وجمع حوله الهوارة وهؤلاء المماليك أثناء صراعه مع سيده على بك. وتعرض أهالى الصعيد لكثير من المظالم والمغارم التى أخذت أشكالاً جديدة من الضرائب مثل" فردة التحرير" التى فرضها مراد بك وابراهيم بك عليهم فى نهاية القرن الثامن عشر ، بل قاسى أهل الصعيد أثناء منازعات الأمراء على السلطة من هجمات العربان على القرى ، وتعرضهم للمسافرين ، وانتهت أيام الصعيد الزهراء التى نعم فيها بالأمن والاستقرار فى عهد شيخ العرب همام.[٢٩]

هوامش الفصل الثامن

(١) د. ليلى عبد اللطيف : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٤٥ .
(٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ص ١٥٣ - ١٥٤ .
(٣) نسيم مقار : مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
(٤) د. صلاح احمد هريدى: مرجع سابق ، ص ١٧٩ .
(5) Shaw; The Financial, and administrative organization. p. 15.
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١٥ .
زحفت جماعة من الهوارة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى إلى السودان واستقرت فى شمال دارفور ، ويعرفون حتى اليوم باسم الهوارة الجلابة ، ومنهم كذلك مجموعة أخرى سبقتهم فى الهجرة منذ قدومهم بالبحيرة وتعرف باسم الهواوير تسكن بجوار الكبابيس ولكن الصلات انقطعت فيما بين الهوارة السودان ، وهوارة الصعيد الآن:
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٣٥ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٨ .
(٧) المرجع نفسه ، ص ص ٤٧ - ٤٩ .
(٨) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ص ٨١ - ٨٣ .
(٩) نسيم مقار : مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
(١٠) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ص ٣٧٤ - ٣٧٨ ، ٣٨٤ .
ولد الشيخ همام بن يوسف فى عام ١١٢١هـ/١٧٠٩ م تقريبا ، وتوفى فى ٨ شعبان ١١٨٣هـ
نوفمبر ١٧٦٩م: عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٤ .
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١٠٢ .
(١١) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١٠٦ .
(١٢) المرجع نفسه ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٣٠ .
(١٣) نفسه ، ص ص ١٠٤ - ١٠٥ .
أسهب المؤرخ المعاصر عبد الرحمن الجبرتى فى وصف ثروة الشيخ همام من الأراضى والزراعات والمواشى وشون الغلال وحواصل السكر ، والدواوين ، والكتبة والعمال ، والعبيد والخدم : أنظر:
عبد الرحمن الجبرتى ، جـ ١ ، ص ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .
(١٤) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١١٤ .
Jirard ; Mémoire, Op. Cit. T. X11, P. 92.
Jomard ; Op. Cit, T. XV11, P. 39 - 40 .
(١٥) عبد الرحمن الجبرتى ، جـ ١ ، ص ٣٤٣
(١٦) د.ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١١٣
(17) Jirard, Op. Cit., T. XVII pp. 40-41.
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ١١٧ .
عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .
(١٨) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ص ٣٧١ - ٣٧٨ .
(١٩) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢٠) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٩ .
(٢١) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .
(٢٢) المصدر نفسه جـ ١ـ ص ٣٦١ .
(٢٣) الخلاف الذى نشأ بين الشيخ همام ، وأستاذ على بك - ابراهيم جاويش ، كان بسبب رهن همام لإبراهيم جاويش ناحية برديس ، نظير اقتراضه مبلغا من المال ولما جاء موعد السداد رفض همام الوفاء بالدين ، فشكاه ابراهيم جاويش لعثمان بك الفقارى - صديق الهوارة وزعيم المماليك آنذاك ـ ولكن زعيم المماليك ناصر الشيخ همام ورفض إجباره على تنفيذ الشروط ، وعجز ابرهيم جاويش عن استخلاص برديس من أيدى همام ، وهذه الحادثه تركت بلا شك أثرا فى نفس على بك بعد ذلك .
عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .
(٢٤) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ص ٣٦٢ - ٣٧٥ .
أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، جـ ٣ ، ص ٨٥٩ .
(٢٥) عن تفاصيل هذه المعارك:
أنظر: د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ص ١٤٥-١٤٨ .
(٢٦) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .
(٢٧) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .
(٢٨) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٢٩) المرجع نفسه ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ .

الباب الرابع

أسيوط فى ظل التنظيم الادارى العثمانى

الفصل التاسع

النظام الادارى

أولا: أسيوط فى ظل التنظيم الادارى لمصر العثمانية

من المعروف أن الحكم المملوكى فى مصر والشام انتهى بالفتح العثمانى لمصر ، وصارت مصر منذ عام ١٥١٧ م ، احد الولايات العثمانية العربية ، وخضعت للتنظيم السياسى العثمانى طبقاً للقانون الذى وضعه السلطان سليم الأول فى نفس السنة التى دخل فيها مصر والمعروف بـ " ترتيب الديار المصرية " ثم " قانون نامه سليمان " المنظم للحكم والذى وضعه خليفته وابنه السلطان سليمان المعروف بالقانونى أو المشرع ، وقد ساهمت هذه التنظيمات فى الحفاظ على الكيان السياسى للبلاد لفترة ليست قصيرة.

ومن الثابت تاريخيا أن الصعيد ، قد شارك مشاركة فعالة فى الأحداث السياسية الهامة التى مرت بها البلاد المصرية ، بل وكانت محور كثير من هذه الأحداث المتمثلة فى الصراعات بين البيوت المملوكية على السلطة كثورة إفرنج أحمد وكما حدث إبان حكم على بك الكبير أقوى شخصية بمصر فى القرن الثامن عشر وصراعه مع منافسيه من المماليك ، وشيخ العرب همام بالصعيد ، كما ساهم الصعيد بدور كبير فى الحياة الاقتصادية لمصر إبان الفترة العثمانية.

وقد كانت مصر جميعها مقسمة إلى عدد من الولايات فى العصر المملوكى باستثناء القاهرة والاسكندرية لوضعيتهما الخاصة ، ويشرف على كل ولاية أحد الولاة (الحكام) من قبل السلطان المملوكى ، فقد كان الوجه البحرى مقسماً إلى عشرة أعمال (ولايات) أما أعمال الوجه القبلى فهى ثمانية يحكم كل منها وال ، وهى بالتحديد: الجيزة ، والفيومية ، والأشمونية ، والأخميمية ، والأطفيحية ، والبهنساوية ، والأسيوطية ، والقوصية.

وكانت ولاية أسيوط تشمل كل البلاد الواقعة جنوب المنيا شمالا حتى أعلى أخميم جنوباً ، أما ولاية القوصية نسبة إلى قوص فشملت غالب بلاد محافظة سوهاج الحالية

شمالاً وامتدت حتى أسوان جنوبًا التى استقلت وأصبحت عملاً قائماً بذاته منذ عهد الملك الناصر محمد (٦٩٣ - ٧٤١هـ/١٢٩٣ - ١٣٤١م)[١].

وفى عصر دولة المماليك البحرية أصبح للوجه القبلى كاشفاً يطلق عليه "والى الولاة" يمتد نفوذه على جميع ولايات الصعيد.[٢]

وقد ورث العثمانيون التقسيم الادارى الذى كان متبعًا فى العصر السابق ، وأبقوا عليه مع إدخال بعض التعديلات، فقاموا بتغيير كلمة "أعمال" ، "وكور" إلى "ولاية" و"ولايات" ، وهى تعنى فى التنظيم الادارى العثمانى "إقليم" أو "ولاية" ، وهذا المصطلح يختلف فى مفهومه العام لكلمة الولاية داخل إطار التنظيم العام العثمانى والذى يعنى "الدولة" ، وقاموا بتقسيم مصر إلى ثلاثة عشر ولاية ، سبع بالوجه البحرى وست ولايات بالوجه القبلى بخلاف موانىء: الاسكندرية ، ورشيد، ودمياط ، والسويس ، التى تخرج عن اختصاص بكوات مصر باعتبارها ثغورًا هامة لحماية مصر ؛ إذ يقوم الباب العالى بتعيين حكامها من استانبول وإرسالها لمصر مباشرة ، أما ولايات الوجه القبلى الست فهى: الفيوم ، البهنساوية ، الأشمونية ، المنفلوطية ، الجرجاوية ، أطفيح البر الشرقى.[٣]

وفى داخل هذا التقسيم الادارى لمصر برزت خمسة أقاليم إدارية كبرى أطلق على كل منها اسم " ولاية" ، أربع منها فى الوجه البحرى وهى الغربية ، والمنوفية ، والشرقية ، والبحيرة ، وواحدة فقط بالصعيد وهى : جرجا ، وعاصمتها مدينة جرجا والتى برزت كإحدى الولايات الكبرى ، واختفت أسماء ولايات أخرى مثل أسيوط وأبريم[٤] وصارت ولاية جرجا مطمعًا لكثير من الأمراء المماليك لأهميتها الاقتصادية حيث كانت تعد مركز التموين الأول للبلاد وخاصة محصول القمح ، حيث أصبحت أهم الأقاليم الادارية ليس فى الصعيد فقط بل فى مصر كلها بعد أن اتسعت مساحتها ، وامتدت لتشمل غالب أقاليم الصعيد ، وضمت إليها أسيوط وأطفيح سنة ١١٠٦هـ/١٦٦٤م ، كما ضمت إليها أسوان ، والمنيا ، ومنفلوط سنه ١١٠٩ هـ/١٦٦٧م[٥].

وأصبحت هذه الولاية تعرف باسم ولاية " جرجا وأسيوطية وتوابعها"[٦] ، وأصبحت أبو تيج ، وطما من توابع أسيوط حيث كان محمد كاشف أسيوط ، وحسن كتخدا ملتزمى طما وتولحيها فى عام ١١١٠ هـ.[٧]

وأصبح حاكمها يعين بمرسوم من باشا مصر ، ويختاره من بين الشخصيات المملوكية المرموقة ، ويخلع عليه السلطان الخلع الخاصة ، ويقام له الاحتفالات فى القاهرة قبل سفره لجرجا ، مصحوباً بعدد من رجال الفرق العسكرية المختلفة ، ومعهم سرداراتهم ، وبيارقهم[٨]. وعرف كل حاكم من هؤلاء الحكام الخمس باسم "صنجق" يختار من بين بكوات المماليك فى مصر ، ويحمل لقب "صنجق طبلخانة" ، وكان هذا المنصب موضع منافسة شديدة بين أمراء المماليك.

أما باقى الأقاليم فتولى حكمها حكام يحملون رتبه أقل من رتبة الصنجق وهى "الكاشف" والأقاليم التى يحكمونها يطلق عليها " كاشفية" أو " كشوفية" ، وكان الكشاف العسكريين من ذوى الرتب الكبيرة وينتمون إلى أحد الفرق العسكرية العثمانية السبع "الوجاقات" ، فكان "الكاشف" ينوب عن الصنجق فى حكم الصنجقية أثناء تغيب الأخير عن مقر حكمه لتفضيله قضاء معظم شهور السنة فى القاهرة مقر الحكم والسلطة العثمانية، على أن حاكم " صنجق" : جرجا ، استقر فى إقليمه ، بحيث أنه قبض على زمام الأمور فى الصعيد ، وكان يحصل على تصيب عينى من السلع التى كانت تمر فى مناطق نفوذه قادمة مع قوافل سنار، ودارفور.[٩] وإلى جانب هذه الولايات أو الصناجق الخمس الكبرى وجدت أربع وعشرين كاشفية وهى وحدات إدارية صغيرة نتيجة لعدم ثبات التقسيم الادارى لمصر وزعت ما بين سبع ولايات بالوجه البحرى ، وست ولايات فى مصر العليا ، منها كشوفيات: منفلوط[١٠] وأسيوط[١١] ، وأبوتيج ، وطما[١٢] ، ولم تكن هذه الكاشفيات مستقلة بذاتها استقلالاً تاماً عن الصنجقية أو الولاية الكبرى ، ويتولى حكمها الأمراء المماليك من الرتب الأقل من البكوية ، أو من أتباع الصناجق الذين ينوبون عنهم أثناء غيابهم وإقامتهم بالقاهرة ، ويسجل الرحالة فانسليب Vansleb الذى زار مصر (١٠٨٣ هـ - ١٦٧٢م) أن مصر كان بها ست وثلاثين كشوفية فى ذلك الحين.[١٣]

وفى خلال القرن الثامن عشر الميلادى حدث كثير من التغيير على مساحات بعض الكشوفيات وأعدادها ، واتساع بعضها على حساب الأخرى ؛ فتحولت بعض الأقاليم الصغرى إلى كاشفيات ومنها أسيوط ، وأبوتيج ، ومنفلوط ، مما أدى إلى عدم التناسق فى مساحات الكشوفيات فى المنطقة الممتدة إلى الجنوب من منفلوط بحيث أصبحت الكاشفيات متقاربة ذات حدود ضيقة ، حتى أن بعض القرى الكبيرة أصبحت مركزًا لبعض هذه الكاشفيات والمدن الصغرى مركزًا لبعضها الآخر ، خاصة بعد كثرة الاضطرابات التى أحدثها عربان الصعيد وفى مقدمتهم قبائل عربان هوارة فى القرن الثامن عشر[١٤].
واشتمل اقليم أسيوط على كشوفيات : أسيوط ، ومنفلوط ، وأبوتيج ، وكانت كشوفية القوصية ، تقع إلى شمال أسيوط ، حيث عرفت بعدة أسماء منذ القدم ، فقد أطلق عليها اليونانيون هرموبوليس Hermopolis أى الأشمونين فى أواخر العصر الفرعونى ، ثم عرفت باسم "تعمام" وأطلق عليها العرب بعد الفتح العربى اسم "قصقام" أو " تصجام" وهى المدينة المعروفة اليوم بالقوصية والتى تقع جنوب الأشمونين ، وقد أطلق عليها الفرنسيون إبان الاحتلال الفرنسى لمصر " ترعة العسل" ، واشتهرت منذ القدم بكنائسها وأديرتها القديمة.[١٥]

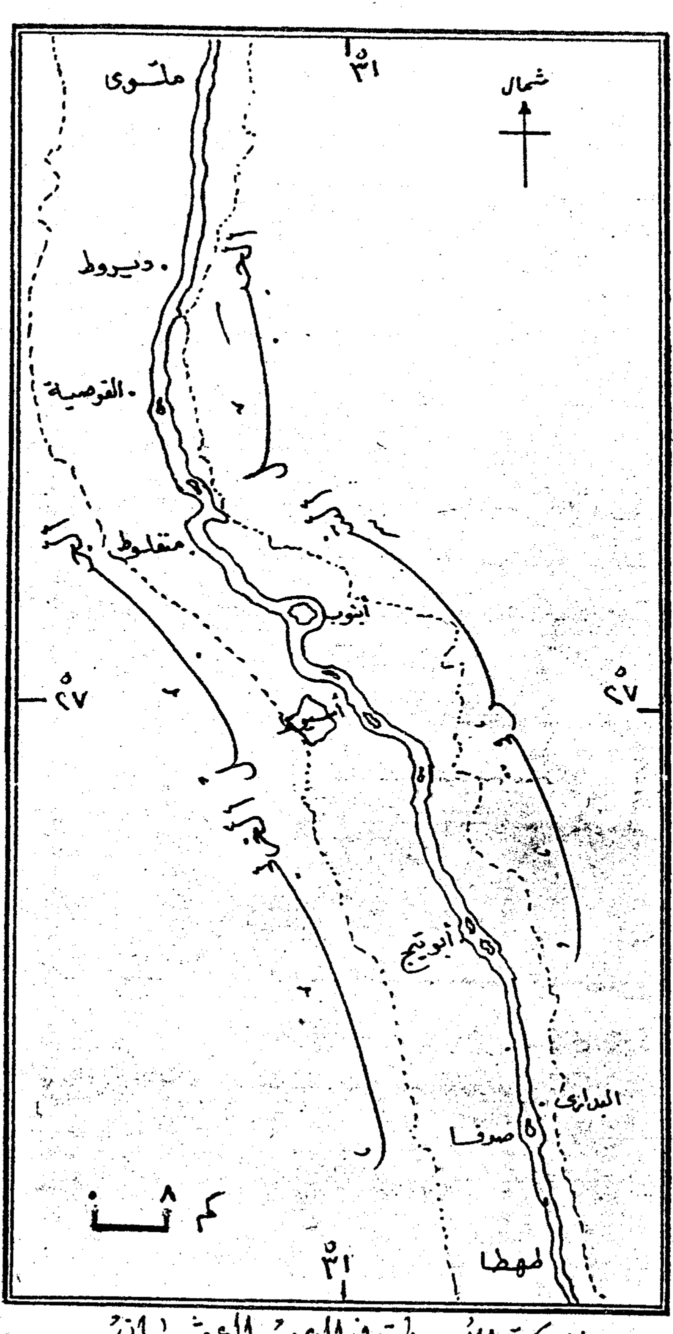
أما كشوفية المنفلوطية ، الواقعة شمال أسيوط مباشرة وجنوب القوصية وكانت قديما تسمى "منبالوط" Manblout ، وهى كلمة قبطية تعنى محط الفراء أى الحمر الوحشية وبها آثار ، وكانت إبان حكم المماليك عاصمة لإحدى مديريات الصعيد ، وظلت تتأرجح ما بين كشوفية وصنجقية إبان الحكم العثمانى ، وقد أصبحت كشوفية فى عام ١٠٧٨ هـ / ١٦٦٨ م فى عهد والى مصر ابراهيم باشا البستنجى(١٠٧٧هـ/١٦٦٧م-
وجمعت منفلوط ما بين كشوفية وصنجقية ابان تولية عبد الرحمن باشا على مصر (١٠٨٧هـ
١٦٧٦م - ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م)[١٦] ، حتى أنها لقبت فى وثائق المحاكم الشرعية "ولايت منفلوط" و"لاية المنفلوطية"[١٧] ، وظلت مركزًا وقاعدة لإدارة أعمال ولاية منفلوط حتى عام ١٨٣١ عندما أصبحت أحد الأقسام أو المراكز الادارية فى عهد محمد على.[١٨]

وفى سنة ١١٣٣ هـ/١٧٢١ م ، أجرى محمد باشا النشانجى - والى مصر العثمانى تعديلاً فى تقسيم أقاليم الوجه القبلى : فنقل قاعدة ولاية البهنساوية من بلدة البهنسا إلى بلدة الفشن ، ونقل قاعدة ولاية الأشمونين من بلدة الأشمونين إلى ملوى ، ونقل قاعدة ولاية أسيوط من مدينة أسيوط إلى جرجا ، وألحقت قرى القسم الشمالى من ولاية أسيوط إلى ولاية منفلوط ، وهى نواحى منقباط (منقباد) ، وبنى غالب ، والنون ، وعلوان ، وجوف الوليدية ، والأكراد ، وجمريس وغيرها.[١٩] وقرى القسم الجنوبى بما فيها مدينة أسيوط ، وأبو تيج ، وصدفا ، وطما ، وطهطا.[٢٠] إلى ولاية جرجا ، وبذلك ألغيت ولاية أسيوط ، وأصبحت مدينة أسيوط مقاطعة من توابع ولاية جرجا التى ضمت إحدى وعشرين مقاطعة مثلها مثل أبوتيج ، وأبو مقروفة ، ونخيلة ، وقاو الكبرى.

وفى عصر محمد على صدر الأمر العالى فى عام ١٢٤١هـ/١٨٢٦م بإنشاء مأمورية أسيوط ، وجعل مدينة أسيوط قاعدة لها ، ثم أطلق عليها مديرية أسيوط بعد ذلك ، وأنشىء بها قسم للشرطة ، ومع اتساع دائرة العمران بالمدينة ، ولزيادة أعمال الادارة والضبط بها صدر قرار فى عام ١٣٠٨ هـ/١٨٩٠ م ، بفصل مدينة أسيوط من بلاد مديرية أسيوط وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم مأمورية أسيوط ويتبعها ناحيتا الحمراء والوليديه[٢١]، اللتين كانتا من القرى المتاخمة لمدينة أسيوط على نهر النيل.

كما كان يقوم على أعمال الواحات بالصحراء الغربية أحد الكشاف المماليك يسمى بـ "كاشف الواحات"[٢٢]

وقد سجلت دفاتر الالتزام ولايات مصر فى العصر العثمانى كتقسيمات إدارية ماليه ، وفى نفس الوقت تسجل الولاية وأسماء المقاطعات التابعة لها ومقدار المال الميرى والضرائب الأخرى المرتبة عليها ، وكانت الوحدات الادارية وحدات مالية فى المقام الأول بهدف إحكام السيطرة على هذه الوحدات وإدارة شئونها وجمع ضرائبها حتى وإن شملها التغيير ، فلم تكن ثابته المساحة دائماً.[٢٣]



ولاية الأسيوطية فى العصر العثمانى

ثانيا: الادارة المركزية

١ - حاكم الولاية أو الكاشف:

أما عن الجهاز الادارى فى صعيد مصر إبان الحكم العثمانى بما فى ذلك إقليم أسيوط فكان على قمته حاكم الولاية الذى يتم تعيينه من بين الأمراء المماليك من الصناجق أو الكشاف الذين يحملون لقب بك ويقوم بتعيينهم الوالى العثمانى (الباشا) ، وكان حاكم جرجا من الولايات الخمس الكبرى الذى يحمل لقب صنجق ، أما الولايات الأخرى فكان يحكمها أمراء مماليك برتبة كاشف ، ومنها كشوفيات أسيوط ، والقوصية والمنفلوطية ، وأبوتيج[٢٤] ، التى خضعت لفترة طويلة لحاكم جرجا وهذا الحاكم أطلق عليه "حاكم سياسة" تمييزاً له عن "حاكم الشرع" وهو القاضى ، ويختص حاكم السياسة بالإشراف على شئون الزراعة والرى وإقامة الجسور وصيانتها ، وتوطيد الأمن ، ومنع العربان من مهاجمة الفلاحين ، والإشراف على أعمال الكشاف التابعين لهم ، وحل المشاكل التى تنشب بين الأهالى والملتزمين أو بين بعضهم البعض[٢٥]، وفى هذا الصدد يتعهد كاشف الولاية أمام القاضى الشرعى وبشهادة الجوربجى وسردار البلوك والأغوات بالولاية أنه قام بترميم وصيانة (تعمير) الجسور السلطانية وأكملها بالتمام " بفضله تعالى" ويحصل على حجة محررة من المحكمة بذلك لإرسالها إلى ديوان مصر (القاهرة)[٢٦] . كما يتعهد بحماية طرق التجارة وتأمين القوافل الآفريقية القادمة من سنار ودارفور وفزان ، وكان من واجبات الحاكم سواء كان بك ولاية جرجا - عندما كانت أسيوط إحدى توابعها ، أو عندما أصبحت كشوفية مستقله مثلها مثل القوصية، والمنفلوطية ، وأبوتيج ، أن يبادر سنوياً بإرسال الحصة، المقررة على الولاية إلى ديوان الروزنامة[٢٧] وذلك بعد إخراج نفقات إدارة الولاية أو ما يطلق عليه مال الكشوفية[٢٨] . كما كان على كاشف الولاية أن يثبت أمام قاضى " أفندى" ومعه الجوربجى والسردار أنه تم تحويل الغلال المقررة كضرائب على الكشوفية[٢٩] إلى مخازن الغلال بالقاهرة.

وكان حاكم إقليم جرجا يلى شيخ البلد وزعيم المماليك بالقاهرة فى الأهمية نظراً لأهمية هذا الأقليم كمصدر هام - ورئيسى فى توريد القمح والسكر إلى أسواق القاهرة

وأسواق مصر الخارجية ، إلى جانب وقوعه فى طريق تجارة افريقيا وهى قوافل دارفور وسنار وفزان ومرور درب الأربعين بأسيوط ، وقد استمرت فترة حكمه لمدة ثلاث سنوات ، وغالبا من كان يتم تجديد هذه المدة وهو فى أغلب الأحيان يقيم فى القاهرة تاركًا تسيير دفة البلاد للكشاف التابعين له الحاصلين للقب بك (الكتخدا أو القائمقام) ، حيث أن هذه الولاية شملت جزءًا كبيرًا من الصعيد بما فى ذلك الواحات ٠

لكن منصب حاكم جرجا فقد سطوته وقوته بعد تطبيق نظام الالتزام منذ الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادى ، ودخول قبائل الهوارة ميدان الالتزام فأصبحوا من كبار الملتزمين وانتقلت معظم واجبات حاكم جرجا إلى كبار الملتزمين من قبائل الهوارة ورجال الإدارة المحلية ، ولم يبق لحاكم جرجا المملوكى سوى التحكم فى أنظمة الرى[٣٠] ، وتأرجح وضع أسيوط الادارى فى التنظيم العثمانى ما بين كشوفية وولاية صغيرة كما سبق القول ، وقد أشارت المصادر إلى أن مصر العثمانية انقسمت إلى نحو ٣٦ كاشفية ، ولكن الرأى الغالب أنها انقسمت إلى أربعة وعشرين كاشفية فقط ، حيث كانت من بينها كاشفيات الصعيد التى تتبع حاكم ولاية جرجا ، والتى يتولاها أمراء المماليك من البكوات ٠

وقد كان راتب الكاشف يصل لنحو مائة ألف بارة فى القرن السابع عشر ثم هبط إلى نحو عشرين ألف بارة لتحصيله بعض الأرباح لصالحه نظير قيامه بدور الملتزم فى مناطق إدارته ٠[٣١]

وطبقاً لقانون نامه مصر فإن مهام مشايخ العربان كانت مماثلة لمهام الكشاف ، إذ كان عليهم أن يجدوا ويجتهدوا فى تعمير البلاد والمزارع التى تضمها شياخاتهم ، ولزامًا عليهم تعمير القرى التى تضار فىنطاق إقامتهم ، وأن يهتموا بتعمير الجسور وترميمها ، وأعمال الجرافة ، وأن يأمروا الفلاحين بأن "يخضروا الأراضى " التى تغمرها المياه ، ومن يخالف ذلك عليهم إنزال العقاب به ٠ كما ينبغى عليهم تأدية الأموال السلطانية فى

مواعيدها دون نقصان . والحفاظ على الأمن وعدم إخفاء أى من المفسدين أو الأشقياء.[٣٢]

٢ - القاضى:

كانت وظيفة القاضى من أهم الوظائف فى التنظيم الإدارى فى مصر العثمانية نظرًا لأهميتها فى إقرار العدالة ، وقد أطلق على متولى هذه الوظيفه قاضى الشرع أو قاضى أفندى أو "حاكم الشرع" تمييزًا له عن حاكم الولاية أو حاكم السياسة.[٣٣]

وكان السلطان سليم الأول بعد فتحه مصر قد أقر نظام تعيين أربع قضاة شرعيين للبلاد على المذاهب الأربعة يحكمون طبقاً لأحكام الشريعة الاسلامية إلى جانب لختصاصهم فى كافة الامور المدنية والجنائية ، وقسمة الزكاة ، وتحصيل الرسوم على المبايعات والتصرفات العقارية ، وإدارة الاوقاف .

وفى عهد السلطان سليمان القانونى أبطل نظام القضاة الأربعة وعين قاضياً عثمانياً أطلق عليه " قاضى عسكر أفندى" وهو الرئيس الأعلى للقضاة ، يتولى أمور القضاء على المذاهب الأربعة ، مع تعيين أربع نواب له ، قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة[٣٤] وهى الشافعية ، والمالكية ، والحنبلية ، والحنفية ، وكان المذهب الحنفى هو المذهب الفقهى السائد فى مصر فى العصر العثمانى.

وكانت أعمال هؤلاء القضاة تتعلق بكل المسائل الشرعية الخاصة بالملتزمين والحقوق المشتركة وواجبات المزارعين ، والإشراف على المبايعات ، والتصرفات العقارية ، وتسجيل جميع عمليات البيع أو الشراء ، وعمليات الزواج والطلاق ، وتتم على يدى القاضى عمليات إشهار إسلام[٣٥] بعض الأشخاص الراغبين فى اعتناق الإسلام . أما عن مدة تولى القاضى لوظيفته فهى سنه واحدة أو سنتين على الأكثر ، ولم يكن

للقاضى مرتب ثابت ، بل خصص له عائد مقرر من الخزينة بالإضافة إلى الرسوم المفروضة على الدعاوى التى يقوم بنظرها.[٣٦]

وقد وجد فى مصر فى العصر العثمانى ست مراتب قضائية يتدرج خلالها القضاة على قمتها المرتبة الأولى والتى يشغلها قضاة مصر المحروسة وبولاق ، ومصر القديمة والاسكندرية ، ثم رشيد ، ودمياط ، والمنصورة ، والمحلة الكبرى ، ومنف العليا فى المرتبة التالية ، وقد وجدت أربع محاكم فى إقليم اسيوط ، خلال هذا العصر ، يتولى كل منها قاض ، ففى منفلوط يتولى أمرها قاض من الدرجة الثالثة ، يليه قاضى محكمة أسيوط من الدرجة الرابعة ، ثم قاضى محكمة سنبواه (سنبو) من المرتبة الخامسة ، أما المحكمة الأخيرة فهى محكمة أبو تيج ويتولاها قاض من الدرجة السادسة والأخيرة وهى أدنى المراتب القضائية ، أو ما يطلق عليها "مرتبة دخول أولى " لأن القضاة لا يتوصلون إلى ما فوقها إلا بعد الدخول فيها ، فهى بمنزلة الباب للدخول إلى منصب القضاة الأعلى ويسلكون فى ذلك سبل الترقى من الأدنى إلى الأعلى.

وكانت جلسات محاكم الأقاليم تستمر طوال الاسبوع بما فى ذلك أيام الجمع حتى يتمكن القاضى من ممارسة اختصاصاته ، ويتمكن المتقاضون من رفع شكاواهم فى أى وقت.[٣٧]

٣ – الاوجاقات العسكرية:

كان عدد هذه الأوجاقات أو الفرق العسكرية ستة مع بداية الحكم العثمانى ثم أضاف إليها السلطان سليمان أوجاقاً سابعاً وهى : المتفرقة ، والجاويشان ، والمستحفظان ، والعزبان ، والجمولیان ، والتفكجيان ، والجراكسة[٣٨] وسوف نوضح بشىء من الإيجاز دور أهم هذه الأوجاقات فى صعيد مصر:

أ) أوجاق المتفرقة:

وكانت مهمة أفراده تنحصر فى الدفاع عن قلاع البلاد المصرية فى الموانىء الشمالية والجنوبية بمساعدة بعض أفراد المشاه والفرسان والطوبجية ، على أن أهم مسئوليات المتفرقة هو تشهيل القوافل القادمة من سنار ودارفور وفزان وحراستها أثناء مقامها فى الصعيد ، ونقل الغلال ومختلف البضائع فيما بين الصعيد والقاهرة والسويس تحت رئاسة القافلة "باشى" أى رئيس القافلة ، كما يقوم هذا الأوجاق بتسهيل نقل أحمال العربان ، وله عوائد على البن فى كل فرق.(٣٩)

ب) أوجاقات السباهية:

أما أوجاقات السباهية فرغم وجود قواتهم الرئيسية فى الريف فإنهم شاركوا فى الفتن العسكرية التى كانت تثور بين الأوجاقات الأخرى فى القاهرة بناء على استدعاء من رؤسائهم بالعاصمة لمناصرة فريق على آخر ، كما حدث فى فتنة افرنج أحمد (١١١٩ هـ/ ١٧٠٧م)(٤٠) ، عندما عزل حاكم جرجا محمد بك (١١٢٠ هـ/١٧٠٧م)، وتم تعيين محمد بك قطامش بدلاً منه .

وتتكون فرق السباهية من ثلاث أوجاقات وهى:

- أوجاق الجموليان:

وكان يطلق عليه الكموليان وهم من المتطوعة الذين يستخدمون الجمال فى تنقلاتهم لحفظ الأمن فى الريف عن طريق تأمين طرق المواصلات ومنع البدو من الغارات على المناطق الزراعية فى الوادى والدلتا.(٤١)

- **أوجاق التفكجيان:**

وهم حملة البنادق من الفرسان ، واقتصرت مهمتهم على المساعدة فى إدارة الريف وتوطيد السلطة العثمانية وأجهزتها فى الأقاليم.(٤٢)

وامتاز فرد هذه الأوجاق بالمهارة فى الرمى بالبنادق من على ظهر جواده ، وكانت هذه الطائفة تتكون من الأرناءوط ، والبوشناق ، والترك ، والجراكسه(٤٣).

- **أوجاق الجراكسة:**

وأفراد هذا الأوجاق كانوا من المماليك الذين اقتصرت مهمتهم على مراقبة الأراضى الزراعية ، والمحافظة على شبكات الرى والإشراف على توزيع المياه على القرى المختلفة.(٤٤)

تلك كانت أهم المهام المنوط بها رجال أوجاقات السباهية الثلاث السابقة والذين كان عددهم كبيرًا فى كشوفيات أسيوط ، ومنفلوط .

جـ - **أوجاق الانكشارية:**

نظرًا لأن أفراد هذا الأوجاق كانوا يختارون من بين الأطفال الأرقاء الذين يعهد إليهم بالرعاية والتربية العسكرية ثم يلحقون بهذا الأوجاق ، ومقره الرئيسى بالقاهرة ، فقد كانت فرق الانكشارية بالصعيد تستمد رجالها من الفرق الرئيسية بالقاهرة ، على أن تحصل على مرتباتها من جرجا دون الرجوع إلى رئاسة الفرق بالقاهرة للحصول على هذه المرتبات.(٤٥)

كما أطلق على أفراد الانكشارية بالصعيد لقب " جماعة مستحفظان محافظين جرجا وأبريم " حيث يشاركون فى الإدارة الاقليمية بالصعيد ويشرف " سردار مستحفظان"

على أفراد الجماعة فى حفظ الأمن بالأقاليم ، وتروى المصادر أن هذه الفرقة كانت على علاقة طيبة بقبيلة هوارة التى كانت تمدهم بالمساعدات العسكرية والمالية.[٤٦]

وكان الواجب العسكرى يقتضى أن يقرن الفرد المنتمى لأوجاق من الوجاقات اسمه بهذا الأوجاق فيقال : مصطفى طايفة عزبان ، أو محمد طايفة جمليان ، وإذا كان ضابطا فيقال: ابراهيم جربجى تفكجيان أو ... الأمير سليمان أو ضبطشة عزبان وهكذا[٤٧] ولقد استغل أفراد هذه الأوجاقات نفوذهم فى ريف البلاد إلى درجة كبيرة تمكنوا فيها من السيطرة على كثير من الالتزامات ، وأصبحوا يشكلون النسبة الغالبة من الملتزمين ، وأصبح الجند السباهية المنوط بهم حفظ الأمن وحماية الطرق ، مصدر إزعاج وخوف لسكان الريف ، بسلبهم الأموال ، وارتكابهم الموبقات وزيادة المظالم ، والمغارم ، حتى أصبح الفلاح غير آمن على أمواله وأولاده من أعمال هؤلاء الجند[٤٨].

ومن الجدير بالذكر أن انتساب المماليك إلى الأوجاقات العسكرية وخاصة أوجاقات السباهية قد ازدادت بصورة كبيرة خلال القرن الثامن عشر ، لما كان لأفراد هذه الأوجاقات من سيطرة فعلية على الريف وسكانه مما يمكنهم من الحصول على كثير من الامتيازات ، ونظرًا للامتيازات الكبيرة التى كان يتمتع بعا أفراد السباهية فى الريف فإن ذلك أغرى بعض السكان المحليين إلى الانتماء إلى صفوف هذه الأوجاقات حتى أن عربان الهوارة (١١٠٩هـ/١٦٩٨م) امتنعوا عن سداد المال الميرى بحجة انتمائهم إلى الفرق العسكرية ، ولولا إعلان هذه الأوجاقات تنكرها لنسب عربان الهوارة إليهم لعجزت السلطات عن أخذ المال الميرى منهم ، ورغم ذلك فقد لوحظ انتماء أفراد من غير العسكيين إلى الأوجاقات العسكرية ، وظلت دفاتر الجوامك والعلوفات تسجل أسماء أشخاص من غير العسكريين للتمتع بامتيازات الفرق العسكرية ، مما أدى فى النهاية إلى انعدام الروح العسكرية لدى أفراد هذه الفرق الذين أصبح شغلهم الشاغل هو تقييد أسمائهم فى الدفاتر بغية التمتع بالامتيازات ليس إلا ، وأصبحت التنظيمات العسكرية المسجلة على الأوراق لا تعبر عن حقيقة الأوضاع المتردية فى البلاد.[٤٩]

ثالثا: الادارة المحلية

(الجهاز الادارى)

١ - الملتزم:

اكتسب الملتزم كثيرًا من الحقوق على أرض حصة التزامه وخاصة فى الفترة المتأخرة من العصر العثمانى ، حتى أن هذه الحقوق تقاربت مع حقوق الملكية فى كثير من جوانبها ، وأطلقت أسماء بعض الملتزمين على مناطق التزامهم أو على بعض القرى الواقعة فى نطاق الالتزام.

وكان الملتزم يقوم بزراعة جزء يقل أو يكثر من أرض الالتزام لصالحة والباقى يتولى زراعته الفلاحون بخراج معين ويطلق عليه اسم " أرض الوسية" وغالبًا ما كان عمل هؤلاء الفلاحين يتم بأسلوب السخرة فى هذه الأرض ، مع منحهم جزءًا صغيرًا يحق لهم الانتفاع به لصالحهم.

وكان بمقدور الملتزم أن يمنح جزءًا من التزامه أو بيعه لملتزم آخر نظير مبلغ معين، ثم تصير من بعده ملكاً له ولأولاده.[٥٠]

وللملتزم أن يسترد الأرض من الفلاح إذا عجز عن زراعتها، أو خشى ألا يقدر على سداد المال المقدر عليها ، ولا يرث أولاد الملتزم أرض الالتزام إلا بعد موافقة الباشا ودفع الحلوان[٥١] بعد وفاة الملتزم مباشرة ، ويمكن للملتزم أن ينسحب من التزامه قبل انتهاء السنة وفى هذه الحالة عليه أن يتنازل لشخص آخر بعد التوقيع على التنازل الذى يطلق عليه "مصالحة" .

وفرضت الحكومة على الملتزم واجبات ضرورية منها إيواء المسافرين والموظفين وضيافتهم فى منطقة التزامه ، إلى جانب صيانة المدارس والمساجد والحمامات وتحمل جزء من نفقات هذه المؤسسات.[٥٢]

٢ - الوكيل أو القائمقام:

وهو أهم موظفى الولاية الذين يعاونون الملتزم وينوبون عنه فى تنفيذ أوامره ، ومن اختصاصاته جمع الضرائب ، وتسجيل كميات الغلال المودعة بمخازن الملتزم بشهادة شيخ القرية ، والقيام بدفع أجور الفلاحين العاملين بدون سخرة(٥٣) ومن اختصاصات الوكيل الاشراف على الأراضى ، ومراقبة تصرفات الأهالى المتعلقة بزراعة الأرض.

وقد كان الوكيل ينوب عن الملتزم فى كل ما يتعلق بإدارة حصة الالتزام مثل حضور عمليات مسح الأراضى نيابة عنه وتسلم الأموال الخاصة به من مشايخ القرى وغير ذلك ، فى مقابل عوائد (أجر) على طرف الملتزم - أى جزءاً مما يتسلمه معلوم.(٥٤)

٣ - شيخ القرية:

كان شيخ القرية بمثابة الجهاز التنفيذى فى القرية ، وهو عادة من سكانها الموسرين ليجيد التعامل مع أهلها ، ولكل قرية شيخ واحد أو عدد من المشايخ بلغ عددهم فى بعض الأحيان عشرون شيخاً فى القرية الواحدة (٥٥) إذا كان هناك أكثر من ملتزم فى القرية ، وكان أبرز هؤلاء المشايخ يسمى بشيخ المشايخ أو المقدم ، وقد أصبحت هذه الوظيفة مع مرور الوقت وراثية.(٥٦)

ويختار شيخ القرية عادة من بين الأسر الثرية أو ذوى الجاه ، كما كان يختار فى الصعيد من العربان ، وخاصة فى المناطق التى تقطن بها قبائل بدوية(٥٧) ، وكان من المألوف أن يكون شيخ القرية من النصارى إذا كان سكان القرية من النصارى ، أما إذا كان سكانها من المسلمين والمسيحيين ففى هذه الحالة يختار شيخ القرية من بين المسلمين.(٥٨)

أما عن مهام شيخ القرية فلعل أهمها مسئوليته عن حفظ الأمن والنظـام فـى القريـة وحماية أهلها ، وفرض سيطرته على الفلاحين المهملين فى زراعة أراضيهم وتنفيذ أوامـر الملتزم بكل دقة ، وتنظيم عمليات الرى ، وتنفيذ أحكام قاضى الشرع بالناحية ، والإشـراف على عمليات مسح الأراضى التى تتم سنويًا فى الصعيد نتيجة لعمليات طرح النيل زمـن الفيضان.[٥٩]

وكان شيخ القرية يشارك قاضى الشرع وغيره من رجال الإدارة فى حل كثير مـن المنازعات التى تنشب بين الأهالى فى القرية ، أو بين القرى المجاورة ، كمـا كـان عضـوًا دائمًا فى لجان المصالحات التى يصـدر بشـأنها فرمـان مـن الباشـا لحـل المنازعـات التـى تحدث بين الملـتزمين بالمنطقـة وغيرهم مـن رجـال الإدارة ، أو بيـن الملـتزمين بعضهـم البعض ، وهى المنازعات الخاصة بحدود الالتزامات أو اغتصاب الأراضى.[٦٠]

أما عن مقابل خدماتهم هذه فكان لهم "طين" مسموح بالمـال الحـر ، أى معفـى مـن الضـرائب ، وعوائد معـترف بهـا نظـير قيـامهم بالواجبـات التـى يقتضيهـا وجـود ضيـوف بالقرية ، ونظير حضورهم إلى القاهرة لمقابلة الملتزم فى حالة إقامته بهـا ، وكـان الملـتزم بدوره يقدم لهم الكساوى نظير خدمتهم له.[٦١]

وكان لهم كذلك بعض مصـادر أخرى غير مشـروعة ، فاستحوذوا علـى ثـروات ضخمة، وأصبح بعضهم يملك الالتزامات ، وأصبحوا يشكلون فئة متميزة داخل القرى كمـا لعبوا دورًا بارزًا فى إثارة العصبيات فى الريف بتسليحهم فلاحى قراهم ضد ما عداهم مـن القرى المجاورة.[٦٢]

٤ - **الشاهد:**

كان مساعدًا للخولـى فـى أعمالـه ، فهـو المسـئول عـن تسـجيل أطيـان القريـة مـن الأحواض والفدادين كل على حدة فى دفتر يطلق عليه " سجل الشاهد" ، كما يسجل أسـماء

الفلاحين الذين يقومون بزراعة أرض القرية وحصة كل منهم ، والمال المقرر على كل فلاح[٦٣] ، كما يسجل فى دفتره المصارف والجسور الموجودة داخل زمام القرية ، وكان عمل الشاهد هو الأساس لعمل الصراف الذى يعتمد على جمع المال الميرى والضرائب الأخرى.[٦٤]

كما كان له دور بارز فى فض المنازعات التى تنشب بين الأهالى وإقرار العدل بينهم أو بين الملتزمين على الحدود ، وكانت شهادته يؤخذ بها فى هذه المسائل لمعرفته الدقيقة بمساحات وحدود الأرض الزراعية.[٦٥]

وكان تعيين الشاهد يتم باختيار فلاحى القرية وموافقة الملتزم ، ومؤهله الرئيسى لا يتعدى معرفة القراءة والكتابة والحساب.[٦٦]

وكانت له عادة سنوية على الفلاحين قدرتها دفاتر الترابيع فى بعض القرى بمبلغ (٦٦٦) بارة.[٦٧]

٥ – الخولى:

كان عمل الخولى الرئيسى هو الإشراف على زراعة أراضى الوسية ، وهى الأرض الخاصة بالملتزم ، وبعد مرور الوقت أصبح من أهم مهام الخولى القيام بمسح الأرض الزراعية المروية المقرر عليها الضريبة بعد انحسار الفيضان خاصة فى الوجه القبلى كل عام ، وكان لكل منطقة خولى مختص بها ، ولا يشترط لشاغل هذه الوظيفة معرفته للقراءة أو الكتابة ، لاعتماده على ذاكرته فى معرفة زمام القرية ، وحدود كل تكليف ، فصار أحد المحكمين عند حدوث المنازعات فى هذا الشأن.[٦٨]

كما أصبح هو المسئول عن صيانة نظام الرى فى الإلتزام والإشراف على أعمال الزراعة ، وتوزيع الأرض على الفلاحين فى حالة السخرة.[٦٩]

أما أجر الخولى فيحصل عليه من ديوان الولاية[٧٠] ، وقد لعب شاغلو هذه الوظيفة دورا ملحوظا فى إدارة القرية المصرية فى العصر العثمانى.

٦ - **المشد:**

وهو أحد الموظفين التابعين لشيخ البلد ، والمنفذ لأوامره وأوامر الملتزم ؛ إذ يقوم بإحضار الفلاحين بنفسه إلى الديوان وقت طلب المال[٧١]، وإنزال العقاب بهم إذا ما تأخروا فى سداد الأموال المقررة عليهم ، واستخدام القوة والشدة معهم ، ولذلك أصبح لزامًا عليه معرفة الكثير عن أهل القرية وأماكن إقامتهم[٧٢] كما كان لزامًا عليه القيام بإبلاغ أوامر الملتزم ، أو وكيله أو شيخ البلد لأهل القرية لتنفيذها ، ولو باستخدام القوة معهم فى حالة عدم الانصياع لها ولهذا كانت كلمه "المشد" لدى الفلاحين تعنى القسوة والغلظة واستغلال النفوذ.

٧ - **الصراف:**

كان أغلب شاغلو هذه الوظيفة من النصارى[٧٣] لمهاراتهم فى هذا العمل حتى أنهم توارثوه ، وقام الملتزم بتعيين الصراف ، الذى يباشر عمله من خلال سجلات منفصلة لضرائب الأراض المقررة على الفلاحين والتى تسلم نقدًا أو عيناً للملتزم أو الوكيل.[٧٤]

ومن بين أعمال الصراف الهامة تسلم الأموال ودفع النفقات الإدارية ، وفرز القطع المعدنية ، على أن يأخذ لنفسه نسبة على الأموال المحصلة من الفلاحين[٧٥] وقد استحوذ الصرافون فى الغالب على ثقة الملتزمين ، على الرغم من أن المصادر المعاصرة أظهرت أن بعض الصرافين لم يؤدوا أعمالهم بأمانة وإخلاص ، إذ لم يكتفوا بأجورهم المقررة التى يتحصلون عليها من الفلاحين ، بل استغلوا نفوذهم أسوا أستغلال بقبولهم الرشاوى وإهانة الفلاحين وتهديدهم بالضرب والحبس ، فخشوهم أكثر من خشيتهم للملتزم نفسه.[٧٦]

وكان ظلمهم في بلاد الصعيد أشد ، حيث تدفع ضرائبها غلالاً ؛ إذ استعملوا نوعين من المكاييل ؛ النوع الأول وهو الأكبر ويتسلمون به الغلال من الفلاحين والنوع الثاني وهو المكيال الأصغر الذى يقومون بتسليم الغلال به إلى الشون الأميرية ويحتجزون بذلك لأنفسهم الفرق بين المكيالين[٧٧] ، وقد أطلق على الصراف في صعيد مصر إسم "العامل".

٨ - الخفير (الغفير):

والخفراء هم حراس القرية ؛ يسهرون على حمايتها من إغارات العربان ومنع السرقات التى تحدث سواء بالليل أو النهار ، على أنهم كانوا تابعين للمشد ويقومون بتنفيذ أوامره ، ويحرسون بيت الملتزم ومحاصيله ، ويراقبون الجسور ، ويعملون في أراضي الملتزم إذا ما طلب منهم ذلك ، وإبلاغ أوامر شيخ القرية إلى الفلاحين.[٧٨]

وقد اختلف عدد الخفراء من قرية لأخرى ، وقد قام بعض العربان بدور الخفراء نظير قدر معلوم من المال على كل فدان أو حصة.[٧٩]

٩ - الكلاف:

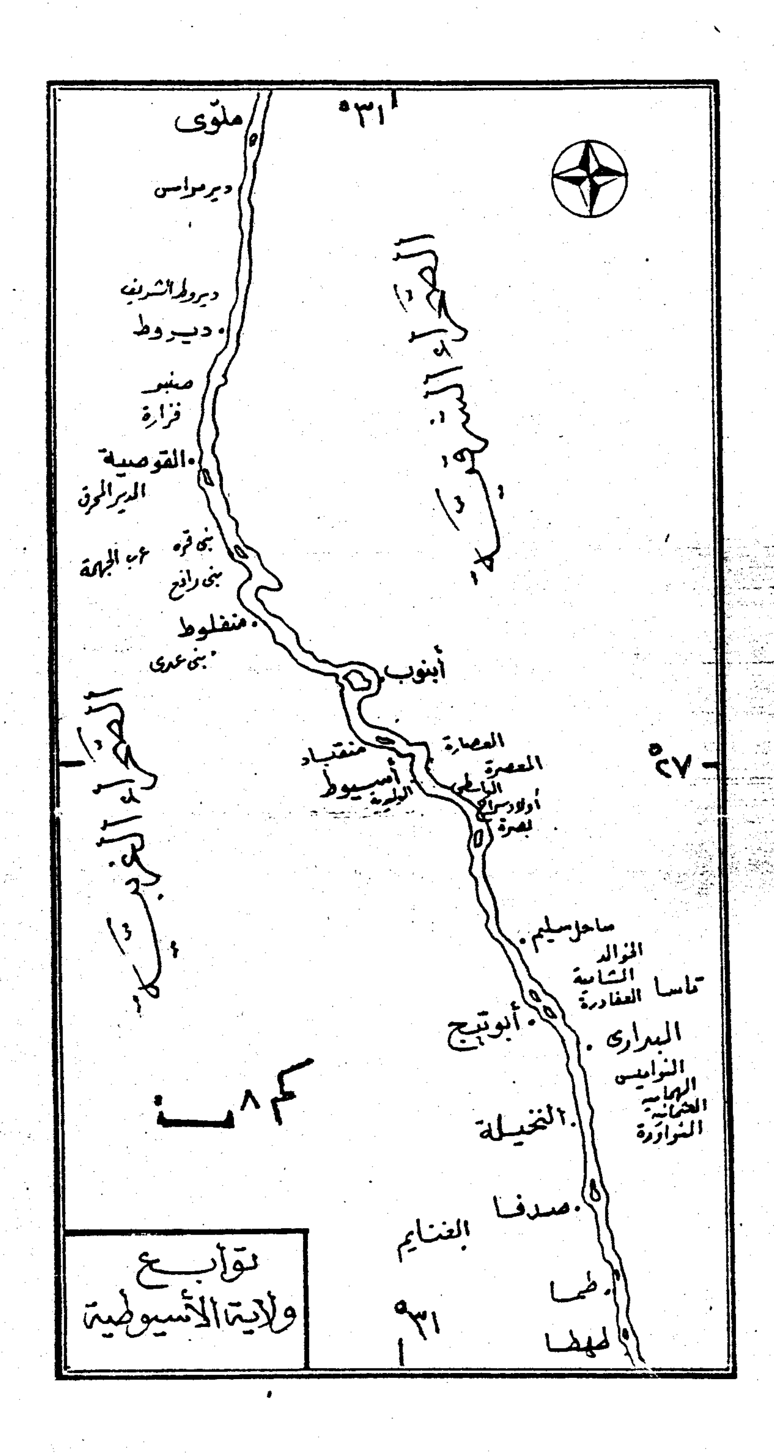
وهو المسئول عن علف البهائم ، وتسريحها ، ورعايتها[٨٠]، ثم هو يقوم بجمع الصوف والجبن والزبد من نتاجها ، واستلزم اهتمامه بالمواشي أن يكون على دراية بالأمور البيطرية للماشية ، فأصبح يقوم بدور البيطار في القرية[٨١] نظير أجر يأخذه من الفلاحين بجانب الأجرة التى يحصل عليها من الملتزم.

هوامش الفصل التاسع

(١) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٥٩ .
(٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٣٥٨ ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، ص ١٤٣ .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ص ١٨٨ - ١٨٩ .
(٣) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ .
(4) Esteve; Mémoire Sur lesFinanes de L' Egypte, T. X11, PP. 44 - 45.
د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٤ .
(٥) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٦٤ .
(٦) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٩٢٧ ، ١٣ ذى القعدة ١١١٠ هـ .
(٧) نفس المصدر والوثيقة .
(٨) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٨١ .
(٩) د. جلال يحيى: مصر الحديثة ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ص ١٧٢ .
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٦١
(١٠) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦٢٠ ، رجب ١١٧٩ هـ .
(١١) محكمة أسيوط الشرعية، وثيقة رقم ٦٥٣ ، ١٢ شعبان ١١٥٤هـ.
(١٢) المصدر نفسه، وثيقة رقم ١٢٣ ، ٣ جماد آخر ١١٠٧ هـ ، رقم ١٩٢٧، ١٣ ذى القعدة ١١١٠هـ.
(١٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ص ١٣ - ١٤ .
(١٤) المرجع نفسه ، ص ١٥ .
(١٥) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ص ٥٩ ، ٧٥ ، ٧٦ .
(١٦) د. صلاح احمد هريدى: مرجع سابق، ص ١٢٠ .
على مبارك: الخطط ، مرجع سابق ، جـ ١٥ ، ص ٩٤ .
(١٧) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦١٩ ، ١٦ رجب ١١٧٩ هـ ، رقم٦٢٣ ، ١١٨٠ هـ.
(١٨) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ٧٨ .
(١٩) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦٢٣ ، ٨ رجب ١١٨٠ هـ.
(٢٠) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١٢٠٣ ، رابع صفر ١٢٠٨ هـ.
(٢١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ص ٢٥ - ٢٦ ، جـ ٣ ، ص ١٧ - ١٨ .
د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٢٢) محكمة أسيوط الشرعية ، وثيقة رقم ١١٥٣ ، ١٦ ذى الحجة ١٢٠٧ هـ .
(٢٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ص ١٦ ، ١٧ .
(٢٤) د. ليلى عبد اللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٣٩١ .
(٢٥) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ٤٦ .
(٢٦) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦١٩ ، ١٦ رجب ١١٧٩ هـ.
(٢٧) عن ديوان الروزنامة أنظر:قانون نامه مصر ، ترجمة د. أحمد فؤاد متولى ، ص٢٩ - ٣٠ .
محمد شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ٥ .
(٢٨) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر ، ص ٥٣ .
(٢٩) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦٢٠ ، رجب ١١٧٩ هـ ، ١١٨٠ هـ.

(٣٠) د. ليلى عبد اللطيف: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ، ص ٦٥ .
Shaw: The financial and Adminstrative organization, p. 62.
(٣١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ص ٤٧ - ٤٨ .
Shaw; Ottoman Egypte in the eighteenth Century, pp. 30,78 - 79.
(٢٣) قانون نامة مصر ، مصدر سابق، ص ص ٣٧ - ٣٨ .
(٣٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ٣٧ .
Déscription de L; Egypte, T. Xvill, p. 404.
(34) Shaw; Ottoman Egypte, P. 95.
وثيقة رقم B6-4 بتاريخ ٢٧ يوليو ١٧٩٨ م ، وزارة الحرب الفرنسية - باريس .
(٣٥) محمد شفيق غربال : المصدر السابق ، ص ٢٤ .
يمكن الرجوع إلى أعمال ومهام القضاه والمحاكم الشرعية إلى سجلات محاكم أسيوط خلال العصر العثمانى.
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(٣٧) د. عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص ص ٤١ - ٤٢ .
(٣٨) انظر بخصوص هذه الأوجاقات :
محمد شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ص ١٩ - ٢١ .
La Décade Egyptienne, 3 em Volume, p. 207 .
(٣٩) محمد شفيق غربال : المصدر السابق ، ص ص ١٧ - ١٨ .
(٤٠) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ص ٥٣ - ٥٦ ، ٧٠ - ٧٩ .
د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ص ٥٩ - ٦٠ .
(٤١) محمد شفيق غربال : المصدر السابق ، ص ص ٢٠ - ٢١ .
(٤٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٥٤ .
Holt. P.M; Political and Social change in modern Egypt, p. 80 .
(٤٣) قانون نامه مصر ، ص ١٣ .
(٤٤) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع نفسه ، ص ٥٥ .
Ibid, P. 80 .
(٤٥) محمد بن أبى السرور البكرى : كشف الكربه برفع الطلبة ، ص ٣٥٩ .
عن د. صلاح احمد هريدى : مرجع سابق ، ص ١٣٨ .
(٤٦) د. ليلى عبد اللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ١٨٤ .
Shaw, The Financial, Op. Cit, P. 62 .
(٤٧) محكمة منفلوط الشرعية ، وثيقة رقم ٦ ، غاية صفر الخير ، ١١٧٩ هـ ، ١١٠ ، عشرة صفر ١١٧٩ هـ ٤٤٦ ، رجب ١١٨٠ هـ.
(٤٨) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٥٥ .
Holt. P. M; Op. Cit, P. 85.
(٤٩) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٣ .
(٥٠) د. صلاح احمد هريدى : مرجع سابق ، ص ص ١٣٩ - ١٤٠ .
La Décade Egyptienne , 3 em Vol., P. 215 .
(٥١) الحلوان: ضريبة كان يدفعها الملتزم الجديد للباشا وديوان الروزنامة نظير التصديق على نقل الالتزام إليه ، وكانت فى بادىء الأمر تقدر بمقدار سنة من الأموال الأميرية المقررة على الحصة ، ثم أصبحت تقدر بمقدار ثلاث سنوات من فائض الحصة الذى أصبح يفوق مقدار المال الميرى:
أنظر: د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
(٥٢) د. صلاح احمد هريدى : مرجع سابق ، ص ص ١٤٠ - ١٤١ .
Shaw; Ottoman Egypte, P. 146 .

(٥٣) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ص ٤٠ - ٤١ .
هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ص ٥١ - ٥٢ .
(٥٤) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٥٥) هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والادارة فى مصر ، ص ٤٩ .
(٥٦) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٣٩ .
Estéve; Mémoire sur les finances de l' Egypte, (Déscription de l' Egypte, T. X11), P.66.
(٥٧) هاملتون جب ، هارولد بوون: المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٣ .
(٥٨) هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والادارة فى مصر ، ص ٥٢ .
(59) Estéve; Mémoire sur les finances de l' Egypte T. X11, pp. 66 - 67.
(٦٠) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٠ .
(٦١) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٩ .
(٦٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢١ .
هاملتون جب ، هارولد بوون: المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .
(٦٣) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ص ٣٩ - ٤٠ .
د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٣ .
(٦٤) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٤٩ .
(٦٥) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٤ .
Estéve; Op. Cit, T. X11, P. 66 .
(٦٦) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٤٩ .
(٦٧) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٥ .
(68) Estéve; Op. Cit, T. X11, P. 67.
هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٤٩ .
د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٨ .
(٦٩) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٥١ .
(٧٠) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ص ٤٠ - ٤١ .
(٧٢) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٥٠ .
Estéve; Op. Cit, T. X11, P. 67.
(٧٣) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٠ .
هاملتون جب ، هارولد بوون: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .
(٧٤) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٧٥) د. ليلى عبد اللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٤٠٨ .
(٧٦) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٧ .
Estéve; Op. Cit, T. X11, PP. 69 - 91.
(٧٧) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٢٨ .
(٧٨) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٥١ .
د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص٣٤ .
(٧٩) د. عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص٣٤ .
Estéve; Op. Cit, T. X11, P. 67.
(٨٠) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤٠
(٨١) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٥٢ .
Estéve; Op. Cit, T. X11, P. 68.


٣١°
ملوى
ديرمواس
ديروط الشريف
ديروط
صنبو
قزارة
القوصية
الدير المحرق
بني قره
بني رافع
منفلوط
بني عدي
أبنوب
العصارة
منقباد
المعصرة
أسيوط
أولاد سراج
بصرة
٢٧°
ساحل سليم
الخوالد
الشامية
تماسا
العقادرة
أبوتيج
البداري
النواميس
النخيلة
صدفا
الغنايم
طما
طهطا
٨ كم
توابع
ولاية الأسيوطية

الفصل العاشر

نظام الالتــزام

لم يطبق نظام الالتزام لأول مرة مع دخول العثمانيين مصر عـام ٩٢٣هـ/١٥١٧م ولكنهم أداروا البلاد عن طريق نظام المقاطعات (الأمانـات) الـذى كـان متبعـًا فـى العصـر الإسلامى ، وظل هذا النظام مستمرًا حتى منتصـف القـرن السـابع عشـر الميـلادى، ويقـوم على أساس أن كل قرية ، أو عدة قرى متقاربة تكون مقاطعة أو أمانة وهى وحـدة إداريـة ومالية مستقلة ، ولكل مقاطعة عامل مسئول عن المال الميرى المقـرر عليهـا وهـو بمثابـة موظف مسئول لدى الروزنامة[1] ، وكانت هذه المقاطعات توزع علـى فئتيـن همـا الأمـراء والجند يستغلونها كيفما شاءوا ويحصلون على ريعها.

وفى ظل هذا النظام وطبقاً للتوزيع الذى أقره السلطان صـلاح الديـن الأيوبـى عـام ٥٧٢هـ/١١٧٦م ، اشتمل الوجه القبلى على إقطاعيات: الجيزة ، والبوصيريـة ، والواحـات الداخلة والخارجـة (وواح البهنسـا) ، والأطفيحيـة ، والفيوميـة ، والأشـمونين ، والسيوطية خارجا عن منفلوط ومنقباط ، والأخميمية ، والقوصية ثغر أسوان[2].

وكـان السـلطان برقـوق (٧٨٤هـ/١٣٨٢م – ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) قـد أنـزل عربـان هوارة بالصعيد الأعلى واختصهم بنحو أربعة وعشرين فداناً ، فضلاً عن بطون "بلى" التى انتشرت فى أعمال القوصية والمنفلوطية.[3]

وقد أقر قانون نامة سليمان هذا التقسيم الإقطاعى لأراضى مصر والمعمول به من قبل ، لكنه لم ينجح فى إدارة الأرض على الوجه الذى يراد له ؛ إذ اتبعت الدولـة العثمانيـة نظام الإقطاع الحربى ، وفيه يمنح السلطان الأرض الزراعية للأمراء من سلاح الفرسـان أو الخيالـة، ويسـتقرون فيهـا ويشـرفون علـى زراعتهـا بمسـاعدة الفلاحيـن وكـانت فرقـة السباهية أكـثر مـلاك الأراضـى الزراعيـة صلـة بـالفلاحين وامتلاكـًا للإقطاعـات ؛ فهـم لا

يتقاضون مرتبات نقدية نظير خدمتهم فى الدولة بل يعتمدون فى معيشتهم على ما تغله لهم الاقطاعات الممنوحة لهم.

كما يرجع عدم نجاح نظام الاقطاعات فى ظل الحكم العثمانى إلى اتباع الموظفين المشرفين على هذا النظام أساليب غير مشروعة لزيادة متحصلاتهم الشخصية وتعسفهم فى معاملة الفلاحين فى جمع الأموال منهم ، كما قام المفتشون فى كثير من المقاطعات بتعيين وكلاء لهم لم يكونوا أقل تعسفاً فى معاملة الفلاحين عن المفتشين الذى ابتعدوا عن مناطق إشرافهم فعجزوا عن تقدير الضرائب على هذه الأراضى تقديرًا سليماً ، فأدى ذلك إلى الفوضى فى تقدير الضرائب ، وبالتالى إرهاق الفلاحين.[٤]

وإزاء هذه الفوضى اضطرت الدولة العثمانية إلى تطبيق نظام الالتزام فى مصر منذ عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م ، بعد فشل بعض الباشوات السابقين على هذا التاريخ فى إصلاح نظام المقاطعات القديم ، خاصة وأن نظام الالتزام أثبت نجاحه فى التطبيق ببلاد الأناضول والروملى وشمال العراق فى القرن السابع عشر.[٥] والنظام الجديد (الالتزام) لا يخضع لموظفين تابعين للحكومة ، وإنما يتكفل فيه الملتزمون Tax Farmers من الأمراء المماليك ، ورجال الاوجاقات العسكرية ومشايخ العرب وغيرهم ، بتحصيل الضرائب المقررة فى مناطق التزاماتهم عن مدة محدودة وسدادها لديوان الروزنامة ، ثم يتولى الملتزم جمع الضرائب من الفلاحين بمساعدة سلطات الحكومة ، وهذه الضريبة يطلق عليها "الميرى"[٦] ويحصل الملتزم لنفسه على "الفائض" أو " الفايظ" وهو المال الذى يمثل الفرق بين المال الميرى المقرر على الحصة ، والإيجار الفعلى الذى يفرضه الملتزم على الفلاحين ، ولم يكن الفائض يسجل فى دفاتر الالتزام فى بدء تطبيق نظام الالتزام بمصر ، إلا أنه بدأ يسجل فى القرن الثامن عشر فى الدفاتر ، وتؤكد إحصاءات علماء الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م أن الملتزمين حصلوا على أرباح الفائض التى تقدر بنحو ٤٤٪ من مال الخراج فى هذا العام.[٧]

وهذه الالتزامات تمنح فى مزاد علنى ، ثم يقوم ديوان الروزنامة بتسليم من يرسو عليه المزاد "تقسيطاً" وهو بمثابة سند ، ومعه أمرًا "تميقة" موجهة إلى مشايخ حصة التزامه وفلاحيها تأمرهم فيها بالخضوع لأوامره ، ودفع الأموال المقررة على أرض الحصة أو الالتزام بصفته ممثلاً للحكومة ، ولم يكن بمقدور الملتزم أن يتصرف فى حصة التزامه إلا بعد موافقة الروزنامة ، ودفع "حلوان" عبارة عن مبلغ من المال يعادل ضريبة سنة على الحصة.[٨]

وكان التزام الوجه القبلى يتم تسجيله عند "أفندى الشهر" المختص بالإشراف على مقاطعات الجمارك والتزامات الوجه القبلى ، وكان أفندى الشهر يقوم بتسجيل أسماء الملتزمين، ومقدار الميرى المقرر عليهم فى سجلات خاصة بذلك ، وله عوائد على هذا العمل من الملتزمين ، وعلى جانب الميرى ، وعلى الجمارك وعلى الباشا.[٩]

وكانت الأراضى التى يقوم الملتزم بتوزيعها على الفلاحين فى الوجه القبلى لزراعتها من زمام التزامه بمعرفة مشايخ القرى وأجهزة الادارة كل عام على حدة بعد انحسار مياه الفيضان عنها وتقدير صلاحيتها للزراعة ؛ تسمى "أرض المساحة" ويطلق عليها كذلك اسم "المشاع"[١٠] لأن توزيعها يتم بناء على مسح الأرض سنويًا وقياسها ، ولهذا فإن فلاح الوجه القبلى ، لم يكن مرتبطاً بالأرض دومًا ، وإنما يتم ذلك كل سنة على حدة ، وليس فى استطاعة الملتزم أن يجبره على الاستمرار فى زراعة الأرض ؛ فالتعاقد بينهما اختياريًا ، بعكس الحال فى الوجه البحرى ، وفى كلتا الحالتين أطلق على الأرض التى يتولى زراعتها الفلاحون من قبل الملتزم بأرض "الفلاحة".

أما "أرض الوسية" فهى الأرض التى خصصتها الحكومة للملتزم كجزء من أرض الالتزام يستغله كيفما يشاء دون أن تفرض ضرائب عليه ، نظير قيام الملتزم بصيانة المرافق القائمة فى حصة التزامه ، وكان على الفلاحين أن يقوموا بزراعة هذه الأرض

سخرة لصالح الملتزم دون أجر أو قيامة بتأجيرها لهم نظير مبلغ من المال يقوم بتحصيله لنفسه .[١١]

وكان نظام الالتزام فى بداية تطبيقة بمصر عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م قاصرًا على الفئات القادرة من الأمراء المماليك، ورجال الأوجاقات ، ومشايخ العرب ، وقلة من العلماء، والسادة الأشراف ، وكانت الفئة الغالبة على الالتزامات هم المماليك ورجال الأوجاقات ومثلوا نحو ٠٧ر٩١٪ من مجموع عدد الملتزمين البالغ عددهم نحو(١٧١٤) ملتزمًا فى كل أنحاء البلاد ، منهم (١٥٩) ملتزمًا بولاية جرجا التى تشمل بلاد أسيوط ، وهم (١١٨) ملتزمًا من المماليك والعسكريين ، (٤١٠) ملتزمًا من العرب وغيرهم.

وفى ولاية الأشمونين بشمال أسيوط بلغ عدد الملتزمين بها (٦١) ملتزمًا ، من بينهم (٥٨) ملتزمًا من المماليك والعسكريين ، (٣) ملتزمين من العرب وغيرهم.

أما فى نهاية القرن الثامن عشر فقد بلغ عدد الملتزمين فى مصر كلها(٤٤٢٠) ملتزمًا منهم (٢٠٠) ملتزمًا بولاية جرجا ، وهم (٩١) ملتزمًا من المماليك والعسكريين، (٨٤) من العرب ، (٢٢) من العلماء ، (٣) ملتزمين من التجار. وفى هذه الفترة زاد عدد الملتزمين بولاية الأشمونين فبلغ (٢١٩) ملتزمًا ، من بينهم (١٠٨) ملتزمًا من المماليك والعسكريين ، (٦٩) من العرب ، (١٧) ملتزمًا من النساء ، (١٨) من العلماء (٧) ملتزمين من التجار .[١٢]

ومن خلال هذه المقارنة المأخوذة من دفاتر الالتزامات ، يتضح أن هناك فئات جديدة قد دخلت ميدان التزام الأراضى الزراعية فى القرن الثامن عشر لأول مرة ، ولم تكن من بين الفئات التى شاركت فيه منذ بدء تطبيقه فى مصر ، وهذه الفئات هى التجار والنساء ، كما زاد عدد العلماء الذين شاركوا فى التزامات الأراضى . كما أن فئة المماليك ظلت لها اليد الطولى فى الاستحواذ على الالتزامات ، ولقد أفسحت الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد المجال لطبقة التجار وخاصة تجار البن لدخول هذا المجال ؛ ففى

القرن الثامن عشر شهدت البلاد صراعات سياسية وعسكرية بين البيوت المملوكية التى كانت تسيطر على معظم الالتزامات وانقسمت هذه البيوت فيما بينها إلى فقارية ، وقاسمية وقازدوغلية ، ثم فترة حكم على بك ، وصراعه مع الأمراء المماليك المعارضين لنفوذه وأعوانهم من شيوخ العرب فى الوجهين القبلى والبحرى ، ثم فترة الحكم الثانى بين ابراهيم بك ومراد بك (١٧٧٥-١٧٩٨) ، وصراعهما مع الأمراء المماليك ؛ كل ذلك أدى إلى إفساح المجال لدخول التجار ميدان الالتزام، واستمر دخولهم هذا المجال طالما استمرت الصراعات باقية ، لحاجة الأمراء للأموال لإنفاقها على عملياتهم العسكرية ، واضطرارهم لإسقاط هذه الالتزامات واستئجارها لضمان الحصول على المال الذى كان متوافرًا فى أيدى التجار[١٣] . وشملت إسقاطات الالتزامات أحياناً بعض الأوقاف فى ولاية الأشمونين وولاية المنفلوطية ، وناحية ديروط الشريف ، وكان التنازل يتم نظير دفع مبلغ " الحلوان".[١٤]

ومن الواضح أن عدد العلماء الملتزمين قد زاد عددهم فى نهاية القرن الثامن عشر عن ذى قبل ، بل إن بعض العلماء المشهورين أصبح يلتزم عدة قرى وهذه الزيادة كانت إما نتيجة لتوارثهم الالتزام عن آبائهم مع تنميتها على أيديهم ، مثل الشيخ محمد الأمير الذى توارث الالتزام فى بلاد الصعيد عن جده الأقرب أحمد ووالده عبد القادر ، والشيخ السادات الذى كان له التزام ببلدة "سنبو" ، وفيها ولد يوم الأربعاء من ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف (١١٥٤هـ/١٧٤٢م) ، وقد ثبت من خلال دفاتر التزامات الوجه القبلى أنه ورث هذه الالتزامات وأضاف عليها ، كما ساعد العلماء على دخول هذا المجال إشرافهم على أراضى الوقف وثرائهم من جراء ذلك ، ومقدرتهم المالية على شراء الالتزامات بعد أن كثرت عمليات إسقاطها ، وأصبحت كأى سلعة تباع وتشترى ، وشجعهم على التقدم للشراء أنهم فى الغالب من أصول ريفية يقدرون معنى الارتباط بالأرض وزيادة نفوذهم فى بلادهم ، ولذلك كانت أغلب الحصص الخاصة بهم تقع فى مواطنهم الأصلية أو القرى المجاوررة لها.[١٥]

وقد شهد الصعيد حالات إسقاط متعددة فى جهات كثيرة لصالح فئة العلماء ، وتشهد وثائق سجلات المحاكم الشرعية إسقاطات لعلماء فى نواحى الرواق تابع ولاية الأشمونين ونواحى وأبوتيج وغيرها.[(١٦)]

أما النساء فقد دخلن مجال الالتزام بدورهن فى العصر العثمانى المتأخر وبلغ عددهن سبعة عشر ملتزمة فى ولاية الأشمونين ، نتيجة لاشتداد عمليات الصراع بين الأمراء المماليك وانقسامهم الى بيوت متنافسة على السلطة ، مع عدم استقرار كثير من الأمراء فى مراكز نفوذهم ، مما أدى إلى التنازل عن التزاماتهم لزوجاتهم ومعتوقاتهم حتى يضمنوا بقاءها فى حوزتهم وحوزة أسرهم ، وأما الفئة الأخيرة التى ساهمت بالمشاركة فى هذا المجال فهى فئة أرباب السجاجيد والأشراف منذ بدء تطبيقه بمصر ، بل إنهم شاركوا فى إدارة الأراضى فى ظل نظام المقاطعات السابق على الإلتزام ؛ لمكانتهم الدينية التى ظلوا يتمتعون بها فى المجتمع المصرى ، وإشرافهم على أراضى الوقف والتى كان بعضها موقوفاً عليهم ، وقد أدرجت هذه الفئة ضمن فئة العلماء فى دفاتر الالتزامات.[(١٧)]

وهناك فئة أخيرة دخلت ميدان الالتزام إلى جانب الفئات الأخرى ، وهى فئة العربان ، وخاصة عربان الهوارة الذين امتلكوا السلطة والجاه فى صعيد مصر وخاصة إبان حكم شيخ العرب همام ؛ فقد حرصوا على أن تتم عمليات الاسقاطات داخل قبيلتهم دون سواها ، ولم يسمحوا بانتقال التزام أى من أفراد القبيلة عند وفاته ؛ إذا لم يكن له وريث لأى فرد خارجها ، ولو أدى الأمر الى استخدام القوة لايقاف الإسقاط ولو كان لصالح أحد أفراد الجهاز الإدارى العثمانى ، كما امتلك الهوارة العديد من الإلتزامات فى كثير من جهات الصعيد ومنها إقليم أسيوط.

واستولى الهوارة على بعض الأراضى الموقوفة والتزامات بعض الأمراء والأفراد لصالح أعمال الخير ؛ فإذا ما حدث نزاع بين أحدهم وآخر فإنهم يفضلون اللجوء

للقضاء رغم امتلاكهم للقوة التى تمكنهم من إنهاء النزاع لصالحهم ، ولكنهم كانوا دائمًا ما يفضلون إثبات أن القانون فوق كل اعتبار.

وأسقط العديد من الالتزامات في جميع أنحاء الصعيد لصالح الهوارة وبخاصة لشيخ العرب همام ، كما أسقطت بعض الالتزامات لصالح بعض العربان الآخرين المتحالفين معهم أو التابعين لهم.(١٨)

هذه هى أهم الفئات التى دخلت ميدان الإلتزام بالصعيد ، ولكن هذا النظام لم يصمد طويلاً ، إذ قام الفرنسيون بإلغائه إبان حملتهم على مصر ، وصادروا أموال المماليك ، فأصبح الفلاح منتفعًا بأرضه ، وبدأ انهيار النظام الإقطاعى فى مصر ، حتى قام والى مصر محمد على (باشا) بإلغائه عام ١٢٣٠ هـ/١٨١٤م ، مما أدى إلى ثورة ملتزمى الوجه القبلى عليه وحملهم السلاح ضده ، ولكن ثورتهم لم تقف حائلاً أمام استمراره فى هذا الطريق.

الضرائب في ظل نظام الالتزام:

فى ظل نظام الالتزام الذى تم تطبيقه فى مصر العثمانية ، ظهر هناك نوعان من الضرائب ، **النوع الاول:** ضرائب رسمية وهى : الميرى ، والمضاف ، والفائض والبرانى، والكشوفية ، أما **النوع الثانى** فتمثل فى الفرد ، والكلف، والمغارم ، ودفع المظالم.

وهذين النوعين أصبحا بديلين عن الضرائب التى كانت تجبى فى عهد الدولة المملوكية والتى كان يطلق عليها " الخراج" الواجب على المقطع سداده عن إقطاعه نقداً أو عيناً لبيت المال ، وكان غالب خراج الصعيد يسدد غلة (١٩) وتتحدد قيمة الضرائب طبقاً لحالة مياه النيل زيادة أو انخفاضاً فى كل عام.(٢٠)

وكثيرًا ما حاول عربان الصعيد من المقطعين أن يماطلوا فى دفع الخراج السنوى لكن سلاطين المماليك كانوا يجابهون هذا التصرف بقسوة وحزم ، وإرسال التجريدات لهم لإرغامهم على دفع الخراج مثلما حدث فى عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م فى عصر السلطان الأشرف قايتباى ، فيروى أن الامير يشبك الداويدار قائد هذه التجريدة "شوى" بالنار ، محمود - شيخ بنى عدى بأسيوط ، كما خوزق جماعة من العربان ، وسلخ جلد بعضهم ، ودفن آخرون أحياء فى التراب ، وكافأه السلطان على ما فعله.(٢١)

وقد تولى عربان الهوارة خلال بعض الفترات من العصر العثمانى جمع الضرائب فى الصعيد ، أو تكليفهم لعربان آخرين تابعين لهم بالقيام بهذه المهمة نيابة عنهم وكان شيخ العرب همام يتولى جمع ضرائب الصعيد بموجب التزام من الحاكم ويدفع لذلك حلوانا سنويا، ويدفع للخزينة السلطانية مبلغًا من المال والكرانب العينية كل عام.(٢٢)

١ - المال الميرى:

الميرى هو الضريبة الرسمية التى فرضت على الفلاحين ، طبقاً لمساحة كل حصة من الأرض ومساحتها وجودتها ، حيث قسمت من حيث الجودة إلى ثلاث مراتب: عال ، ووسط ، ودون ، وكان الملتزم يتولى جمع المال الميرى عن التزامه مستخدمًا أجهزة الإدارة الحكومية ، ليقوم بتسديدها إلى ديوان الروزنامة بالولاية على ثلاثة أقساط سنوية ، ولكن فى العصر العثمانى المتأخر بدأ الملتزمون يتأخرون ويماطلون فى تسديد هذه الأقساط فى مواعيدها الرسمية ، وتأخر بعضهم عن السداد لعدة سنوات وتعللوا بحالة الفلاح المتردية وسوء الأحوال الاقتصادية.

وكان كل ديوان من دواوين الولايات يقوم بتسديد الأموال التى تتجمع لديه إلى ديوان الروزنامة بالقاهرة على قسطين: شتوى ، وصيفى ، بعد خصم النفقات الإدارية المرتبة لأجهزة الولاية(٢٣) ، حيث قسمت مصر إلى أربعة أقاليم رئيسية لجباية هذه

الضرائب ، واشتمل إقليم الصعيد على ولايات: جرجا ، أسيوط ، البهنسا، أشمونين ، أبريم الفيوم ، وقد كان الدخل الضريبى من الميرى المقرر على ولايات الصعيد يزداد من سنة لأخرى ، ويوضح الجدول التالى هذه الزيادة منذ بداية الحكم العثمانى فى مصر ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر ؛ عند مجيىء الحملة الفرنسية:(٢٤)

المال الميرى بالبارة						
اسم الولاية	١٠٠٤هـ ١٥٩٠م	١٠٦٩هـ ١٦٥٨م	١١١٨هـ ١٧٠٦م	١١٧٤هـ ١٧٦٠م	١١٧٩هـ ١٧٦٥م	١٢١٣هـ ١٧٩٨م
جرجا (بدون أسيوط)	— ١	١ر٠٢٥ر٠٠٠	—	—	—	٥ر٤٤٣ر٤٣٧
أسيوط	—	٠ر٢٢٥ر٠٠٠	—	—	—	٢ر١٩١ر٠٥١
أشمونين	—	٠ر٢٣٩ر٤٥٣	٠ر٤٠٠ر٦٩٢	٠ر٤٣١ر٤٨٧	—	—
منفلوط	٩٢ر٤٤٨	—	—	—	٠ر٣٦٤ر٤٥٤	٨٠٦,٨٧٢
جرجا (بما فيها أسيوط)	—	—	٤ر٤٠٩ر١٦٨	٤ر٩٣٨ر١٨١	—	—

وكانت هذه الزيادة المضطردة تشكل عبئاً ثقيلا على كاهل الفلاح المصرى فى صعيد مصر مهما انخفضت قيمة العملة وهى البارة ، فاضطر الفلاح مرغماً لدفع الضرائب المفروضه عيناً من أقواته ، وعلى رأسها الغلال ، وأنشىء مخزناً خاصاً (شونه) فى مصر القديمة تحت إشراف حاكم جرجا لاستقبال الضرائب العينية الواردة من الصعيد عن طريق النيل ، ووجد معه قلماً خاصة لإدارة هذه العملية أطلق عليه قلم "إيراد الغلال" ويرأسه "أفندى ايراد" وأصبحت عملية التسليم تتم بطريقة منظمة وفى غاية الدقة .(٢٥)

وتتحدد قيمة الضريبة العينية بناء على عملية المسح الشامل التى يقوم بها المساح والقصاب لكل أراضى الصعيد والتى تتم سنوياً بعد الفيضان ، ثم توزع الأراضى الصالحة

للزراعة بواسطة مشايخ البلد ، سواء كان هؤلاء الزراع من الفلاحين أو من البدو الذين كانوا أحياناً ما يلجأون إلى العنف للحصول على أراضى أفضل ودفع ضرائب أقل.[٢٦]

وتتحدد الضريبة على كل فدان من الأراضى الممسوحة كل عام ، فإذا لم تكن أرض القرية ممسوحة ، فالضريبة المقررة توزع على فلاحى القرية بواسطة الصراف وشيخ البلد ، وتعرف هذه الطريقة باسم "كلالة" وعرف المال المجبى نقدًا أو عيناً فى أقاليم قنا ، وإسنا ، وجرجا ، وأسيوط، ومنفلوط ، والمنيا ، وبنى سويف بالمال الحر ، أى المال الصافى الذىيرسل إلى خزينة الولاية بعد صرف الإخراجات والموقوفات مثل مال الكوركش المخصص للإنفاق على إزالة الأتربة وصيانة الجسور، وتذاكر الكشوفية المخصصة لنفقات الإدارة المحلية بالإقليم وكانت ضريبة محصول الذرة تجبى نقداً، وعيناً على محاصيل الشعير والقمح ، والفول ، والعدس.

كما كان الفلاحون فى الصعيد يدفعون ضريبة تسمى "النبارى" على الأراضى التى تزرع بالذرة والأعلاف ، وأخرى تسمى "البعلى" على الأراضى التى تروى بالقمح والشعير وهى تدفع عيناً من الحبوب[٢٧] من القمح والشعير.

ويوضح الجدول التالى جملة الضرائب العينية من القمح والشعير المدفوعة عن بلاد أسيوط:[٢٨]

الإقليم	عام ١٠٨١هـ ١٦٧٠م	عام ١١٧٩هـ ١٧٦٥م	عدد المقاطعات المربوط عليها الضريبة
الأشمونين (شمال أسيوط)	٩٥٢٤١ أردب	٦٥٤٠٩ أردب	٥٥ مقاطعة
منفلوط	٨٠٠١٠ أردب	٦٦١٢٢ أردب	٣٦ مقاطعة
جرجا (وتشمل مناطق وسط وجنوب اسيوط)	١٥٥٦١١ أردب	١٧٠٧٧٢ أردب	٧٦ مقاطعة

ويلاحظ أن أكبر الضرائب المدفوعة كانت من إقليم جرجا لضخامة المساحة الزراعية في المناطق من أسيوط شمالاً حتى أسوان جنوباً ، ولقوة حاكمها وثراء الإقليم وتعدد موارده الاقتصادية.[29]

وكان الأهالي في الصعيد يدفعون نوعاً أخر من الضرائب يسمى "الحطيطة" وهي ضريبة تدفع مقابل حمايتهم من سرقات العربان الذين يغيرون على أطراف الوادي.[30]

٢ - المضاف:

هي ضريبة أضيفت على المال الميري ، وأصبحت شيئاً فشيئاً جزءاً لا يتجزأ منه مفروضة على الفلاح ، وقد سجلت دفاتر الالتزام ، نوعين من المضافات ، أحدهما مضاف مؤقت يفرض على المقاطعات في بعض الأعوام لمجابهة ظروف طارئة وعاجلة كحدوث اضطرابات سياسية أو نتيجة الصراعات المملوكية ، أو إرسال تجريدات السلطان في حروبه الخارجية ، أو عجز لدى الخزينة وهو القدر المقرر للسلطان في استنبول من الميري وبعد عرض الأمر على الباشا (الوالي) والديوان يتقرر سد العجز عن طريق المضاف المؤقت . وينتهي بانقضاء هذه الظروف والآخر مضاف ثابت يضاف إلى الميري ويصبح جزءاً منه.[31]

٣ - الفائض:

وهو يمثل الفرق بين المال الميري المقرر على الحصة[32] ، والمتحصل الفعلي من الإلتزام والذي يفرضه الملتزم بنفسه على فلاحيه ، وهذا الفرق أو الفائض يستولي عليه الملتزم لنفسه ، ولم يسجل الفائض في بداية تطبيق نظام الالتزام في السجلات ، لكنه بدأ يسجل في القرن الثامن عشر ، بل صار هذا الفائض في حالات كثيرة يفوق المال الميري نفسه والذي كان يقدر بما يتراوح ما بين ٦٦ - ١٤٠ بارة على الفدان الواحد

طبقاً لجودة أرضه.[٣٣] وكان كاشف (بك) أسيوط يتحصل على ميرى قدرة ٩٦٠ر ٨٣٠ر ١ بارة سنوياً.[٣٤]

٤ – البراني:

هو المال أو المبالغ الذى أوجبت الإدارة العثمانية على القرى المصرية تقديمه إلى أجهزة الإدارة المحلية بالأقاليم عوضًا عن المواد الغذائية مثل السمن ، والعسل ، والجبن والحبوب ، والدجاج ، والأغنام ، وغيرها من منتجات الريف ، فأصبحت الإدارة تقدر أثمان هذه العادات بالنقد وتسجلها فى دفاترالالتزام رسمياً وتلزم بها أهل القرى ، وهى عادات قديمة على العهد العثمانى ولكن رجال الإدارة العثمانية بالغوا فى تقديرها حسب أهوائهم[٣٥]، وبعد أن كان البرانى هدية تقدم اختياريًا برغبة أهل القرى ، أصبح فرضًا إجباريًا عليهم لا يستطيعون الفكاك منه ، بل ازدادت قيمة المال البرانى عن المال الميرى نفسه فى بعض الولايات بالصعيد.

وقد تعرض الفلاحون فى جميع أنحاء البلاد لأنواع كثيرة من الضرائب مثل: عادة جاويش كاشف[٣٦] ، وتسويف مقرر[٣٧] ، وعادة رأس نوبة، وعادة مسودة [٣٨] وعادة خدام الرملة [٣٩] ، وعادة مسلم [٤٠] ، وعادة اليازجى [٤١] ، وعادة تبن السلطان[٤٢] ، وعادة جسور السلطانية[٤٣] ، وعادة حوالة الجولات[٤٤] ، وعادة خفر المال[٤٥] ، وعادة شيخ الجرافة[٤٦] ، وعادة صغار الجرافة[٤٧] ، وغير ذلك من العادات التى أرهقت الفلاح.

أما الضريبة التى كانت مفروضة على النصارى فقد عرفت بالجزية ، واختلفت باختلاف البلاد المفتوحة ، والعهود المعطاة لهم ، وتختلف العهود تبعاً لشدة المقاومة التى أبداها أهل الذمة ضد المسلمين أو قلتها ، وتبعاً لإقبالهم على مساعدتهم أو إحجامهم عنها وينحصر الاختلاف فى معاملتهم طبقاً لما اشترط فيه ما هو مستحق عليهم فقط ، وما اشترط فيه عليهم من المستحق والمستحب فعله.[٤٨]

وقد عاهد المسلمون بقيادة عمرو بن العاص عند فتحه لمصر، والنصارى بقيادة المقوقس على المستحق مقابل الشروط التى تعهد لهم المسلمون بها ، وهى تحديد الجزية بدينارين على كل رجل قادر على العمل ، وإعفاء الصبيان والشيوخ والنساء والرهبان ، وتسقط الجزية عمن أسلم ، ويجوز تأجيلها من الفقير المعسر ، حتى يصبح قادرًا على أدائها، ولا تجب الجزية إلا مرة واحدة فى السنة ولا يجوز تحصيلها قبل موعدها كالزكاة تماماً.(٤٩)

وعرفت هذه الجزية فى العصرين المملوكى والعثمانى باسم ضريبة الجوالى(٥٠) ، وجعلت المبالغ المتحصلة للإنفاق على العلماء والفقراء والأيتام والأرامل ، وأصبح للجوالى مقاطعة ولها أمين (ملتزم) يدفع للخزينة مبلغاً سنوياً ، بالإضافة إلى ضريبة الكشوفية الكبيرة للخزينة أيضا ، والكشوفية الصغيرة للباشا ، ثم يحتفظ بباقى الجزية لنفسه ، ولكن المماليك استولوا على هذه المقاطعة كما استولوا على غيرها من المقاطعات(٥١) ، وكان من حق حاكم جرجا جباية الخراج المطلوبة من النصارى واليهود فى الصعيد ، وظل نصارى ويهود الصعيد يدفعون الجزية حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ؛ عندما قررت الدولة العثمانية فى عام ١١٤٧هـ/١٧٣٤م أن تدير شئون الجزية بمعرفة موظفيها ، فسحبت مقاطعة الجزية من ملتزمها المملوكى ، ووضعت إدارة الجزية فى مصر تحت الإدارة المباشرة لديوان الجزية المركزى فى أدرنة وقسمتها إلى ثلاث فئات:(٥٢)

١ - الفئة الأولى ويدفع الشخص منها ٤٠٠ بارة سنوياً.

٢ - الفئة الثانية (الوسطى) ويدفع الشخص منها ٢٠٠ بارة سنوياً.

٣ - الفئة الثالثة (الأولى) ويدفع الشخص منها ١٠٠ بارة سنوياً.

وفى عام ١١٥٥هـ /١٧٤٢م خضعت الجزية مثل الضرائب الأخرى فى مصر العثمانية للمضاف.

وفى عام ١١٨٧هـ/١٧٢٢م تولـى على بك الكبير التزام جمع الجزية فى مصر وحرم منها الباب العالى منذ العام التالى وحتى نهاية حكمه لمصر نتيجة لقطع العلاقات بينه وبين الدولة العثمانية ، واستمر هذا الوضع كمورد من موارد المماليك فى عهد مراد بك وابراهيم بك حتى طردهما حسن باشا من القاهرة عام ١٢٠٠ هـ/١٧٨٥م ، وعادت الجزية للسلطان مرة أخرى ، ثم انقطع إرسالها نتيجة الصراعات المملوكية والحوادث السياسية التى ألمت بالبلاد فى نهاية القرن الثامن عشر ، وظل الحال كذلك حتى مجيء الحملة الفرنسية لمصر(٥٣) ، لتنتهى بذلك فترة من فترات التاريخ المصرى الحديث بكل ايجابياتها وسلبياتها ، ولتبدأ مرحلة جديدة لها سماتها الواضحة والمتميزة عما سبقها.

هوامش الفصل العاشر

(١) عن نظام المقاطعات : أنظر: د. عبد الرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ٧١.
(٢) إبراهيم طرخان: النظم الاقطاعية فيالشرق الاوسط فى العصور الوسطى ص ص ٣٤-٣٥.
د.صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ٢٩٣.
والأشمونين: الاقليم الواقع ما بين مدينتى المنيا شمالاً والقوصية جنوباً وكان يطلق عليه هرموبوليس وعاصمتة فى موقع مدينة ملوى الحالية وتوابعها.
(٣) إبراهيم طرخان: المرجع نفسه ، ص ص ٢٢ ، ١٥٦.
(٤) محمد بن اياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
(٥) هاملتون جب ، هارولد بوون: مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٣.
(٦) د. عمر عبدالعزيز عمر: دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٤٨.
(٧) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٥٤. د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ١٠.
(٨) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ٧٥.
(٩) محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٢٨.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥١.
(١١) عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ٧٦ - ٧٩.
محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٤١.
(١٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ٨٨ - ٨٩.
(١٣) المرجع نفسه ، ص ص ٩١ - ٩٢.
(١٤) أنظر سجلات المحكمة الشرعية ، إسقاطات القرى فى الربع الأول من القرن الثامن عشر لدى:
د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ٣١١.
(١٥) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ٩٤ - ٩٥.
(١٦) د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ص ٣١٨ - ٣١٩.
(١٧) المرجع نفسه ، ص ٩٥ - ٩٨. ، د. ليلى عبداللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٤٣٨. ، محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ٣٧.
(١٨) د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ص ٣١٥ - ٣١٨.
(١٩) إبراهيم طرخان: مرجع سابق ، ص ٢٠٠.
(٢٠) هاملتون جب ، هارولد بوون: مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٤.
(٢١) إبراهيم طرخان: مرجع سابق ، ص ٢٥٢.

(22) Shaw; The Financial, OP . Git, P 68.
Idem, ottoman Egypt, P. 44.

(٢٣) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ١٠١ - ١٠٢.
Estéve, OP. Cit, T. XII, PP. 196 - 197
(٢٤) الجدول مأخوذ عن كل من: د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ٣٢٤.

(25) La Décade Egyptienne, 3 ème Volume, P. 211,Estéve; OP. Cit, T. XII, P. 97.

د. ليلى عبداللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٤٥٣.
(٢٦) هيلين آن ريفلين: مرجع سابق ، ص ٤٧.

أورد Shaw أن المـــيرى المتحصـــل عـــن منفلـــوط عـــام ١٢١٣ هـــ/ ١٧٩٨م هو ٣٢٥ر٩٢٨ر ٠حتى عكس الرقم الوارد بالجدول المأخوذ عن Estéve عندما جاءت الحملة الفرنسية لمصر ٠أنظر:

Estévve: Memoire sur les financs OP. Cit, T. XII, PP. 195 - 198

(27) Shaw; The Financial, OP. Cit. PP. 69, 71.

محمد شفيق غربال: المصدر السابق ، ص ص ٣٠ ، ٣٤. د. ليلى عبداللطيف: الادارة في مصر في العصر العثماني ، ص ٤٥٤.

(28) Shaw; The Financial, OP. Cit,P. 96.

(٢٩) د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ٣٣١.

كانت ولايات أطفيح والاشمونين ومنفلوط تتبع ولاية جرجا من الناحية الضريبية.

(30) Lancret, OP. Cit, T. XII, P. 487.

(٣١) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ص ١٠٨ - ١٠٩.

(32) La Décade Egyptienne, 3 [em] Vol. P. 216.

(٣٣) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع نفسه ، ص ١١٠.

(34) Estéve: Mémoire sur Les finances, OP. Cit, T. XII, P. 109.

(٣٥) د. عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سابق ، ص ١١١.

(٣٦) هى ضريبة تدفع للرسل:

د. ليلى عبداللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٤٥٣.

(٣٧) ضريبة مميزة لصالح الفرق العسكرية.

(٣٨) ضريبتان تدفعان لبعض الاوجاقلو الذين يطلق عليهم رأس نوبة. ومسودة بغرض حماية عملية سداد مال الجيات المختلفة.

(٣٩) أجرة الفرق التى تحمل الزكائب المملوءة بالأتربة لإقامة الجسور.

(٤٠) ما يدفع للرسول الذى يرسلة الباشا الجديد بمصر لإعلان خبر تعيينه.

(٤١) ما يدفع لكاتب الفرقة.

(٤٢) أى العادة المخصصه لتأمين التبن اللازم لخيل السلطان.

(٤٣) حدود القنوات الكبيرة التى كان حفظها وصيانتها من أهم واجبات رجال الادارة.

(٤٤) الحوالة تعنى تحويل قبض المبالغ ؛ أى الشخص المخول إليه تحصيل مبالغ ضرائب نقدية أو عينيه، والجولات فهى مرتبات مقرره لبعض العلماء من حصيلة الجزية على أهل الذمة.

(٤٥) هم الحراس اللازمون لنقل نتاج القرية.

(٤٦) رئيس الأنفار الذين يشتغلون باستخدام الجرافة.

(٤٧) أى الاولاد الذين يعملون بالجرافة. أنظر:

د. ليلى عبداللطيف: الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

د.صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٤٨) المستحق عليهم له شروط وهى:

١ - ألا يذكر أهل الذمة كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف له.

٢ - ألا يذكر رسول الله (صلعم) بتكذيب له ولا بازدراء.

٣ - ألا يذكروا دين الاسلام بذم ولا قدح فيه.

٤ - ألا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح.

٥ - ألا يعينوا أهل الحرب (على المسلمين) ، ولا يأووا أعداءهم.

وأما المستحب لهم فعله فهو:

١ - أن يغير أهل الذمة هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار.

٢ - ألا يعلوا على المسلمين فى أبنيتهم:

٣ - ألا يسمعوهم أصوات نواقيسهم.
٤ - ألا يجاهروا بشرب الخمر ولا بإظهار صلبانهم أو غيرها من شعائر دينهم.
٥ - أن يخفوا دفن موتاهم.
٦ - أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقاً وهجاناً.

د. عمر ممدوح مصطفى: أصول تاريخ القانون ، ص ص ٣٤٠ - ٣٤١. ، د. قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٦ـ٢٧.

(٤٩) د. قاسم عبده قاسم: المرجع نفسه ، ص ٢٨،٧٠ -٧١ .

(٥٠) الجوالى مفردها جالية وتطلق على أهل الذمه ، لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب ، ثم ارتبط الاسم بكل من لزمتة الجزية وإن لم يجلوا عن أوطانهم: د. قاسم عبده قاسم: مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٥١) د. ليلى عبداللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٣٢٦.

(٥٢) المرجع نفسه ، ص ٣٢٧.

(٥٣) المرجع نفسه ، ص ٣٣٠. ، د. صلاح أحمد هريدى: مرجع سابق ، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

١ - وثائق محكمتى أسيوط ومنفلوط الشرعية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

٢ - محافظ وثائق الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ - المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

٣ - وثائق أرشيف وزارة الحرب الفرنسية المحفوظة فى Vincenne بباريس.

ثانياً: المصادر المنشورة:

- عبد الرحمن الجبرتى:عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ٣ أجزاء ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

- قانون نامه مصر ، ترجمة د. أحمد فؤاد متولى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.

- محمد شفيق غربال: ترتيب الديار المصرية (مصر عند مفترق الطرق ، ١٧٩٨ - ١٨٠١م)، عن أجوبة حسين أفندى الروزنامجى ، مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة المجلد الرابع، جـ ١ ، مايو ١٩٣٦م.

- محمد ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة، ١٣٨٠ هـ /١٩٦١م .

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

١ - ابراهيم طرخان (دكتور): النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى.

٢ - احمد حسين: موسوعة تاريخ مصر ، جـ ٣ ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧٣ .

٣ - احمد شلبى عبد الغنى: أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٧٨ م.

٤ - جلال يحيى (دكتور) : مصر الحديثة ، الاسكندرية ، دار المعارف ، د. ت .

٥ - دار المعلمات العامة بأسيوط: من عظماء أسيوط (١) ، المطبعة الحديثة بأسيوط ، ١٩٦١م.

٦ - راشد البراوى (دكتور) : محمد حمزة عليش : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٤٥م.

٧ - سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥م.

٨ - ــــــــــــــــ: مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩م.

٩ - صلاح احمد هريدى (دكتور): دور الصعيد في مصر العثمانية ، الاسكندرية ، دار المعارف، ١٩٨٤ .

١٠ - عاصم محمد رزق عبد الرحمن (دكتور) : مراكز الصناعة في مصر الاسلامية - من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .

١١ - عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية، جـ١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٧ .

١٢ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور): الريف المصري في القرن الثامن عشر ، القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م.

١٣ - ــــــــــــــــ: دور المغاربة في مصر في العصر الحديث ، فصلات من المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، أعداد ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

١٤ - عبد الله خورشيد البرى (دكتور): القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م.

١٥ - عبد المنعم شوقي (دكتور): دليل مدينة أسيوط، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، ١٩٦٤م.

١٦ - عثمان فيض الله : أسيوط ، مطبعة الجهاد بأسيوط ، ١٩٤٠م.

١٧ - عمر عبد العزيز عمر(دكتور): دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بيروت، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥م.

١٨ - ــــــــــــــــ: دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧ - ١٩٥٢ ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ .

١٩ - على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، مدنها وبلادها القديمة والشهيرة، بولاق ، ١٣٠٦ هـ، أجزاء ٨ ، ١٥ ، ١٧ .

٢٠ - عمر ممدوح مصطفى (دكتور): أصول تاريخ القانون ، الاسكندرية ، ١٩٧٠م.

٢١ - قاسم عبده قاسم (دكتور): أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

٢٢ - ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتور): الصعيد في عهد شيخ العرب همام ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

٢٣ – ــــــــــــــــــــ: الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٤ – محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، جـ ٣ ، جـ ٤ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م.

٢٥ – محمد سعيد النعناعي ، نجيب الياس برسوم ، عبد السلام الكريسى: أسيوط بين الماضى والحاضر، المطبعة الحديثة بأسيوط ، د. ت .

٢٦ – محمد عبد اللطيف (دكتور): دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية ، الاسكندرية ، ١٩٧٥م.

٢٧ – محمد محمود زيتون: إقليم البحيرة – صفحات مجيدة من الحضارة ، والثقافة ، والكفاح، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٢٨ – نجيب ميخائيل ابراهيم (دكتور): مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، الاسكندرية ١٩٦٦م.

٢٩ – نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر ، المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٦ .

٣٠ – هاملتون جب ، هارولد بوون: المجتمع الاسلامى والغرب ، جزءان ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦م.

٣١ – هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والادارة فى مصر ، ترجمة الدكتور/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧م.

رابعاً: الرسائل غير المنشورة:

– محمد عبد الحميد الحناوى: الاسكندرية فى عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ – ١٨٠١م، رسالة ماجستير لم تنشر تحت إشراف د. جلال يحيى، المنيا ، ١٩٨٥م.

– وجيه على ابو حمزة : القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية ١٧٩٨ – ١٨٠١م، رسالة ماجستير لم تنشر تحت إشراف د. جلال يحيى ، المنيا ، ١٩٨١م.

خامساً: الدوريات:

La Décade Egyptiénne, 2,3 em Volume.

سادساً: الدراسات والأبحاث العلمية:

- رأفت محمد النبراوى (دكتور): الوكالات والحمامات فى العصر الاسلامى ، مجلة اللواء الاسلامى ، العدد (٦٢) ، ١٦ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ / ٣١ مارس ١٩٨٣م.
- عبد الرؤوف على حسن (دكتور): الحفاظ على المبانى التاريخية بمدينة أسيوط ، (مؤتمر أسيوط : الماضى والحاضر والمستقبل) ، ابريل ١٩٩٥م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

1- Amédée Jaubert; Nomenclaure dans Tribus d'Arabes qui compent entre l'Egypte et la palestine dépuis Khan younes et Ghazzah la Mécque l'oriente, et dans la partie orientiale du désert, qui Sépare la Mécque de la syrie (Déscription de l'Egypte, T. XI, Paris, 1801).

2- Clark D. Moore & Ann Dunbar: Africa yesterday and Today, New York, 5th printing, 1970.

3- Chabrol, De; Observation sur les Arabes de l'Egypte, Déscription de l'Egypte, T. XII, Paris, 1821.

4- ————; Essai sur les Moeurs des habitans modern de l'Egypte, T. XVIII, I er ed, Paris, 1809.

5- Déscription de l'Egypte, T. XVII & XVIII Paris, 2 em edition 1821.

6- De la jonquière; l'Epédition d'Egypt, Vol. 11, Paris, perrin, 1904.

7- Dubois-Ayme; Mémoire sur les Tribus Arabes des déserts de l'Egypte (Déscription de l'Egypt T. XII, Paris, 1821).

8- ————; Mémoire sur les Tribus Arabes déserts de l'Egypte, T. XI, I er edition, Paris, 1809.

9- Estéve, le comte, M.; Mémoire sur les finances de l'Egypte, dépuis Sa Conquête au par le Sultan Selim I er, jusqu'à celle du général en chef Bonaparte,(Déscription de l'Egypte T. XII, Paris, 1821).

10- Girard, P.S.; Mémoire sur l'Agriculture, l'industrie, et le Commerce de l'Egypte (Déscription de l'Egypte, T. XVII), I er & 2em edition 1813 & 1820.

11- Holt. M.P.; Political and social change in Modern Egypt, London, 1968.

12- Jomard M.; observation sur les Arabes de l'Egypte Moyenne, (Déscription de l'Egypt. T. XII I er ed, Paris 1809).

13- Lancret, Ange-Michel; Mémoire sur les systemes d'imposition territoriale et sur l'Admini·ration des Mamloukes. (Déscription de l'Egypte, T. XV), Paris, 1820.

14- Paton, A.A.; A history of the Egyptian Revolution, from the period of the Mamelukes to the death of Mohammed Aii, Vol. I, London, 1870.

15- Raymond; Artisans et Co:. .ıercants du Caire au XVIII e SiecleT.1, Damas, 1973.

16- Rousseau; Kléber et Ménou en Egypte dépuis le depart de Bonaparte. Paris, 1900.

17- Shaw, S.J.; Ottoman Egypt in the age of the French Revolution Cambridge, Massachuster, 1964.

18- ————; Ottoman Egypt in the eighteenth century, princeton, New Jersy, 1964.

19- ————; The Financial and Administrative organization and development of ottoman Egypt, 1517-1798, princeton, New Jersy. 1962.

20- Vivant Denon; Voyage la Basse et la haute Egypte Péndant les campagne du général Bonaparte, T.2., 4em ed., Paris, 1803.

الفهــــرس

	صفحــة
مقدمـــــة	١ - ٢

الباب الأول

=====

التطور العمراني لأسيوط وأهم منشآتها	٣
الفصل الأول : إقليم أسيوط عبر التاريخ	٤ - ١٠
مورفولوجية المدينة وأحيائها....................	١١ - ١٤
هوامش الفصل الأول	١٥ - ١٦
الفصل الثاني : آثار إقليم أسيوط	١٨ - ٢٢
هوامش الفصل الثاني	٢٣
الفصل الثالث : المنشآت الدينية والمباني ذات المنافع العامة...	٢٤ - ٣٠
هوامش الفصل الثالث	٣١ - ٣٢

البـاب الثانـي

=====

أهالي أسيوط وحياتهم الاجتماعية

الفصل الرابع : العناصر السكانية والقبائل العربية	٣٤ - ٥٣
هوامش الفصل الرابع	٥٤ - ٥٧

الفصل الخامس : علماء ومشايخ الأزهر .... ٥٨ - ٦٣
هوامش الفصل السادس ٦٤

الباب الثالث

=====

الحياة الاقتصادية ودور الهواره

الفصل السابع : النظام الاقتصادي
أولاً : الزراعـــة .... ٧١ - ٧٨
ثانياً : الصناعـــة .... ٧٩ - ٨٣
ثالثاً : التجـــارة .... ٨٤ - ٩٠
رابعاً : الأوزان والعملات المتداولة في أسيوط ٩١ - ٩٢
هوامش الفصل السابع .... ٩٣ - ٩٦
الفصل الثامن : دور الهوارة السياسي في ولاية جرجا
والأسيوطية .... ٩٧ - ١٠٥
هوامش الفصل الثامن .... ١٠٦ - ١٠٧

الباب الرابع

=====

أسيوط في ظل التنظيم الإداري العثماني ١٠٨
الفصل التاسع : النظام الإداري ١١٠

أولاً : أسيوط في ظل التنظيم الإداري لمصر العثمانية .... ١١٠ - ١١٣
ثانياً : الإدارة المركزية .... ١١٥ - ١٢١
ثالثاً : الإدارة المحلية .... ١٢٢ - ١٢٧
هوامش الفصل التاسع .... ١٢٨ - ١٣٠
الفصل العاشر : نظـــام الالـــتزام .... ١٣٢ - ١٤٥
هوامش الفصل العاشر .... ١٤٦ - ١٤٨
قائمة المصـــادر والمراجع .... ١٤٩ - ١٥٣
الفهــــرس ١٥٤

الخرائـــط

=====

١ - مصر العليا والوسطى ٦
٢ - موقع مدينة أسيوط في العصر العثماني ١٠
٣ - ضواحي مدينة أسيوط ١٧
٤ - ولاية الأسيوطية ١١٤
٥ - توابع ولاية الأسيوطية ١٣١